

العُرْفَانُ
الإِسْلَامِيُّ

سَاهَمَ رَبُّهُ لَكَ
لِشَيْءٍ حَسَنٍ لَزِمَهُ يَوْمَ

تَرْجَمَهُ

كَسَمَكَ السَّيِّدُ

دَارُ أَحْيَاءِ التَّوَاتُ الْمَرْبُوحِ



العرفان الإسلامي

العرفان الإسلامي

تأليف

سماعة آية الله الشيخ حسين انصاريان

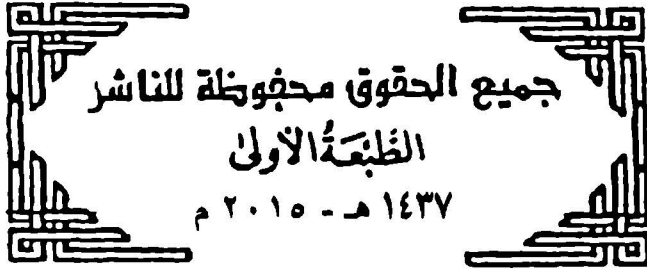
ترجمة

كمال السيد

الجزء العاشر

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان



DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان الجديد

دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - طريق المطار - خلف أوتيل الغولدن بلازا ص ٠ ب: ١١/٧٩٥٧
الرمز البريدي: ١١/٠٧٢٢٥٠ - هاتف: ٠٠٩٦١١٤٥٥٥٥٩ / ٠٠٩٦١١٤٥٢٤٦٩ / فاكس: ٠٠٩٦١١٨٥٠٧١٧
Beyrouth - Lebanon - Airport Road - Behind Golden Plaza - P.O.: 11/7957 - Postal
Code: -11/072250 **Tel: 009611455559 - 009611452469** -- Fax : 009611/850717
Email: darturath2012@hotmail.com www.dartourath.com

الباب

(٤٦)

مسألة البيان والكلام والقول

قال الصادق عليه السلام:

أَلَكَلَامُ إِظْهَارُ مَا فِي قَلْبِ الْمَرْءِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالكَدْرِ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، قَالَ
امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ.

فَرُبُّ كَلَامِكَ وَاعْرِضُهُ عَلَى الْعَقْلِ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ وَفِي اللَّهِ فَتَكَلَّمْ بِهِ، وَإِنْ
كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْهُ.

فَلَيْسَ عَلَى الْجَوَارِحِ عِبَادَةٌ أَخْفَى مَوْئِنَةً وَأَفْضَلَ مَنَزَلَةً وَأَعْظَمَ قَدْرًا
عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَلَامِ فِي رِضَا اللَّهِ وَلَوْجْهِهِ وَنَشْرِ آيَاتِهِ وَنِعْمَائِهِ فِي عِبَادِهِ. أَلَا
تَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْعَلْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُسُلِهِ مَعْنَى يَكْشِفُ مَا أَسْرَأَ
إِلَيْهِمْ مِنْ مَكْنُونَاتِ عِلْمِهِ وَمَخْزُونَاتِ وَحْيِهِ غَيْرَ الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ بَيْنَ الرُّسُلِ
وَالْأُمَّمِ، فَتَبَّتْ بِهَذَا أَنَّهُ أَفْضَلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَطْفَى الْعِبَادَةِ.

وَكَذَلِكَ لَا مَعْصِيَةَ أَشْغَلُ عَلَى الْعَبْدِ وَأَسْرَعُ عَقُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَشَدُّهَا
مَلَامَةً وَأَعْجَلُهَا سَأَمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ مِنْهُ.

وَاللِّسَانُ تَرْجُمَانُ الضَّمِيرِ وَصَاحِبُ خَيْرِ الْقُلُوبِ وَبِهِ يَنْكَشِفُ مَا فِي سِرِّ
الْبَاطِنِ وَعَلَيْهِ يُحَاسَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَالْكَلَامُ خَمْرٌ يُسَكِّرُ الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ مَا كَانَ مِنْهُ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَلَيْسَ شَيْءٌ
أَحَقَّ بِطُولِ السَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ.

قال بعض الحكماء: احفظ لسانك عن حيث الكلام وفي غيره
لا تسكت إن استطعت.

فَأَمَّا السَّكِينَةُ وَالصَّمْتُ فَهِيَ هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ رَفِيعَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
لِأَهْلِهَا وَهُمْ أَمْنَاءُ أَسْرَارِهِ فِي أَرْضِهِ.

«الْكَلَامُ إِظْهَارُ مَا فِي قَلْبِ الْمَرْءِ مِنَ الصَّفَاءِ وَالْكَدْرِ وَالْعِلْمِ وَالْجَهْلِ، قَالَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ».

حقيقة الكلام:

يتحدث الامام الصادق عليه السلام عن أحد النعم الالهية العظيمة التي أكد عليها القرآن المجيد في الكثير من آياته الا وهي مسألة البيان والكلام والقول، حيث يقول تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾!

ان الكلام وكما يقول الامام بالحق عليه السلام: الْكَلَامُ إِظْهَارُ مَا فِي قَلْبِ الْمَرْءِ،
حيث يبين الكلام ما في باطن الانسان وبماذا يفكر؟

واذا كان الأمر كذلك بالنسبة لأهل الصفاء؛ أي الذين يحملون باطناً طاهراً
مليئاً بالايمان والحقيقة والفضيلة والكرامة، فسيكون قولهم حقاً وكلامهم نور
الهداية وبيانهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ووسيلة لنشر العلم والأخلاق
والحسنات.

واذا كان كلامه لغواً وعبثاً وقوله باطلاً وبلا معنى، فسيحمل حتماً باطناً ملوثاً

وخبيثاً وقلباً قاسياً بعيداً عن الله تعالى، وسيحمل نفساً ملوثة بالردائل وروحاً مسخرة للشيطان الرجيم.

وقد بينا في بداية الجزء الثامن من هذا الكتاب المواضيع المرتبطة بمسألة اللسان وتركيب هذا العضو، وتحدثنا عن فضيلة الصمت والسكوت، وفي بداية هذا الجزء سنتحدث عن مسألة البيان والكلام وما يجلبه الاهتمام بها من خير الدنيا والآخرة.

فان كان باطن المتكلم بعيداً عن الحقائق الايمانية والوقائع الملكوتية والحسنات الأخلاقية، كيف يمكنه الحديث بكلام جميل حسن وبيان مفيد؟ لكونها ترتبط جميعاً بطهارة الروح ونقاء الباطن وصفائه.

فللكلام قيمة كبيرة ونعمة عظيمة ونور مشرق ساطع أنعم به الله تعالى على عباده بفضلته ورحمته ولطفه، حتى تتمكن به من رفع احتياجاتنا المادية وجعله الوسيلة التي تملأ حياتنا الدنيوية بالمحبة والعشق والسرور والصفاء والوفاء، وتبخر البرزخ والقيامة بنور أسطع من نور الشمس، لكن وللأسف الشديد قد تحولت هذه النعمة الالهية بيد الكثيرين من الناس الى خط مظلم من الكفر والاجحاد وتلبسه بلباس الباطل وتحوله الى وسيلة للنفاق والحقد والعداء والاجحاف والغضب والفتنة والغيبة والتهمة والكذب والخداع والفضيحة والحرب والقتل والتخطيط للمؤامرات والقوانين الظالمة!! وكما قال القرآن المجيد:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ
دَارَ الْبُورِ﴾^١.

وإذا ما استمعنا لكلام هذه النعمة الالهية وما تعبر عنه من آلام القلب وعشقه

الالهي لأدركنا الكثير من الحقائق الالهية.

فلنسعى الى تسليم قلوبنا الى الله تعالى ونعمل على تنقيتها وصفائها بمساعدة الوحي وكلام الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ونجعل جميع أفعالنا ولحظات وجودنا متلائمة مع القرآن المجيد حتى نتخلص من أهواء النفس وشياطين الأنس والجن، وتصبح حركتنا حركة لائقة و وعملنا عملا صالحا، ونظهر لساننا من كلام اللغو والباطل والعبث حتى يتزين بالكلام الالهي والقول الملكوتي.

كلام أولياء الله:

عليكم الاطلاع على كلام الأنبياء والأئمة عليهم السلام والعرفاء الالهيين والحكماء حتى تدركوا قيمة وعظمة الكلام الذي يصدر من القلوب الطاهرة النقية المشرقة بنور الايمان، حيث ستجدون جميع كلامهم وأقوالهم تتضمن الدعوة الى الحق وارشاد الناس الى الخير وهدايتهم الى سعادة الدنيا والآخرة؛ لذا ينبغي علينا اتباع كلام هؤلاء العظماء في جميع شؤون حياتنا والالتزام بأقوالهم وتوصياتهم.

وقد بين القرآن المجيد في العديد من آياته الكلام القيم والكلمات العظيمة لأنبياء الله نوح وهود وصالح و ابراهيم ولوط وشعيب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام و نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وآله، لذا يمكنكم من خلال الانس بالقرآن الكريم الاطلاع على ما حمله كلامهم من مفاهيم الهية سامية فيما يتعلق بالتوحيد والمعاد والمعاملات والأخلاق والسياسة والمجتمع والفرد والمعاشرة والتقوى والتركية والعمل الصالح وكافة أمور الخير.

فلماذا لا نتبع كلام هؤلاء العظام ولماذا لانجعل جميع شؤون حياتنا منسجمة

مع توصياتهم وارشاداتهم؟ فهم محل لتجليات فيض حضرة الحق تعالى وقلوبهم مركز للأسرار الالهية وروحهم الملكوتية مرتبطة بالروح الاعظم.

الانسان والروح الأعظم في كلام الملا صدرا:

في تفسيره وشرحه لآية النور يقدم صدر المتألهين بياناً قيماً جداً في هذا المسألة، وهو كلام كامل وجامع لكافة الحقائق، اذ يقول:

ان الانسان الكامل كلمة جامعة وانموذج مشتمل على ما في الكتب الالهية التي كلها أنوار مكتوبة بيد الرحمن منقوشة على صحائف الأكوان مستورة عن أعين العميان كما ان الروح الأعظم جامع لجميع ما في العالم الكبير، لكونه مبدأ الكل وصورة الكل وغاية الكل وبذر العقول والنفوس، وثمره شجرة الأفلاك وما فيها من أنوار المعقول والمحسوس.

فالان نريد أن نشرح لك مراتب العالم الانساني وأسمائه، ونبين ان الروح الانساني والعقل الأخير الرباني في درجة القرب عند الله في عالم العود والصمود مماثل للروح الأعظم والعقل الأول القرآني في عالم البدو والنزول، وسلطانه يوم القيامة ويوم المل كسلطان الروح الأعظم يوم الأزل، لاشتمال كل منهما على جميع المراتب الوجودية؛ بل العقل الأول والروح الأخير - وهو الحقيقة المحمدية - ذات واحدة ظهرت مرتين، مرة في الأدبار الى الخلق لتكميل الخلائق ومرة في الاقبال الى الحق تعالى، لشفاعتهم، لقوله ﷺ:

«أول ما خلق الله نوري»؛

وقوله: «أول ما خلق الله العقل»، قال له: «أقبل» فأقبل، ثم قال له: «أدبر» فأدبر،

قال: «فبعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أعظم منك، بك أعطي وبك آخذ، وبك أثيب، وبك أعاقب»^١.

ورواه الشيخ الجليل أمين الاسلام، وثقة المحدثين محمد بن يعقوب الكليني في أول كتاب العقل من كتب الكافي، وحديث متفق على صحته الجميع. فكما الروح الأعظم مشتمل على جميع الممكنات علما وعينا، فكذا هذا الانسان الكامل وخليفة الله في السماوات والأرض.

أما اشتغال الروح الأعظم عليها علما: فلما مر من أنه قلم الحق الأول الناقد لصور الحقائق على وجه مقدس عن الكثرة والتفصيل، ثم الكاتب لارقام الأسرار على ألواح الأقدار، ولأن اللوح المحفوظ بما فيه من الأرقام والنقوش صادر عنه وحاضر لديه، فهو مطالع لما فيه - مطالعة العقل للأفكار الناشئة منه، المرسمة في لوح النفس، ثم في لوح الخيال والحس. وكذلك حكم سائر المشاعر الكلية والمدارك الفلكية والأرواح القدرية بما فيها من الأرقام المثالية، والنفوس الجزئية الخيالية الحاصلة في النفوس المنطبعة السماوية وكذا الصور الأرضية، المنقوشة على الألواح الهبولية - اذ كلها صادرة منه باذن ربه، حاضرة عنده، يشاهدها بنور ربه، الذي ينور به السماوات والأرض. وأيضاً كل واحد من الجواهر العقلية والنفسية، والصور السماوية الحسية، والأنوار القمرية والشمسية عيون ناظرة، ومدارك ساطعة، ومرائي مجلوة، يدرك بها الأشياء وينال بها ما في عالم الأرض والسماء.

١- الكافي: ١٠/١، كتاب العقل والجهل، الحديث ١؛ عوالي اللاكي: ٩٩/٤، الحديث ١٤٢؛ بحار الأنوار: ٩٧/١، الباب ٢، الحديث ٩.

وأما اشتماله عليها عيناً: فلأن ذاته صورة الكل، كما انه فاعلها وغايتها. والصورة في كل حقيقة تركيبية وماهية نوعيته هي تمام تلك الماهية، أو لا ترى ان "السريـر" سريـر بهيته المخصوصة، لا بمادته الخشبية الابهامية، والحيوان بنفسه وحسه حيوان لا ببدنه وجسمه وكذا العلة الفاعلية تمام حقيقة المعلول، اذ المعلول رشح وفيض من وجوده، وهو ان العلة كالشعاع من الشمس، والحرارة من النار، والنداوة من البحر، كما أوضحه الالهيون في علومهم الربانية، وأما الغاية فهو تمام الفاعل بما هو فاعل وكمال.

وأما اشتمال الروح العقلي للانسان الكامل على جميع الممكنات فلأنه كتاب مبين مشتمل على انموذجات العوالم وحصصها وجزئياتها وأفرادها وذلك قبل اتصاله بالملأ الأعلى والروح الأعظم، وأما عند الوصول فلا فرق بينه وبين قلم الحق الأول في اشتماله على الكل.

حكمة الهية في كلمة آدمية ان من عجائب صنع الله وبدائع فطرته خلقه الانسان الذي فطره الله عالماً مضاهياً للعالم الرباني، وانشأ الله نشأة جامعة لجميع ما في سائر العوالم والنشآت، بل ذاتاً موصوفة بجميع نظائر ما وصف به ذاته الالهية، من النعوت الجمالية والجلالية، الأفعال والاثار، والعوالم والنشآت والخلائق والقلم واللوح، والقضاء والقدر، والملائكة والأفلاك، والعناصر والمركبات والجنة والنار، والرضوان والمالك.

وبالجملة أبدع الانسان الكامل مثلاً له تعالى ذاتاً ووصفاً وفعلاً، ومعرفة هذه الفطرة البديعة، والنظم اللطيف والعلم بهذه الحكمة الأنيقة والأسرار المكنونة فيها سر عظيم من معرفة الله؛ بل لا يمكن معرفته تعالى الا بمعرفة الانسان الكامل

وهو باب الله الأعظم والعروة الوثقى، والحبل المتين الذي به يرتقى الى العالم الأعلى، والصرط المستقيم، الى الله العليم الحكيم والكتاب الكريم الوارد من الرحمن الرحيم، فيجب على كل أحد معرفة ما في هذا الكتاب المكنون، وفهم هذا السر المخزون. وهذا معنى وجوب معرفة النبي، ومعرفة الامام عليه السلام:

«من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية»^١.

وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^٢.

لأن حياة الانسان في النشأة الدائمة انما هي بمعارف الحكمة الالهية، والانسان الكامل ينطوي فيه الحكمة كلها، وهو مفاد قوله صلى الله عليه وآله «من أطاعني فقد أطاع ربه»^٣، وقوله أيضاً: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»^٤. والمراد به نفس النبي تحقفا لقوله تعالى:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾^٥.

وذلك لأن الحقيقة النبوية بنور هدايته كمال نفوس المؤمنين، ونور عقول الأدميين، واخرجهم من القوة الى الفعل، وأفاض عليهم العلم النوري، وأفادهم الوجود الأخروي، فيكون ذاته علة لتحقق الحكمة والايمان فيهم، ومحصل ذواتهم بحسب الوجود البقائي والثبوت السرمدية، والعلة الفاعلية للشيء، أولى به

١- وسائل الشيعة: ٢٤٦/١٦، الباب ٣٣، الحديث ٢١٤٧٥.

٢- النساء: ٤: ٨٠.

٣- بحار الأنوار: ٤٧٦/٢٢، الباب ١، الحديث ٢٧.

٤- بحار الأنوار: ٤٧٦/٢٢، الباب ١، الحديث ٢٧.

٥- الأحزاب: ٣٣: ٦.

من نفسه، لأن الشيء مع نفسه بالامكان، ومع علته ومكمله بالوجوب، والوجوب والكمال أولى بالشيء من الامكان والنقصان. فافهم وتأمل في ما أفدناك من معنى وجوب اتباع النبي والامام، وكونهما مقومين لذات المؤمن بما هو مؤمن، فانه يتيمة الوقت، لم تجد في غير هذا المقام، والله الهادي لدار السلام.^١

نعم، كلام هؤلاء العظام يمثل عين الفيض الالهي ومحض الحكمة والايمان والنور الذي ينير الطريق ودليل الهداية ومبدل القوة الى الفعل وعلامة الحق وراية العزة ومغيّر السيئة الى الحسنه، وعامل لازدهار جميع القابليات الانسانية وعلة سعادة الدنيا والآخرة، ولهذا يحكم العقل والوجدان والفطرة والمنطق بضرورة أن تتبع كلماتهم التي تدل على صفاء باطنهم الذي يمثل محض تجلي النور الالهي، وفي المقابل يجب الابتعاد عن كلام الجهلة والغافلين والماديين الذي يعبر عن ظلام باطنهم وتلوّثه بمختلف الرذائل والآثام.

وهذا يفرض على الروح الطاهرة وحقيقة المؤمن وقلب العاشق أن ترتبط تماما بمحضر هؤلاء العظام الذين وصلوا الى مرتبة الكمال وتسلّمهم من كلامهم ما يساعدهم على تطهير الباطن ومعرفة الحقيقة.

نعم، الكلام يظهر ما في باطن الأشخاص ويبين ان كانوا من أهل الصفاء والتجلي والطهارة والايمان والعشق، أم من أهل الظلمة والجهل والغفلة والقساوة والدنائة، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«المرء مخبوء تحت لسانه فاذا تكلم ظهر»^٢.

١- تفسير سورة النور: ٨٧

٢- نهج البلاغة: الحكمة ١٤٨؛ غرر الحكم: ٢٠٩، الحديث ٤٠٢٠.

«فَزِنْ كَلَامَكَ وَاعْرِضْهُ عَلَى الْعَقْلِ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ وَفَى اللهُ فَتَكَلَّمْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَالْسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْهُ. فَلَيْسَ عَلَى الْجَوَارِحِ عِبَادَةٌ أَخْفَى مَوْوَنَةً وَأَفْضَلَ مَنْزِلَةً وَأَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ الْكَلَامِ فِي رِضَا اللَّهِ وَلَوْجْهِهِ وَنَشْرِ آلَائِهِ وَنَعْمَائِهِ فِي عِبَادِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُسُلِهِ مَعْنَى يَكْشِفُ مَا أَسْرَأَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكْنُونَاتِ عِلْمِهِ وَمَخْزُونَاتِ وَحْيِهِ غَيْرَ الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْأُمَّمِ، فَثَبَّتَ بِهَذَا أَنَّهُ أَفْضَلُ الْوَسَائِلِ وَالْأَطْفُ الْعِبَادَةَ».

حقيقتان في الكلام:

يبين الامام الناطق بالحق الصادق عليه السلام في هذا المقطع من الحديث حقيقتان مهمتان في كلام الانسان، فان جعل كلامه ينسجم معها فانه سينال حتما سعادة الدنيا والآخرة، وهما:

١- ميزان ومعيار تقييم الكلام.

٢- تعيين قيمة الكلام واعتباره.

فجميع الموجودات في العالم عادة ما تضع لنفسها معيارا خاصاً لتقييم الحقائق والوقائع المادية والمعنوية التي تمر بها، ويمثل هذا الميزان والمعيار الأساس

الواقعي لتحقق الشيء ودوام بقائه واطهار آثاره، كما يعد أفضل مرآة لاطهار حقيقة الشيء ان كان حقاً أو باطلاً أو لغواً وعبثاً.

وهذا الأمر ينطبق أيضاً على الكلام الذي يعد من الأمور اليومية عند الناس، حيث وضعوا له ميزانا ومعياراً خاصاً به حتى يلجأ اليه جميع الناس لتقييم كلامهم قبل التحدث واطهار الكلام، فان كان كلامهم حقاً ومفيداً للفرد والمجتمع يظهره، أما ان بين لهم هذا الميزان أن كلانهم يؤدي الى اراقة الدماء أو اضاعه المال المحترم، أو التشهير بأعراض الناس، أو تفتيت الوحدة بين الناس، أو منع عمل الخير، أو كان وسيلة لاثارة الفتنة أو ايجاد المشاكل بين الناس، فعليهم التوقف عن الكلام وتجنب اظهاره وبدلاً من اظهار مثل هذا الكلام الذي قد يكون ذنبه أثقل وأعظم من الجبال عليهم اللجوء الى الحق تعالى وطلب مغفرته ورحمته.

فعندما يقول الامام الصادق عليه السلام:

«فَزِنْ كَلَامَكَ وَاعْرِضْهُ عَلَى الْعَقْلِ فَإِنْ كَانَ لِلَّهِ وَفَى اللَّهِ فَتَكَلَّمْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَالْسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْهُ. فَلَيْسَ عَلَى الْجَوَارِحِ عِبَادَةٌ أَخْفَى مَوْوَنَةً وَأَفْضَلُ مَنَزِلَةً وَأَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَلَامِ فِي رِضَا اللَّهِ وَلَوْجْهِهِ وَتَشْرِيرِ آيَاتِهِ وَتَعْمَائِهِ فِي عِبَادِهِ. أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَجْعَلْ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رُسُلِهِ مَعْنَى يَكْشِفُ مَا أَسْرَّ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكْنُونَاتِ عَلَيْهِ وَمَخْزُونَاتِ وَحِيهِ غَيْرَ الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْأُمَّمِ،

فَبَتَّ بِهَذَا أَنَّهُ أَفْضَلُ الْوَسَائِلِ وَاللَّطْفُ الْعِبَادَةِ.

فهذا يعني ضرورة الاهتمام بشدة بالقيمة العبادية للكلام وعدم التهاون والمسامحة في التعامل مع هذه النعمة الالهية العظيمة، فان أحسنا التعامل معها ستجلب لنا رضا الله وثواب الجنة في الآخرة، وان أسئنا التعامل معها فستجلب لنا غضب الحق والعذاب الالهي الشديد يوم القيامة.

فالامام عليه السلام يقول:

زن كلامك بعقلك قبل اظهاره، وما يقصده بالعقل هو أولاً القرآن المجيد الذي يمثل نجياً ومظهراً للعقل اللامتناهي، وثانياً عقل الأنبياء خاصة نبي الاسلام صلى الله عليه وآله وعقل الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وهذه العقول في الحقيقة هي عقول فعالة وعقول كليّة وعقول معصومة من الخطأ ولا يمكن مقارنتها بالعقول الجزئية التي تعجز عن ادراك بعض الضروريات.

أوصاف القول في القرآن الكريم:

عندما ندقق في القرآن الكريم مصدر الفيض الالهي اللامتناهي، ونقيم الكلام بميزانه ومعياره نتوصل الى وجود أحد عشر نوعاً من الكلام فيه رضا الله، واظهارها يجلب لنا سعادة الدنيا والآخرة، ولن نجد في الدنيا كلاماً أو بياناً أفضل منه منفعة وتأثيراً، فكلما اتصف الكلام بواحدة من هذه الصفات الاحدى عشر التي بينها القرآن الكريم سيكون كلاماً مفيداً قابلاً للاظهار والحديث، والا سيكون كلاماً حراماً يعمل على تلوث الروح ويزيد ظلمة القلب والباطن ويجلب شر الدنيا والآخرة.

وهذه الصفات التي ذكرها القرآن المجيد للقول كمعيار لقبوله والقدرة على

اظهاره، هي كالتالي:

١ - القول البليغ

٢ - القول الصدق

٣ - القول العدل

٤ - القول الحسن

٥ - القول الأحسن

٦ - القول اللين

٧ - القول الكريم

٨ - قول الأيمان

٩ - القول السديد

١٠ - القول المعروف

١١ - القول الميسور

والآن ينبغي التعرف على الآيات التي تضمنت هذه الصفات للقول والكلام،

حتى نعين الموارد التي يمكن اظهار هذا النوع من الكلام فيها.

١- القول البليغ:

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ
يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ
يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ

فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا^١!

تبين هاتان الآيتان وضع المنافقين وحالهم اذ أعرضوا عن حكم الله ورسوله وأقبلوا على قول الطاغوت، فالله تعالى يقول:

ان العمل بحكم الطاغوت يجلب لهؤلاء المنافقين سوء العاقبة ومصائب الدنيا وبلائها والخزي والخسران في الآخرة بما قدمت أيديهم واعراضهم عن كلام الله ورسوله والتوجه الى كلام الطاغوت وحكمه، ويحلفون بالله أنهم ما أرادوا بذلك سوى الاحسان والموعظة والتوفيق لكن الله يعلم بما تسر قلوبهم وما تضر من سوء؛ لذا يجب الاعراض عنهم وتقديم النصح والموعظة والقول الحسن البليغ.

ونستفيد من هذه الآية أن مورد القول البليغ هو الوعظ والنصيحة؛ اذ ينبغي على الواعظ التكلم مع المستمع بكلام بليغ يبين له فيه مدى قبح عمله وسوءه ويطلعه على العقوبة التي يستحقها جزاء هذا العمل، أو يبين فيه مدى حسن عمله وما فيه من خير للناس ويطلعه على الأجر والثواب الذي يستحقه على عمله.

الواعظ والقول البليغ:

على من يتصدى لأمر الوعظ والتبليغ أن يدرك أن منبر الوعظ ليس مكانا للتكبر واظهار القابليات في الكلام أو طرح النظريات العلمية المعقدة، بل هو مكان للنصح والارشاد، وكما قال الرسول الأكرم ﷺ كل متكلم مسؤول يوم القيامة عن مقدار الوقت الذي استهلكه من المستمعين. فيجب على المتكلم أن يراعي في كلامه:

أولاً: أن يكون كلامه مستنداً الى كتاب الله و«نهج البلاغة» و«الصحيفة السجادية» والكتب الروائية المعتبرة، ثم يظهره للمستمع ببيان بليغ سهل يفهمه أبسط الناس حتى أولئك الذين لهم حظ قليل من العلم بحيث يمكنهم ادراك معنى الكلمه بالشكل الذي يؤثر فيهم ويعمل على تغيير حالهم الى حال أفضل. وثانياً: من الأفضل أن يكون كلامه مصحوباً بخلوص النية والاخلاص في تطبيق كل ما يقوله والعمل به.

أحد المتخصصين في فن الخطابة يقول عن وظيفة الواعظ والمتكلم: يجب أن يحضى الواعظ باحترام الناس وثقتهم حتى يكون لكلامه تأثيراً أكبر عليهم، فاذا ما رأى فيه الناس أنساناً صادقاً وعالماً وعطوفاً ومحباً للخير ورجلاً محترماً، سيعتمدون على كلامه ويهتمون ويعملون به. وهذه المسألة لا تحتاج الى دليل وبرهان وتوضيح، اذ لاشك في ان المستمع كلما شعر بهذه الصفات في المتكلم كلما تأثر أكثر بكلامه وعمل به. وهذا يعنى أن كل واعظ اذا ما أراد أن يتقدم في فن الخطابة والوعظ، عليه ان يعيش حياة تجلب له احترام الناس وثقتهم بحيث لا يعرفونه إلا بهذه الصفات الحسنة.

واضافة الى ضرورة اتصاف الواعظ بين الناس بالصفات الحسنة، فان كان الناس يعرفونه بهذه الصفات، عليه أيضاً أن يتحدث معهم بالشكل الذي يجعلهم يطمأنون بتحليه بهذه الصفات بحيث يؤيد كلامه ويثبت التصورات التي يحملونها عنه بأذهانهم، فيستذكرون سلوكه ومواقفه ويقارنوها بكلامه، مما يزيد من محبته واحترامه في قلوبهم، وان لم يكونوا يعرفوه بهذه الصفات فعليه أن

يثبت لهم بكلامه تحليه بهذه الصفات والعقائد الحسنة فيؤثر بهم بالشكل الذي يجذبهم نحوه. والألن يستمعوا الى كلامه، وحتى لو استمعوا لهم لا يولوه أي أهمية ولا يؤثر فيهم.

اذن، يجب على المتكلم التحدث بكلام يجعل الناس يتأثرون به ولا يرون في كلامه إلا الصدق والنية الحسنة وحب الخير؛ فالناس اذا ما رأوا في المتكلم هذه الصفات سيستمعون اليه بميل ورغبة؛ لأنهم يعتقدون أنه يتحدث بما فيه خيرهم ومصالحهم. وما يجعل الناس يعتمدون على كلام المتكلم ويرون فيه هذه الصفات هو اعتقادهم بعلميته وبصيرته وخبرته في كل ما يقوله، ولا يرون فيه الخشونة أو الخفة والتساهل.

اذن، ينبغي على المتكلم ان يُعرف بهذه الصفات أو على الأقل تدل أقواله وأحواله على معقولية كلامه وصدوره عن علم وفهم بحيث يقدم الأدلة والبراهين التي تثبت هذا الكلام، ويتوقع الاعتراضات والاشكالات التي يمكن أن تطرح عليه ويهيئ الجواب المناسب عليها، فان لم يتصف كلامه بهذه الصفات لن يهتم به أحد، ولن يكون له تأثير مهم على المستمعين؛ لأن الناس يعلمون ما لم تكن عارفا بعملك لا يمكن ان ترشد الآخرين له.

ان ما يجذب الناس الى المتكلم هو صفاته الحسنة وأخلاقه العالية، وما يعدهم عنه هو سوء الطباع وفضاضة القول وقبح الكلام، بحيث لا يعيرون لكلامه أهمية حتى لو كان صادقاً.

ويجب أن يرى الناس فيه العطف والعتف والأخلاق الفاضلة وسعة الصدر وقلة الشهوة ولطافة الحديث، وخاصة البساطة والتواضع؛ لأن التكلم مع الناس

بتكبر وغرور وعجب وانانية سيؤذيهم ويؤلم عزة أنفسهم، مما يجعلهم يمتعضون وينفرون منه. وهذا لا يعني اظهار التذلل والخفة والحقارة من قبل المتكلم، لأن الوقار والاحترام شئ والتفرعن والتكبر والأناية شئ آخر.

٢- القول الصدق:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾!

ان القول الصدق ليس بالأمر السهل البسيط، كما ان عدد الصادقين في العالم ليس كثيراً. يقول أهل الفن أن القول الصدق هو القول المطابق للحقيقة والمصحوب بتأييد القلب والمنسجم والمطابق لما هو موجود في الخارج. فنحن نتحمل أثناء حياتنا مسؤوليات مهمة في قبال الحق والخلق سواء في قبال الأب والأم والابن والأقرباء والأصدقاء وسائر أفراد المجتمع. فاذا ما تمكنا قدر الامكان التحلي بالحقائق الالهية والصفات الحسنة، فستربطنا صداقة وعلاقة حسنة مع خلق الله الحسن منهم والسيء، ولن يخالجننا أي سوء نية مع أحد، ولا نتجاوز في جميع شؤون حياتنا حدنا وحقنا، وفي الوقت ذاته يكون كلامنا مع حضرة الحق عندما نقول «اياك نعبد» ومع الناس في أي حديث نتادوله معهم، كلاماً صادقاً حقاً، وبهذا المعنى نكون أشخاصاً صادقين أيضاً، ويمكنكم الاستنباط من هذا التوضيح كم هو قليل قول الصدق وكم هو قليل عدد الصادقين في هذا العالم!!

فالصدق، هو الحقيقة التي عبر عنها أهل السلوك: يؤدي الى النجاة في الدنيا والأخرة، وقد كرر القرآن المجيد في العديد من آياته أن المنفعة يوم القيامة

ستكون وفقاً على الصادقين.

أما الكلام الكاذب فلا يجلب سوى المكر والحيلة والخديعة والظلم والخيانة. ونستفيد من آيات القرآن المجيد أن القول الصدق مطلوب في جميع الموارد، لكن ينبغي أن لا نغفل عن هذه النقطة المهمة جداً وهي حرمة الكذب وعدم وجوب الصدق، أي لا يجب قول الصدق في كل الموارد إذا ما كان اظهاره قد يؤدي الى كشف أسرار المسلمين والدولة الاسلامية أو يسئ الى شرف انسان محترم، حيث يجب في مثل هذه الموارد الصمت والسكوت وتجنب كشف الأسرار.

فهلّموا بنا نلتزم باطاعة جميع الأمور الالهية، ونتمسك بأقوال الصادقين ونسعى للتخلق باخلاقهم والتزين بصفاتهم حتى نضع أقدامنا على طريق النجاة.

٣- القول العدل:

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾^١

يشير هذا المقطع من الآية الى القول العدل، ومن جملة الموارد التي يجب فيه القول العدل بحكم هذه الآية هو في مورد الأقرباء والمقربين بالحسب والنسب.

صاحب تفسير الميزان يقول^٢:

ذكر ذي القربى وهو الذي تدعو عاطفة القرابة والرحم إلى حفظ جانبه

١- الأنعام: ٦: ١٥٢.

٢- تفسير الميزان: ٣٦٦/٧.

وصيانتة من وقوع الشر والضرر في نفسه وماله يدل على أن المراد بالقول هو القول الذي يمكن أن يترتب عليه انتفاع الغير أو تضرره كما أن ذكر العدل في القول يؤيد ذلك، ويدل على أن هناك ظلماً، وإن القول متعلق ببعض الحقوق كالشهادة والقضاء والفتوى ونحو ذلك.

فالمعنى: وراقبوا أقوالكم التي فيها نفع أو ضرر للناس واعدلوا فيها، ولا يحملنكم رحم أو رأفة أو أي عاطفة على أن تراعوا جانب أحد فتحرفوا الكلام وتجاوزوا الحق فتشهدوا أو تقضوا بما فيه رعاية لجانب من تحبونه وإبطال حق من تكرهونه.

هذا هو مورد القول العدل الذي يتحول للأسف عند الكثير من الناس الى قول ظلم بسبب عواطف القرابة، فيتجاوز بعض الأفراد بوقاحة تامة جميع الحدود الالهية بمثل هذه القول الظالم، وكما قال الأمام السجاد عليه السلام:
«ويلك أيها الخاطب، اشتريت مرضاة المخلوقين بسخط الخالق، فتبوء مقعدك من النار»^١.

القضاء والشهادة:

من الموارد المهمة الأخرى للقول العدل هو مورد الشهادة أو القضاء في محاكم العدل الاسلامية، حيث تبين الآيات والروايات الكثيرة ان من يخرج عن جادة العدل فيهما سينال أشد العذاب يوم القيامة.
اذ يجب على القاضي أو الشاهد الالتزام بالعدل والدفاع عنه في جميع

١- مستدرک الوسائل: ٢٠٨/١٢، الباب ١٠، الحديث ١٣٩٠٠.

أحكامه، ولا ينبغي أن يتأثر بأي شيء في سبيل قول الحق وإقامة العدل والصراف
الالهي حتى لو كلفه ذلك حياته. وأمعنوا النظر جيدا في هذه الآية الشريفة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا
يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا إِيْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^١.

وهنا ينبغي القول أيضاً: في أجواء المحاكم ودعاواها قلما نسمع القول العدل
أو الشهادة العدل، ويندر أن نجد فيها القاضي والشاهد العادل.
وقد شدد الاسلام كثيراً في أمر القضاء ومواصفات الشاهد حتى يحول تماماً
عن الحاق الظلم بأي صاحب حق أو التجاوز على حقوق الناس.
ويدم الاسلام بشدة عمل القاضي والشاهد غير العادل؛ بل يشدد على حرمة
عملها وعدم شرعيته وأنه يوجب غضب الله وعذابه يوم القيامة.
ونرى من الضروري هنا الاشارة الى بعض الموارد المتعلقة بمسألة القضاء في
الاسلام لعلها تفيد القراء الكرام في استنباط العبر الالهية منها.

القضاء في الاسلام:

طبقاً لقواعد الفقه الاسلامي يجب أن يكون القاضي، مؤمناً، عادلاً، عالماً،
متفرساً، حازقاً، طاهراً شجاعاً، صبوراً، وحليماً، وأن يعتبر عمله عبادة ويتحمل
شدته وصعوبته على ان يحتسب أجر هذا العمل عند الله تعالى.

وعلى القاضي تجنب الحكم في موارد المرض والنعاس وفي حال الفرح والسرور والابتلاء بالهم والغم والغضب والجوع وامتلاء البطن والبرد القارس والحر الشديد، وان لا يتعامل بنفسه في أمور البيع والشراء وغيرها من المعاملات حتى لا يحفز الآخرين على التساهل معه أو ابقاء شئ في ذمته عند البيع بسعر رخيص له أو الشراء بسعر عالي منه، وحتى لا يؤاخذ بالحياء؛ لأن النبي ﷺ قال:

«ما عدلَ وال اتجَرَ في رَعِيَّتِهِ أَبَدًا»^١.

وطبقا لقواعد الفقه الاسلامي، يجب على القاضي المساواة بين طرفي الدعوى في جميع الامور مثل السلام والكلام والنظر والمجاملة وسائر أنواع الاكرام والاحترام، وأن يصدر حكمه بما لا يبغي لأحد من قريب أو صديق طمع في مراعاته ولا يئأس العدو من عدالته.

قضاء الامام علي عليه السلام:

جاء في كتاب «الكافي» و«التهذيب»:

أن رجلا نزل بأمر المؤمنين عليه السلام فمكث عنده أياما ثم تقدم إليه في خصومة لم يذكرها لأمر المؤمنين عليه السلام.

فقال له: أخصم أنت؟ قال: نعم، قال: تحول عنا إن رسول الله ﷺ نهى أن يضاف الخصم إلا ومعه خصمه.^٢

١- مستند الشيعة: ٦٧/١٧ المسألة السادسة؛ جواهر الكلام: ٨٣/٤٠، باب كراهة ان يتولى القاضي.

٢- الكافي: ٤١٣٧، باب أدب الحكم، الحديث ٤؛ تهذيب الأحكام: ٢٣٦/٦، الباب ٨٨ الحديث ٤.

ومن الواضح مدى صعوبة طرد ضيف من بيت رجل كريم مثل أمير المؤمنين عليه السلام، الذي يقول:

أكلة يأكلها المسلم عندي، أحب إلي من عتق رقبة.

ان مسألة العدالة في القضاء مسألة مهمة جداً في الاسلام بحيث تدفع أمير المؤمنين عليه السلام رجل الكرم والضيافة لأن يطرد ضيفه من بيته لأنه كان طرفاً في الدعوى؛ لما تقتضيه العدالة في القضاء من المساواة الكاملة بين المتداعين وهو الأصل الذي سعى أمير المؤمنين عليه السلام لتثبيته والتأكيد عليه في القضاء، ولعل القصة التي أوردها ابن ابي الحديد في كتابه «شرح نهج البلاغة» تمثل نموذجاً بارزاً على هذه المسألة:

قضاء عمر:

واستعدى رجل على علي بن أبي طالب عليه السلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى جالس.

فالتفت عمر إليه، فقال: قم يا أبا الحسن فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا، ثم انصرف الرجل ورجع علي عليه السلام إلى محله، فتبين عمر التغير في وجهه، فقال:

يا أبا الحسن، ما لي أراك متغيراً! أكرهت ما كان؟ قال نعم قال:

وما ذاك قال: كنتني بحضرة خصمي، هلا قلت: قم يا علي فاجلس مع خصمك!

فاعتق عمر علياً، وجعل يقبل وجهه، وقال بأبي أنتم! بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمة إلى النور.^١

١- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٦٥/١٧.

الرشوة وحرمتها:

يجب على القاضي أن لا يقبل الهدية من طرفي الدعوى؛ لأنها في حقيقتها نوع من الرشوة وهي محرمة في الاسلام ومذمومة جداً الى درجة أن الرسول الأكرم ﷺ قد لعن الراشي والمرثي كليهما، فقال:

«لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَمَنْ بَيْنَهُمَا يَمْشِي»^١.

كما اعتبر الامام الصادق عليه السلام أخذ الرشوة كفراً بالله تعالى، حيث قال:

«وَأَمَّا الرَّشَا فِي الْحُكْمِ فَهُوَ الْكُفْرُ بِاللَّهِ»^٢.

الهدية وجمع الزكاة:

استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزديين يقال له ابن اللبية على الصدقة فلما قدم قال:

«هذا لكم وهذا أهدي إلي»،

فقام النبي ﷺ على المنبر فقال:

ما بال العامل نبعثه على بعض أعمالنا فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي؟ فهلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر أيهدى له أم لا؟^٣.

فالنفس الانسانية قد تتأثر أحياناً بدافع الحرص والطمع بنوع خاص من الوسوس التي تدفعهم الى الجمع بين أخذ الرشوة ورعاية جانب الحق، رغم صعوبة مثل هذا الأمر؛ لأن من يأخذ الرشوة سوف يفقد القدرة على التحكم

١- مستدرک الوسائل: ٣٥٥/١٧، باب ٨، حديث ٢١٥٦٥.

٢- وسائل الشيعة: ٢٢٣/٢٧، الباب ٨، الحديث ٣٣٦٤٧؛ فقه الرضا: ٢٥٣، الباب ٣٦.

٣- المجموع، محيي الدين النووي: ١٣٠/٢٠؛ البحر الرائق: ٤٧٠/٦.

بعقله بفعل تدخل الأهواء النفسية، ويعجز حينها على التمييز بين الحق والباطل. وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الحقيقة في قوله:

«اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِفَاجِرٍ عَلَيَّ يَدًا وَلَا مِئَنَةً»^١.

العمل الصحيح:

عاقبة بن يزيد القاضي كان يلي قضاء بغداد للمهدي، فجاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهدي، وهو خالٍ.. فاستأذن عليه، فلما استأذنه في مَنْ يَسْلَمُ إليه القمطر الذي فيه قضايا مجلس الحكم، واستغفاه من القضاء، وطلب منه أن يقبله من ولايته .

فظن المهدي أن بعض الأولياء قد عارضه في حكمه، فقال له في ذلك، إنه إن كان قد عارضك أحد، ننكر عليه.

فقال القاضي: لم يكن شيء من ذلك.

فقال: فما سبب استغفائك من القضاء؟

قال: يا أمير المؤمنين، تقدّم لي خصمان، منذ شهر في قضية مُشكّلة، وكل يدعي بينة وشهوداً، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتلبّث، فرددتُ الخصوم، رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما.

فسمع أحدهما أنني أحبّ الرطب، فعمد - في وقتنا هذا، وهو أول أوقات الرطب - فجمع رطباً لا يتهاى الآن، جمع مثله لأمر المؤمنين، وما رأيت أحسن منه، ورشاً بواقي بدراهم على أن يدخل الطبق عليّ، فلما أدخله عليّ أنكرت

١- بحار الأنوار: ١٨٦/٨٣، الباب ٤٣، الحديث ٤٩.

ذلك، وطردت بوآبي، وأمرت برذ الطبق، فرُدَّ عليه.

فلما كان اليوم، تقدّم الخصمان إليّ، فما تساويا في عينيّ ولا في قلبي.
فهذا يا أمير المؤمنين، ما حصل عندي، مع أنني لم أقبل منه الهدية، فكيف
يكون حالي لو قبِلْتُ.

ولا آمن أن تقع عليّ حيلة في ديني، وقد فسد الناس، فأقلني يا أمير
المؤمنين، أقالك الله، واعفني، عفا الله عنك.

شروط القضاء في كلام الامام عليّ عليه السلام:

أن أفضل النصوص التي قبلت في شروط القاضي وصفاته هي ما جاء في
عهد أمير المؤمنين عليه السلام الى مالك الأشتر، حيث عبر عن ذلك بأدق العبارات
وأجملها، اذ قال:

«مَّمَّ اخْتَرَ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لَا
تَضِيقُ بِهِ الْأُمُورَ، وَلَا تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلَا يَتِمَادَى فِي الزَّلَّةِ،
وَلَا يَخْصِرُ مِنَ الْفَيءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ
عَلَى طَمَعٍ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَذْنَى نَهْمٍ دُونَ أَقْصَاءِ، أَوْ قَفَّهْمُ فِي
الشُّبُهَاتِ، وَأَخَذَهُمْ بِالْحَجَجِ، وَأَقْلَهُمْ تَبَرُّمًا بِمَرَاجَعَةِ الْخَصْمِ،
وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكْشُفِ الْأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ،
مِمَّنْ لَا يَزِدُّهُ إِطْرَاءٌ، وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ».

كانت هذه تمثل الصفات التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام للقاضي الصالح،

وفي النهاية اختصر ذلك كله بجملة صغيرة معبرة:

«أُولَئِكَ قَلِيلٌ»^١

لما كانت النفس البشرية تتميز بضعفها وابتلائها أحياناً بالحب والبغض، وفي ظل تأثيرات الشهوة والغضب والخوف والطمع، قلما نجد نفساً قوية يمكنها مقاومة جميع هذه الأخطار والمؤثرات وعدم الوقوع في مكائدها والوصول الى قمة التقوى والنزاهة، ويظهر ذلك خاصة في مجال القضاء الذي يتعرض غالباً لأنواع دقيقة من الحيل والمكائد المرتبطة بالرشوة التي قد توقع أفضل الناس في الحضيض وتكبله بأشد أنواع القيود وأخطرها.

البهلول، العالم المتظاهر بالجنون:

البهلول رجل عالم حكيم تظاهر بالجنون ليتخلص من ضغط الحاكم العباسي هارون الرشيد واصراره عليه بتولي منصب القضاء، فركب قصبه وجعلها بمثابة فرسه ليظن الناس بجنونه وجعل الأطفال يركضون خلفه. وفي تلك الأيام اتفق أن رجلاً أقسم أن يستشير في أمر زواجه أول من يلتقيه في طريقه، فصادف أن التقى البهلول فلم يرد الرجل أن يحث بقسمه، فاستشار البهلول في أمره.

فأجابه البهلول: ان تطلب للزوج باكرا عذراء فكلها نفع ولا ضرر فيها، وان تطلب أرملة فنصفها نفع ونصفها ضرر، لكنك ان تطلب امرأة لها أولاد فكلها ضرر ولا تحصل على أي نفع منها.

ثم اعتلى قصبته وقال: ابتعد عن طريقي لثلا يرفسك حصاني برجله.

١- نهج البلاغة: الرسالة ٥٣؛ بحار الأنوار: ٦٠٤/٣٣، الباب ٣٠، الحديث ٧٤٤.

فتعجب الرجل أن يصدر هذا الكلام الحكيم من هذا الرجل المجنون، فسأله عن سر ذلك.

فاجاب البهلول: لقد أراد هؤلاء القوم ضياع ديني، فاخترت ضياع عقلي حتى أحفظ ديني من الضياع.

فما أشد الوسوس والأهواء التي تزينها الحكومات الفاسدة للناس حتى تفسد عقولهم وتجرحهم الى الفساد والضلال، فيفقدوا حكمتهم وبصيرتهم ويصبحوا عاجزين عن رؤية جمال الحق تعالى.

وحول هذا الموضوع نجد تاريخ القضاء الاسلامي مليئا بالقصص المعبرة التي تبين مدى خوف أهل الحق وخشيتهم من هذا المنصب الخطير للمحافظة على دينهم وعدم الوقوع في أسر الشهوة وطمع النفس.

المحافظة على الدين من خطر أهواء النفس:

ان عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص ان يجعل كعب بن ضنة على القضاء فأرسل إليه عمرو وأخبره بما جاء في رسالة الخليفة الثاني.

فقال كعب: لا والله لا ينجيه الله من الجاهلية ثم يعود فيها ابدا بعد إذ نجاه الله منها فتركه عمرو.

كذلك لما أرسل يوسف بن عمر الحاكم آنذاك الى القاسم بن الوليد الهمداني يوليه القضاء، عمد القاسم الى تكحيل عينيه بالزيت وجز لحيته؛ فلما دخل على يوسف قال: هذا مجنون! أخرجوه.

وروي أن أبو قلابة لما طلب لتولية القضاء في بغداد لحق بالشام، وأقام زمانا فيها متخفيا عن أعين الناس، ثم لما عزل قاضي الشام في تلك الفترة أحس أبو

قلاية بالخطر أيضاً فخرج منها متوارياً في الصحراء حتى ذهب الى أرض اليمامة وبقي فيها فترة طويلة حتى تغيرت الأوضاع آنذاك فأطمأن وعاد مرة اخرى الى العراق.

ثم جاء فلقه أيوب السجستاني فقال له: لو أنك وليت القضاء وعدلت بين الناس رجعت لك في ذلك أجراً، فقال: يا أيوب، السابح إذا وقع في البحر، كم عسى أن يسبح؟.

كذلك عندما ولي عبد الرحمن بن حجيرة في سنة ٧٠ للهجرة قضاء مصر، فسمع والده بالخبر فقال:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾!

هلك ابني وأهلك.

وفي أيام المهدي العباسي أصر على شريك القاضي بتولي منصب القضاء حتى قبل بذلك.

فكتب له برزقه على الصيرفي فضايقه الصيرفي في النقد فقال له الصيرفي: إنك لم تبع به بزا!

فقال له شريك: بل والله بعت به أكثر من البز، بعت به ديني!

وهذه الحقائق تشير الى مدى تجنب الناس عن تحمل أعباء هذه المسؤولية الخطيرة والتلوث بآثامها حتى أن بعض الصالحين كانوا يعتبرون التصدي للقضاء حراماً؛ لأن مصادر الفقه الاسلامي تعتبر التصدي للقضاء واجباً كفائياً، وفي كل عصر وزمان اذا لم يتم أحد بهذه المسؤولية سيكون الجميع مسؤولاً أمام الله.

الشهيد الثاني في كتاب «مسالك الأفهام» يقول:

«وظيفة القضاء من فروض الكفاية، لتوقف نظام النوع الانساني عليه، ولأن الظلم من شيم النفوس فلا بد من حاكم ينتصف للمظلوم من الظالم، ولما يترتب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»^١.

٤- القول الحسن:

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^٢.

ان مورد القول والكلام الحسن كما يقول أهل الفن هو العلاقات الاجتماعية والتعامل بين الناس.

اذ ينبغي على الانسان تجنب القول القبيح والكلام السيء عند التحدث مع أي شخص أو مجموعة أو طائفة من الناس، والابتعاد عن اطلاق العبارات النابية والفحشاء والاستهزاء وأمثالها من الأمور الشيطانية.

وقد أكد القرآن الكريم والنبى الأكرم والأئمة المعصومين عليهم السلام على احترام الناس خاصة المؤمنين منهم.

وينبغي تجنب الكلام بغير مورد الحق وايداء الناس وجرح مشاعر الأبرياء، كما ينبغي الابتعاد عن الاطالة في الكلام والحديث بكلام اللغو والعبث غير المفيد.

كما ينبغي تقييم الكلام قبل اظهاره حتى يخرج مفيدا نافعا للمستمع ويجلب له خير الدنيا والآخرة أو يتضمن منافع معنوية واخلاقية.

١- مسالك الأفهام: ٣٣٦/١٣، كتاب القضاء.

٢- البقرة: ٢: ٨٣

القول الحسن في القرآن:

نهى القرآن المجيد بشدة عن الكلام القبيح والقول السيئ الذي يؤدي الناس لما يتضمنه من اهانة الأفراد أو الاستهزاء بهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ
يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا
مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ
الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ﴾!

والعجيب أن أولئك الذين لا يراقبون كلامهم ولا يقيمونه قبل اظهاره، ويرون أنفسهم أحراراً في كل ما يقولون، قد اعتبرهم القرآن المجيد: من الظالمين والله لا يحب الظالمين.

القول الحسن في الروايات:

تضمنت الكتب الروائية المعتمدة مثل «من لا يحضره الفقيه»، «الكافي»، «وسائل الشيعة»، «الوافي»، «المحجة البيضاء» الكثير من الروايات المهمة حول هذا الموضوع سنشير الى بعضها:

أَخَذَ رَجُلٌ يَلْجَأُ دَائِبَةً رَسُولِ اللَّهِ فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ
الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟»

فَقَالَ: «إِطْعَامُ الطَّعَامِ وَإِطْيَابُ الْكَلَامِ»^١.

وروي:

«ثَلَاثٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبِرِّ، سَخَاءُ النَّفْسِ، وَطَيْبُ الْكَلَامِ، وَالصَّبْرُ
عَلَى الْأَذَى»^٢.

قال رسول الله ﷺ:

إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، يسكنها من
أمتي من أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام،
الخبير.^٣

وفي توضيح الآية: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^٤.

قال: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال فيكم.^٥

عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى الصَّادِقِ وَعِنْدَهُ نَفَرٌ
مِنَ الشَّيْعَةِ فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ: مَعَاشِرَ الشَّيْعَةِ كُونُوا لَنَا زِينًا

١- المحاسن: ٢٩٢/١، الباب ٤٧، الحديث ٤٤٦؛ بحار الأنوار: ٣١٢/٦٨، الباب ٧٩،

الحديث ١٢.

٢- المحاسن: ٦١/١، الباب ١، الحديث ١٤؛ وسائل الشيعة: ١٢٥/١٢، الباب ٨٥

الحديث ١٥٨٣٦.

٣- الأمالي، الشيخ الصدوق: ٣٢٨، المجلس الثالث والخمسون، الحديث ٥؛ بحار الأنوار: ١١٨/٨،

الباب ٢٣، الحديث ٥.

٤- البقرة ٢: ٨٣

٥- الكافي: ١٦٥/٢، باب الإهتمام بأمر المسلمين، الحديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٣٤١/٧١، الباب ٢٠،

الحديث ١٢٥.

وَلَا تَكُونُوا عَلَيْنَا شَيْنًا، قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَاحْفَظُوا أَسْتَكُمْ،
وَكُفُّوْهَا عَنِ الْفُضُولِ وَقَبِيحِ الْقَوْلِ»^١.

وروي:

«قَوْلُ الْحَسَنِ يُثْرِي الْمَالَ، وَيُنْمِي الرِّزْقَ، وَيُنْسِي فِي الْأَجَلِ
وَيُحِبُّ إِلَى الْأَهْلِ وَيَدْخِلُ الْجَنَّةَ»^٢.

وروي:

«الْكَلَامُ ثَلَاثَةٌ فَرَابِغٌ وَسَالِمٌ وَشَاحِبٌ، فَأَمَّا الرِّابِغُ فَالَّذِي
يَذْكُرُ اللَّهَ وَأَمَّا السَّالِمُ فَالَّذِي يَقُولُ مَا أَحَبَّ اللَّهُ، وَأَمَّا الشَّاحِبُ
فَالَّذِي يَخْوِضُ فِي النَّاسِ»^٣.

قال عليٌّ عليه السلام:

«الْكَلَامُ كَالدَّوَاءِ قَلِيلُهُ يَنْفَعُ وَكَثِيرُهُ قَاتِلٌ»^٤.

وجاء في رواية مهمة:

سئل علي بن الحسين عليهما السلام عن الكلام والسكوت أيهما أفضل؟ فقال عليه السلام:

لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت.

قيل: كيف ذلك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: لأن الله عز وجل ما بعث الأنبياء

١- الأمامي، الشيخ الطوسي: ٤٤٠، المجلس الخامس، الحديث ٩٨٧؛ وسائل الشيعة: ١٢/١٩٣، الباب ١١٩، الحديث ١٦٠٦٣.

٢- الخصال: ٣١٧/١، الحديث ١٠٠؛ بحار الأنوار: ٣١٠/٦٨، الباب ٧٩، الحديث ١.

٣- وسائل الشيعة: ١٢/١٩٩، الباب ١٢٠، الحديث ١٦٠٧٩؛ بحار الأنوار: ٢٨٩/٦٨، الباب ٧٨، الحديث ٥٥.

٤- غرر الحكم: ٢١١، الحديث ٤٠٨١؛ ميزان الحكمة: ٥٢٤٨/١١، الكلام، الحديث ١٧٩٠٧.

والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحققت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا توقيت النار بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لاعدل القمر بالشمس، إنك تصف فضل السكوت بالكلام ولست تصف فضل الكلام بالسكوت^١.

وروي:

«سَبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»^٢.

وروي:

«إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْمُنْفَحِّشَ»^٣.

وروي:

«الْجَنَّةُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ فَاحِشٍ أَنْ يَدْخُلَهَا»^٤.

عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله حرم الجنة على كل فحاش بذئ قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له^٥.

وروي:

«الْفُحْشُ وَالْتَفَحُّشُ لَيْسَا مِنَ الْأِسْلَامِ»^٦.

وروي:

-
- ١- الاحتجاج: ٣١٥/٢؛ بحار الأنوار: ٢٧٤/٦٨، الباب ٧٨، الحديث ١.
 ٢- الكافي: ٣٥٩/٢؛ باب السباب، الحديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٢٨١/١٢، الباب ١٥٢، الحديث ١٦٣١١.
 ٣- الكافي: ٣٢٤/٢؛ باب البذاء، الحديث ٤؛ بحار الأنوار: ١٧٦/٧٥، الباب ٢٢، الحديث ٥.
 ٤- مجموعة ورام: ١١٠/١؛ ميزان الحكمة: ٤٥٤٢/٩، الفحش، الحديث ١٥٦٧٩.
 ٥- الكافي: ٣٢٣/٢؛ باب البذاء، الحديث ٣؛ وسائل الشيعة: ٣٥/١٦، الباب ٧٢، حديث ٢٠٩٠٤.
 ٦- غرر الحكم: ٢٢٣، الحديث ٤٤٨٨؛ ميزان الحكمة: ٤٥٤٢/٩، الفحش، الحديث ١٥٦٨٤.

«لَوْ كَانَ الْفُحْشُ خَلْقًا لَكَانَ شَرَّ خَلْقِ اللَّهِ»^١.

وفي باب القول الحسن، يقول الامام الحسن العسكري عليه السلام:

«قُولُوا لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ حُسْنًا مُؤْمِنِهِمْ وَمُخَالَفِهِمْ»^٢.

الهي! فما أعظم شر اللسان وما أشد خطره، الهي! لطالما تهاونا في حفظ لساننا
وإذا ما استمر وضعنا على هذه الحال فستؤول حياتنا بلاشك الى الخسران ونلقى
العذاب الأليم في الآخرة.

الهي! فنسألك بكرمك ولطفك ورحمتك ورأفتك ومحبتك أن تأخذ بأيدينا
وتنقذنا من غفلتنا ومن الوقوع في الهلاك الأبدي، وان تحفظنا في الدنيا والآخرة
وتنصرنا وتعيننا على شر أنفسنا وأهوائها.

٥- القول الأحسن:

توجد آيات كثيرة في القرآن الكريم تذكر موضوع القول الأحسن منها:

الآية: «وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ

يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا»^٣.

الآية: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ»^٤.

١- كنز العمال: ٨٠٩٧؛ ميزان الحكمة: ٤٥٤٤/٩، الفحش، الحديث ١٥٦٩٠.

٢- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٣٥٣، الحديث ٤٠؛ بحار الأنوار: ٣٠٩/٦٨، الباب ٧٩؛ سفينة البحار:

٣٨١/٧، باب القاف بعده الواو.

٣- الاسراء: ١٧: ٥٣.

٤- فصلت ٤١: ٣٣.

والآية: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^١.

ونستفيد من الآيات السابقة في موضوع القول الأحسن:

ان مورد القول الأحسن في المرحلة الاولى هو أثناء الحديث والحوار مع الناس وفي مجال العلاقات الاجتماعية؛ أي ان الله تعالى يأمر الانسان بالاستعانة بأحسن القول وأطيبه عند تعامله مع الناس وحديثه معهم.

وفي المرحلة الثانية، يستعمل القول الأحسن في أمر هداية الناس؛ أي عندما يسعى الانسان الى هداية شخص آخر وانقاذه من الضلالة الى طريق السعادة والسلامة، ينبغي عليه الاستفادة من أفضل القول وأحسنه وهو كلام الله والأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام.

وفي المرحلة الثالثة، القول الأحسن موجود في جميع أقوال القرآن المجيد حيث لانجد قولاً أفضل وأحسن وأصدق وأجمل وأبلغ من قول الله تعالى. ولا يوجد شيء أفضل من أنس الانسان وارتباطه القلبي بالقرآن المجيد بحيث لا ينطق في جميع شؤون حياته بقول غير قول القرآن؛ أي يقيم كل ما يريد قوله بما ينسجم مع كلام القرآن المجيد قبل اظهار والحديث به، أو لا يتكلم مع الناس ولا يبين آراءه سوى بآيات القرآن الكريم وهذا ليس بالأمر الصعب، حيث تذكر كتب الحديث والتاريخ الكثير من هذه النماذج.

فضة خادمة السيدة الزهراء عليها السلام:

أبو القاسم القشيري في كتابه: قال بعضهم:

انقطعت في البادية عن القافلة فوجدت امرأة، فقلت لها: من أنت؟ فقالت:

﴿وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^١.

فهمت أنها تقول ابدأ بالسلام أولاً ثم تكلم ما تريد لأن السلام من علامة

الأدب:

فسلمت عليها، فقلت: ما تصنعين ههنا؟ قالت:

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾^٢.

فعلمت أنها ضلت الطريق وتأمل أن يهديها الله الى الطريق.

فقلت: أمن الجن أنت أم من الانس؟ قالت:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^٣.

فعلمت أنها من الأنس.

فقلت: من أين أقبلت؟ قالت:

﴿يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾^٤.

فعلم أنها جاءت من مكان بعيد.

فقلت: أين تقصدين؟ قالت:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾^٥.

١- الزخرف ٤٣: ٨٩.

٢- الزمر ٣٩: ٣٧.

٣- الأعراف ٧: ٣١.

٤- فصلت ٤١: ٤٤.

٥- آل عمران ٣: ٩٧.

ففهم أنها تقصد حج بيت الله الحرام.

فقلت: متى انقطعت؟ قالت:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^١.

فعلم أنه مضى عليها ستة أيام في الطريق الى مكة المكرمة.

فقلت: أتشتهين طعاما؟ فقالت:

﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾^٢.

فعلم أنها لم تأكل الطعام طيلة هذه الأيام وأنها جائعة.

فأطعمتها، ثم قلت: هرولي ولا تعجلي، قالت:

﴿لَّا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾^٣.

فقلت: أردفك؟ فقالت:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^٤.

ففهم أنها تقول ان اتصال جسم الرجل مع المرأة حرام.

فترلت فأركتبها، فقالت:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^٥.

١- ق ٥٠: ٣٨.

٢- الأنبياء ٢١: ٨.

٣- البقرة ٢: ٢٨٦.

٤- الأنبياء ٢١: ٢٢.

٥- الزخرف ٤٣: ١٣.

فعلم أنها تشكر الله على نعمه وفضله.

فلما أدر كنا القافلة قلت: ألك أحد فيها؟ قالت:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾^١.

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾^٢.

﴿يَا مُوسَى إِنَّي أَنَا اللَّهُ﴾^٣.

﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾^٤.

فعلم أنها تعرف أربعة أشخاص بأسماء محمد ويحيى وموسى وداود.

فصحت بهذه الأسماء، فإذا أنا بأربعة شباب متوجهين نحوها، فقلت: من

هؤلاء منك؟ قالت:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^٥.

ففهم أنهم أبناؤها.

فلما أتوها قالت:

﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^٦.

فكافؤني بأشياء فقالت:

١- آل عمران ٣: ١٤٤.

٢- مريم ١٩: ١٢.

٣- القصص ٢٨: ٣٠.

٤- ص ٣٨: ٢٦.

٥- الكهف ١٨: ٤٦.

٦- قصص ٢٨: ٢٦.

﴿وَاللَّهُ يَضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^١.

فزادوا علي فسألتهم عنها فقالوا: هذه أمانة جارية الزهراء عليها السلام ما تكلمت منذ عشرين سنة إلا بالقرآن.^٢

نعم، القرآن الكريم يتضمن أحسن القول وأحسن القصص وأحسن القانون، وكلما من يجعل جميع أمور حياته منسجمة مع تعاليم هذا الكتاب الالهي سيتميز بأحسن قول وأحسن عمل وأحسن أخلاق وأحسن أجر.

٦- القول الكريم:

﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^٣.

أحد موارد القول الكريم عند التعامل مع الوالدين والحديث معهم، وسيأتي في شرح الباب الحادي والسبعين من «مصباح الشريعة» ذكر بعض المطالب القيمة من الآيات والروايات.

٧- القول اللين:

﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾^٤.

يتضح من الآية الشريفة أن مورد القول اللين هو عند الحديث مع الطغاة

١- البقرة ٢: ٢٦١.

٢- بحار الأنوار: ٨٦/٤٣ - ٨٧، باب ٤.

٣- الاسراء ١٧: ٢٣.

٤- طه ٢٠: ٤٣-٤٤.

والظلمة لعله يقلل من طغيانهم أو ظلمهم ويددعه الى التذكر والعودة الى طريق الحق، اذ لو تم التعامل معهم من البداية بخشونة لزد ذلك من ظلمهم وطغيانهم ولما تحقق الغرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي هذا المجال ينبغي التدقيق بتعامل القرآن الكريم وهو يمثل في الواقع تعامل حضرة الحق مع الطغاة والمذنبين، حتى يتضح لكم كيفية التعامل مع أهل المعصية وهو في المرحلة الاولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالقرآن عندما يدعو أهل المعصية يحمل لهم مع هذه الدعوة الأمل بالرحمة والمغفرة حتى تلين قلوبهم القاسية ويعود للحق تعالى ويصبح أخا لأهل الايمان وضمن قائلتهم.

فاسلامنا العزيز يسعى دائما لهداية أهل المعصية حتى لو لم يبق منهم سوى شخص واحد فقط، لكنه اذا ما رأى بعدم وجود أي فائدة من أهل الطغيان وأنهم لن يعودوا الى الصراط المستقيم سيتركهم ويتردهم من رحمة الله. ولا يسمح الاسلام أبداً للمؤمن والمسلم أن يبعد أخيه المؤمن، وكل من يبعد مؤمناً أو مسلماً يكون في الواقع قد أبعد الله عنه واتبع هواه؛ أي تخلق بأخلاق الكفار وعبدة الأوثان الذين يسعون دائماً لابعاد الحق والحقيقة.

٨- قول الايمان:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾!

ما يستفاد من آيات القرآن الكريم والكثير من الروايات في كتب الحديث

المهمة أن الايمان يتألف من ثلاثة أركان:

١- الايمان بالقلب.

٢- العمل بالجوارح.

٣- الاقرار باللسان

لأن كسب العلم والمعرفة يؤدي الى ائارة قلب الانسان بنور الايمان ويقوي فيه الاعتقاد بالله والقيامة والحقائق الالهية، ثم ينتقل هذا الايمان الى الجوارح وأعضاء البدن لتعمل به، ثم يظهر باقرار اللسان به وابلاغه للناس واطهاره لهم حتى تتضح حقيقة هذا الانسان المؤمن وقيمه الالهية.

ان وظيفة اللسان في كل حال هي نشر الايمان في المجتمع والاسرة وفي كل محل ومكان، وتجنب بيان الحقائق الالهية انما ينشأ عن ضعف الايمان أو الخوف الناشئ عن الحالات الشيطانية والأمراض الروحية والنفسية.

ولولا لسان رجال الحق والحقيقة لما انتشر الايمان في المجتمعات الاسلامية، ولما شاعت ثقافة الاسلام الباعثة للسعادة الالهية في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والأسرية.

نعم، لسان أنصار الحق كان الضامن لاستمرار الدين وبقائه وانتشاره طيلة مراحل التاريخ، اضافة الى التضحيات الكثيرة التي قدمها أبطال الايمان من أولياء الله التي أوصلتهم الى ساحات الشهادة في سبيل الله، حيث ساهمت مع اللسان في نشر تعاليم الاسلام وحقائق الايمان في كل زمان ومكان.

لقد ساهم لسان الأنبياء والأئمة والأولياء ورجال الايمان امثال حجر بن عدي ورشيد الهجري وأبو ذر الغفاري وميثم التمار وغيرهم في اشعال جذوة الايمان

والحقائق الالهية لتبقى وهاجّة طيلة التاريخ لتثير درب الحقيقة والايامن لجميع الأجيال حتى يوم القيامة.

اذ لم يتوقف هؤلاء العظام أبداً عن ذكر الله ليل نهار، وفي كل لحظة وآن، ولم يتكلموا أبداً سوى بكلام الحق وذكر الله تعالى وكلام الهداية وعبارات العشق والتقرب الى حضرة الحق.

٩- القول السديد:

يوجد موردان للقول السديد:

١- رعاية التقوى

٢- عند التعامل مع اليتامى

فيما يتعلق برعاية التقوى، فقد جاء في سورة الأحزاب:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^١

أما بالنسبة للتعامل مع اليتامى، فقد جاء في سورة النساء:

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا

عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^٢

فيجب على الانسان أن يخشى عاقبة الأمور، اذ لربما سترك فيما بعد أيتاماً وهو يأمل ان يتعامل الناس معهم بحسن ومودة، لذا ينبغي عليه هو أيضا أن يتعامل مع أيتام الآخرين بالكلام الحسن والقول السديد.

١- الأحزاب ٣٣: ٧٠.

٢- النساء ٤: ٩.

١٠- القول المعروف:

مورد القول المعروف في المرحلة الأولى يكون مع السفهاء، ثم في المرحلة الثانية يكون مع أقرباء الميت والأيتام والمساكين. في هذا الموضوع يقول القرآن المجيد:

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^١.

وأيضاً:

﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^٢.

١١- القول الميسور:

ان مورد القول الميسور هو عند التعامل مع الانسان المعوز الذي دفعته ظروف الحياة المعيشية الى مد يده الى الآخرين لطلب المعونة، لكن عندما يكون الانسان عاجزا عن مساعدته ورفع حاجته عليه على الأقل أن يلاقه بوجه حسن ويتحدث معه بكلام مؤدب ولطيف تملأه المحبة والرأفة، أو كما يقول القرآن الكريم يقول له قولاً ميسوراً حتى يدخل السرور في قلبه وينصرف عن الانسان برضا وقبول.

﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ائْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ

١- النساء: ٤: ٥.

٢- النساء: ٤: ٨.

لَهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿١٠﴾

تمثل هذه الآيات نموذجاً على آيات القرآن الكريم التي تبين ضرورة أن يستعمل الإنسان في حديثه الكلام المناسب لكل مورد من الموارد، حتى لا يرتكب الذنوب من جهة اللسان والقول والكلام، ويمكنه بالتالي كسب رضا الله وإبعاد الناس عن أذى لسانه وشروبه، لأن اللسان والكلام في مورده يعد أفضل وسيلة للنجاة وأحلى النعم الألهية وأجملها، وفي غير مورده يعد أشد وسيلة للهلاك وأساء أعضاء الإنسان.

«وَكَذَلِكَ لَا مَعْصِيَةَ أَشْغَلُ عَلَى الْعَبْدِ وَأَسْرَعُ عُقُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَشَدُّهَا مَلَامَةً
وَأَعْجَلُهَا سَأَمَةً عِنْدَ الْخَلْقِ مِنْهُ. وَاللِّسَانُ تَرْجُمَانُ الضَّمِيرِ وَصَاحِبُ خَبَرِ
الْقَلْبِ وَبِهِ يَنْكَشِفُ مَا فِي سِرِّ الْبَاطِنِ وَعَلَيْهِ يُحَاسَبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

آفات اللسان:

لا توجد معصية كمعصية اللسان أشغل على العبد وألهى له وأسرع عقوبة عند
الله وأشدّها ملامة وأعجلها سامة عند الناس.

فاللسان والقول يترجم ما في ضمير الانسان ويخبر عن أسرار ومكنونات قلبه
ويجلب لصاحبه المحاسبة الشديدة من الله تعالى يوم القيامة.

والحق، يفرض على الانسان أن يستعيز بالله من شر لسانه، وأن يدعو حضرة
الحق لحفظه من الذنوب والآثام.

وفي كتابيهما «احياء العلوم» و«المحجة البيضاء» ذكر الغزالي والفيض ما
يقرب من عشرين ذنبا وآفة للسان تكفي كل واحد منها لهلاك الانسان وهدم
هيكل سعادته، وهذه الذنوب ليست صعبة على اللسان بل ارتكابها والتلوث بها
يعد من أسهل الامور وأهونها على الانسان.

١- كلام اللغو والعبث

٢- الاطالة في الكلام

- ٣- الخوض في الباطل
- ٤- المراء والمجادلة
- ٥- قول العداء والخصومة
- ٦- التصنع والتكلف في القول والكلام بالسجع والقافية بحيث لا يفهم المستمع منه شيئاً، وانما يتحدث به للتظاهر فقط.
- ٧- الفحشاء والسب والبذاء
- ٨- اللعن بلا سبب
- ٩- الغناء والشعر الباطل
- ١٠- المزاح بلا سبب بحيث يؤدي الى ايذاء الناس
- ١١- السخرية والاستهزاء
- ١٢- افشاء السر
- ١٣- الوعد الكاذب
- ١٤- الكذب
- ١٥- الغيبة
- ١٦- اثاره الفتنه
- ١٧- النفاق
- ١٨- المدح والذم في غير محله
- ١٩- اظهار العلم في الاختصاصات المختلفه خاصة في المعارف الالهية.
- ٢٠- السؤال في غير محله

«وَالكَلَامُ خَمْرٌ يُسَكِّرُ الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ مَا كَانَ مِنْهُ لِغَيْرِ اللَّهِ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَقَّ بِطُولِ السَّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ. قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: إِحْفَظْ لِسَانَكَ عَنْ خَبِيثِ الكَلَامِ وَفِي غَيْرِهِ لَا تَسْكُتُ إِنْ اسْتَطَعْتَ. فَأَمَّا السَّكِينَةُ وَالصَّمْتُ فَهِيَ هَيْئَةٌ حَسَنَةٌ رَفِيعَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْلِهَا وَهُمْ أَمْنَاءُ أَسْرَارِهِ فِي أَرْضِهِ».

كلام اللغو:

الكلام بالباطل واللغو هو كالخمر الذي يسكر القلوب والعقول فيضلها عن طريق الحق، ولا شئ يستحق طول السجن أكثر من اللسان. وقد قال بعض الحكماء:

«إِحْفَظْ لِسَانَكَ عَنْ خَبِيثِ الكَلَامِ وَفِي غَيْرِهِ لَا تَسْكُتُ إِنْ اسْتَطَعْتَ».

أما الوقار أو السكينة والصمت فهي صفة حسنة رفيعة من عند الله لأصحابها، وهم أمناء أسرار الله وخلفائه في أرضه.

وقد جاء توضيح مسألة السكوت والصمت بالتفصيل في شرح الحديث السابع العشرين، إذ يمكنكم الوقوف على أهميتها وعظمتها من خلال مراجعة ذلك الفصل.

الباب

(٤٧)

في المدح والذم

قال الصادق عليه السلام:

لا يصير العبد عبداً خالصاً لله تعالى حتى يصير المدح والذم عنده
سواءً، لأن المدح عند الله لا يصير مذموماً بدمهم وكذلك المذموم.

ولا تفرح بمدح أحد، فإنه لا يزيد في منزلتك عند الله ولا يفنيك عن
المحكوم لك والمقدور عليك.

ولا تحزن أيضاً بدم أحد، فإنه لا ينقص عنك ذرةً ولا يحط عن درجة
خيرك شيئاً.

واكتف بشهادة الله تعالى لك وعليك، قال الله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ
شَهِيداً﴾^١.

ومن لا يقدر على صرف الذم عن نفسه ولا يستطيع على تحقيق المدح
له كيف يرجى مدحه أو يخشى ذمه.

واجعل وجه مدحك وذمك واحداً، وقف في مقام تغتنم فيه مدح الله
عز وجل لك ورضاه، فإن الخلق خلقوا من العجز من ماء مهين فليس لهم
إلا ما سعوا، قال الله عز من قائل: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^٢.

﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا
حَيَاةً وَلَا نُشُوراً﴾^٣.

١- النساء: ٤: ٧٩.

٢- النجم: ٥٣: ٣٩.

٣- الفرقان: ٢٥: ٣.

«لَا يَصِيرُ الْعَبْدُ عَبْدًا خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى حَتَّى يَصِيرَ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ عِنْدَهُ سَوَاءً، لِإِنَّ الْمَمْدُوحَ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَصِيرُ مَذْمُومًا بِذَمِّهِمْ وَكَذَلِكَ الْمَذْمُومُ».

حقيقة المدح والذم:

أشار الامام الصادق عليه السلام في هذا الفصل الى مسألة مهمة تمثل علامة لخلوص العبد وصفائه.

في المقطع الأول من الرواية، قال الامام:

ان العبد لا يصير عبداً خالصاً لله تعالى ما لم يتساوى عنده المدح والذم بحيث لا يتغير حاله بمدح انسان أو ذمه له؛ لأن الانسان الممدوح عند الله تعالى بايمانه وعمله الصالح لا يصبح مذموماً بمذمة الناس، والمذموم عند الله تعالى لا يصير ممدوحاً بمدح الناس وتمجيدهم.

فالمدح والذم الحقيقي يرتبط فقط بعالم الملكوت وليس بعلاقة الناس والارتباط بهم، اذ لا يمكن للناس الوقوف على باطن الانسان وصفاته وما في ضميره في الماضي والحاضر، فالممدوح عند الله هو الممدوح الحقيقي والا كان مذموماً يلاحقه غضب الله وسوء العاقبة.

فلو اتفق جميع الناس على مدح شخص وتمجيده، لكن الحق تعالى خالفهم

في ذلك، فلن يقدم له هذا المدح شيئاً ولا قيمة له أبداً، ولو اتفق الناس جميعاً على ذم هذا الانسان، لكنه حضي بمدح الحق تعالى، فلن يقلل هذا الذم من شأنه شيئاً أبداً.

ان الأنبياء وخاصة أولياء الحق هم أكثر الناس استحقاقاً للمدح والتمجيد وأبعدهم عن الذم، أما بقية الناس فلا يخلون من العيب والنقص؛ لذا لا ينبغي الرضا والفرح بمدح الناس أو الحزن من ذمهم.

فمدح الناس لا يزيد من منزلة الانسان عند الحق تعالى ولا يؤثر في قيمة العبد عنده، وكذلك لا يقلل ذم الناس من شأن الانسان شيئاً ولا يؤثر في حظه من الخير أو من قيمته عند الله تعالى.

«وَلَا تَفْرَحْ بِمَدْحِ أَحَدٍ، فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ فِي مَنْزِلَتِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا يُغْنِيكَ عَنِ الْمَحْكُومِ لَكَ وَالْمَقْدُورِ عَلَيْكَ. وَلَا تَحْزَنْ أَيْضًا بِذَمِّ أَحَدٍ، فَإِنَّهُ لَا يَنْقُصُ عَنْكَ ذَرَّةً وَلَا يَحُطُّ عَنْ دَرَجَةِ خَيْرِكَ شَيْئًا، وَاکْتَفِ بِشَهَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَكَ وَعَلَيْكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾».

مدح الآخرين وذمهم:

لا تفرح بمدح أحد، لأنه لا معنى له مع كل الذنوب والخطايا والاشتباكات التي تمر على الانسان ولا يعلم بها الا الله تعالى، واعلم ان مدح الآخرين لك لا يزيد من منزلتك عند الله ولا يغنيك عن المحكوم لك والمقدور عليك بما تقتضيه حكمة ومصلحة الحق تعالى.

كذلك لا تحزن بدم أحد لك، فانه لا ينقص ذرة من منزلتك ومقامك عند الله تعالى ولا يقلل من درجة خيرك شيئاً، والأفضل أن تكتف بشهادة الله وحكمه لك أو عليك، لأن مدح الحق هو الذي يستحق الرضا والفرح وهو الذي يزيد من منزلتك عند الله، أما اذا تعرضت لدم الحق تعالى فعليك بتدارك علل هذا الدم وتجاوزها لأنه يوجب غضب الله وسخطه ويوقعك في ورطة الهلاك وسوء العاقبة.

والحق، علينا جميعاً الشعور بالخجل والتدلل والخضوع والخشوع أمام الله تعالى من ضئالة عباداتنا وكثرة ذنوبنا بالمقارنة مع عظمة الحق وعناياته ولطفه ورحمته.

وعلى هذا الأساس، لماذا نفرح بمدح المداحين لنا اذا لم نكن نستحق هذا المدح والتمجيد، فهو مدح ناشئ عن جهل المداح وغفلته وما ينتج عن الجهل والغفلة لا يستحق الفرح والسرور به، كما لا ينبغي أن نحزن من ذمهم لنا لأننا نستحق فعلا الذم حتى لو كنا نمتلك عبادة الأنس والجن، ليكون هذا الذم دافعا لكبح جماح النفس عن الطغيان والتكبر ورذائل الأخلاق!.

«وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى صَرْفِ الذِّمِّ عَنِ نَفْسِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ عَلَى تَحْقِيقِ الْمَدْحِ لَهُ كَيْفَ يُرْجَى مَدْحُهُ أَوْ يُخْشَى ذَمُّهُ».

استحقاق المدح والذم:

لماذا نخشى ونخاف من الذم الصادر من شخص يستحق الذم ولا يقدر على صرفه عن نفسه، وكيف يمكن الفرح بمدحه وهو لا يستطيع تحقيق العلل الحقيقية لمدح نفسه، اذ لا قيمة ولا اعتبار للذم أو المدح الذي يصدر من أي شخص سوى الصادر من الله تعالى والأنبياء والأئمة عليهم السلام، لهذا ينبغي أن يتساوى عند الانسان المدح والذم الصادر من الأشخاص ولا يؤثر فيه تمجيدهم أو تكذيبهم له.

«وَأَجْعَلَ وَجْهَ مَدْحِكَ وَذَمِّكَ وَاحِدًا وَقَفَّ فِي مَقَامِ تَغْتَنِّمٍ فِيهِ مَدْحَ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ لَكَ وَرِضَاهُ، فَإِنَّ الْخُلُقَ خُلِقُوا مِنَ الْعَجْزِ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ فَلَيْسَ لَهُمْ
إِلَّا مَا سَعَوْا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا
سَعَى﴾^١. ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا
حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾^٢.

المدح والذم اللغو:

عليك أن تجعل من مدحك وذمك واحداً، وأن تغتنم ما فيه مدح الله تعالى
ورضاه، فقد خلق الخلق من العجز والضعف وليس لهم إلا ما سعوا، حيث قال
الله تعالى:

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

وقال أيضاً: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾.

١- النجم ٥٣: ٣٩.

٢- الفرقان ٢٥: ٣.

لذا ينبغي على كل شخص في أيامه المعدودة في الحياة الدنيا أن يفكر جدياً بسعادته وسلامته في الحاضر والمستقبل، وأن لا يهدر وقته الثمين في الفرح أو القلق بمدح الآخرين وذمهم، أو يستهلك وقته في مدح الآخرين أو ذمهم، فهو ما نطلق عليه المدح والذم اللغو، إذ ينبغي القول عن هذا المدح أنه ليس مدحاً بل تملقاً ومجاملة، والقول عن الذم اللغو أنه نوع من الحسد والعداء والحقد واطهار عقدة الحقدرة والذلة، وما يسببه هذا الأمر من أضرار جسيمة وجرائم خطيرة وكتم للاستعدادات والقابليات.

لكننا وللأسف نشهد الكثير من الشعراء المتميزين في قابلياتهم الشعرية، يستهلكون قابلياتهم العقلية التي وهبها الله لهم في مدح الملوك والأمراء والمدراء والوزراء من الطغاة والظلمة وخدامهم وعملائهم، بدلاً من توظيفها في كسب المعارف والحكم الإلهية.

فمثلاً ما كتب من أشعار تمدح ملوك القاجار لم يكتب في حق أي نبي أو أمام. فقد وصفهم الشعراء بأنهم ظل الله، ومالكي رقاب الخلق، وأسباب نشر العدالة، وخلفاء الله، وما فوق الموجودات، وملجأ الإسلام وغيرها، مما زاد من طغيانهم وغرورهم وتكبرهم فجلب المصائب والويلات على الشعوب والملل، في حين كان هؤلاء الملوك يمثلون في الحقيقة ظل الشيطان أو نفس الشيطان حتى أصبحوا أذلة وعبداً لأهواء أنفسهم، وكانوا أسباب الظلم وخلفاء إبليس وما دون الحيوانات وهادمي دين الله، بحيث لا تدل أعمالهم وأفعالهم سوى على هذه الأوصاف!

وكان من اللازم هنا أن نذكر نموذجاً لمدح أحد الملوك الطغاة الذي كان

يمثل أحد الأساطير في الظلم والطغيان، صدح به أحد الشعراء المتميزين والمعروفين في فنهم حتى ندرك كيف تستهلك هذه العقول الفعالة والأصيلة في اللغو والعبث والأمور التافهة.

وحقا، عندما يقرأ الانسان هذه الأبيات يغرق في بحر من التعجب لمدى ما يمكن أن يصل اليه شاعر معروف من تملق وذل وخنوع!! لما تضمنته من كذب وتملق وخداع لهؤلاء الملوك والسلاطين الظلمة الطغاة، بل تمتلأ هذه الأشعار بالكفر والشرك والنفاق لأنها تتضمن أمورا لا تقال الا في حق الله تعالى.

المدح والذم في الروايات:

قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ فَاحْتُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ»^١.

وجاء في رواية أخرى:

أن رجلا مدح عثمان، فحشى المقداد مع عظم شأنه الحصى في وجهه، لما كبر عليه من مدحه، وأن الذم أولى به.

فقال له عثمان: ما شأنك؟ قال: هذا أمر رسول الله^٢.

فروى أن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَادِحِينَ فَاحْتُوا فِي وُجُوهِهِمُ

التُّرَابَ»^٣.

١- الجمل: ١٧٨، فصل في إعتراض أبي ذر على عثمان؛ نهج الحق: ٣٠٤.

٢- نهج الحق: ٣٠٤؛ طرائف: ٤٩١/٢.

٣- شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد: ٧٢/١٢؛ كثر العمال: ٨٣٣١.

وقال علي عليه السلام:

«اعلموا أنه ليس بعاقل من انزعج من قول الزور فيه، ولا
بحكيم من رضى ببناء الجاهل عليه»^١.

وجاء في رواية اخرى:

ولا تغتر بقول الجاهل ولا بمدحه فتكبر وتجبر وتعجب بعملك، فان أفضل
العمل العبادة والتواضع.^٢

ومدح قوم أمير المؤمنين عليه السلام في وجهه فقال:

«اللهم إنك أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم
اجعلنا خيرا مما يظنون، واغفر لنا ما لا يعلمون»^٣.

وفي وصية الامام الباقر عليه السلام الى جابر الجعفي تضمنت معاني قيمة جداً:

وأوصيك بخمس: إن ظلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن. وإن كذبت فلا
تغضب. وإن مدحت فلا تفرح. وإن ذممت فلا تجزع. وفكر فيما قيل فيك، فإن
عرفت من نفسك ما قيل فيك فسقوطك من عين الله عز وجل عند غضبك من
الحق أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس. وإن كنت على
خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن يتعب بدنك.

واعلم بأنك لا تكون لنا وليا حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك وقالوا: إنك
رجل سوء لم يحزنك ذلك، ولو قالوا: إنك رجل صالح لم يسرك ذلك ولكن

١- الكافي: ٥٠/١، باب النوادر، الحديث ١٤؛ بحار الأنوار: ٤٦/٧٥، الباب ١٦، الحديث ٥٨.

٢- تحف العقول: ٣٠٣.

٣- نهج البلاغة: ٤٨٥، الحكمة ١٠٠؛ بحار الأنوار: ٣٤٣/٣٤، الباب ٣٥، الحديث ١١٦١.

اعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكا سبيله زاهدا في تزهيده راغبا في ترغيبه خائفا من تخويفه فأثبت وأبشر، فإنه لا يضرك ما قيل فيك. وإن كنت مبائنا للقرآن فماذا الذي يفرك من نفسك^١.

وجاء في رواية عن رسول الله ﷺ:

«ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق»^٢.

وجاء أيضاً:

«أكبر الأوزار تزكية الأشرار»^٣.

وجاء في رواية عن رسول الله ﷺ:

«اذا مدح الفاجر اهتز العرش وغضب الرب»^٤.

فهلّموا نظهر قلوبنا من غير الحق، ونظهر ألسنتنا من كل أنواع اللغو والعبث من مدح ووصف وتمجيد وتكذيب وذم، ونستغل كل لحظة من وقتنا وعمرنا في ثناء حضرة الحق ومدحه لأنها تجارة لن تبور، فلا معين ولا ملجأ لنا سوى الله، وكل شيء غيره لا يعدو سوى مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة.

١- تحف العقول: ٢٨٤؛ بحار الأنوار: ١٦٣/٧٥، الحديث ١.

٢- المحجة البيضاء: ٢٨٣/٥، كتاب آفات اللسان.

٣- غرر الحكم: ٤٧٩، الحديث ١٠٩٩٨.

٤- تحف العقول: ٤٦؛ بحار الأنوار: ١٥٢/٧٤، الباب ٧، الحديث ٨٤.

الباب

(٤٨)

في ذم المرء

والجدال والنزاع

قال الصادق عليه السلام:

المرء داءٌ دويٌّ وليس في الإنسان خصلةٌ أشدَّ منه وهو خلقُ إبليسَ
ونسبته.

فلا يُماري في أيِّ حالٍ كان إلا من كان جاهلاً بنفسه وبغيره، محروماً
من حقايق الدين.

روي أن رجلاً قال للحسين بن علي رضي الله عنهما: اجلس حتى نتناظر في
الدين فقال: يا هذا أنا بصيرٌ بديني، مكشوفٌ على هداي فإن كنت جاهلاً
بدينك فاذهب فاطلبه مالي وللمماراة؟!!

وأن الشيطان ليوسوس للرجل ويُنَاجيه ويقول: ناظرِ الناس في الدين
لئلا يظنوا بك العجز والجهل.

ثم المرء لا يخلو من أربعة أوجه:

إما أن تماري أنت وصاحبك فيما تعلمان، فقد تركتما بذلك النصيحة
وطلبتما الفضيحة وأضعتما ذلك العلم.

أو تجهلانه فأظهرتما جهلاً.

وأما تعلمه أنت فطلمت صاحبك بطلبك عفته.

أو يعلمه صاحبك فتركت حرمة ولم تنزله منزله، وهذا كله محالٌ

لمن أنصف وقبل الحق.

ومن ترك المماراة فقد أوثق إيمانه وأحسن صحبة دينه وصان عقله.

إن ملكة التوُّب كملكة التخيل في إراث الوهن في المدرك.

«المرء داءٌ دويٌّ وليسَ في الإنسانِ خصلةٌ أشْرُ منه وهو خلقُ إبليسَ
ونسبتهُ فلا يُماري في أيِّ حالٍ كانَ إلا مَنْ كانَ جاهلاً بنفسِهِ وبغيرِهِ
مَحْرُومًا مِنْ حَقَائِقِ الدِّينِ».

حقيقة المرء والجدال:

في هذه الرواية المتضمنة لكثير من التعاليم المهمة، يقول الامام الصادق عليه السلام:
المرء يعني الجدال والنزاع والتخاصم في الكلام، وهو داء شديد وخطير جداً
وأشر خصلة في الانسان. وهو التلاسن والجدال في قبال الحق الواضح والكلام
المبرهن، ومن أخلاق إبليس التي آل على نفسه هذا اللعين نشرها بين الناس.
وقد أشار القرآن الكريم كثيرا الى مسألة جدال ومرء ابليس في قبال الحقائق
الواضحة المسلم بها، حتى يتمكن من خلالها هداية الناس الى طريق الحق
وارشادهم الى عدَم المرء والجدال في قبال الحق.

فان اتضح الحق وتجلى لك في جميع شؤون حياتك وأنير بالنور الالهي وثبت
بالاستدلال والبرهان والحكمة، فعليك الخضوع التام له وقبوله والتزين به وتجنب
النزاع والخصومة والجدال فيه؛ لأن المرء والجدال الباطل علة الهلاك ووسيلة
الفضيحة وعلة الحرمان من الفيوضات الالهية والربانية وحجب الرحمة الالهية
الواسعة والكرم الرباني اللامتناهي.

أو ليس النزاع والتخاصم والمرء والجدال في مسألة فطرية أو في حقيقة واضحة أو في مسألة علمية أو دينية أو اجتماعية ثابتة بالدليل والبرهان، هو جزء من أخلاق الشيطان وصفاته المدمومة؟!

فهل اتباع صفات الشيطان وأخلاقه الرذيلة يليق بالانسان المتدين العاقل المنصف؟

وعلى هذا الاساس، تعامل قوم نوح مع نوح، وقوم هود مع هود، وقوم صالح مع صالح، وقوم نمرود مع ابراهيم، وقوم فرعون مع موسى، وقوم فريسيان مع عيسى، وتعامل أهل مكة مع النور الالهي والوجود القدسي لخاتم الأنبياء محمد رسول الله ﷺ، وتعامل أصحاب السقيفة مع أسد الله، عين الله، يد الله الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، وتعامل أهل الشام والقاسطين والناكثين والمارقين معه، لا يمثل سوى نوع من المرء والتخاصم والنزاع والجدال.

ولطالما أدى المرء والجدال الى تمزق الدول وتفتيت وحدة الشعوب والملل، ولطالما جلب المصائب والويلات على أولياء الله، ولطالما قضى على الاستعدادات والقابليات الانسانية!!

فلا تجادلوا في الحق، وتجنبوا المرء، واركوا النزاع في الكلام والقول، وكونوا من أهل الخضوع والخشوع والتواضع، واقبلوا بسهولة ويسر الحقائق والوقائع الثابتة الواضحة، ولا تؤدوا بأنفسكم والآخرين الى الباطل والهلاك وسوء العاقبة، وسيروا في طريق الحق وتخلقوا بالأخلاق الالهية الفاضلة المنسجمة مع أخلاق الأنبياء والأولياء.

ولا تلوثوا قلوبكم بالآثام والأوهام، ولا تحجبوا عنها نور الله، ولا توقعوا النفس في ظلمة الخبائث والذنوب، ولا تميتوا أرواحكم، وأزيلوا الحجب بينكم

وبين نور الحق، ولا تجادلوا الأنبياء والأئمة والصالحين وأهل النصيحة الذين لا يبتغون سوى خيركم ونفعكم في الدين والدنيا، فاستيقضوا من غفلتكم لأنكم تمثلون مرآة لانعكاس صفات حضرة الحق، فلا تشوهوا هذه المرآة بالذنوب والمعاصي لأنه لا ينعكس الندم بعد فوات الأوان.

فهلّموا تفكر في حضرة الحق تعالى كما يفعل أولياء الله، ولا نتحدث الا فيه ومعه وعنه، وهلموا نخلق نحو رحمته وعالم لطفه حتى نصبح منه واليه، ونلهج بذكره ومحبه وتناجي عظمته وجلاله.

بعد أن علمت أن المماراة والجدال من صفات ابليس، فاعلم ان المرء لا يرد على الانسان ما لم يكن جاهلاً بنفسه وغيره، وكان محروماً من المعارف والحقائق الدينية والصفات الحميدة؛ فاذا ما صرف الانسان العجز والقصور الى نفسه واعترف بجهله وعجزه، وأدرك أن العلم بحقيقة الأشياء والوقائع والحقائق انما تخص ذات الباري والنفوس المقدسة، واعتقد بمضمون فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ، فانه سيتمكن من غلق باب المرء والجدال والنزاع ولا يقدم عليه أبداً.
وجاء في الحديث:

«أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام: اجلسْ حَتَّى تَتَنَاظَرَ فِي الدِّينِ».

فَقَالَ: يَا هَذَا أَنَا بَصِيرٌ بِدِينِي، مَكْشُوفٌ عَلَى هُدَايَ فَإِنْ كُنْتَ جَاهِلًا بِدِينِكَ فَادْهَبْ فَاطْلُبْهُ مَالِي وَلِلْمُمَارَاةِ!«.

١- بحار الأنوار: ١٣٥/٢، الباب ١٧، الحديث ٣٢؛ مستدرك الوسائل: ٧٤/٩، الباب ١١٧، الحديث

الجدال بالتي هي أحسن:

رغم ان الاسلام العزيز قد حرّم في آيات القرآن والروايات المعتمدة المرء والجدال والنزاع والتخاصم حيث سنشير فيما بعد الى موارد هذا التحريم، لكنه في الوقت ذاته أوجب الجدال لاثبات الحق للجاهل به، وقد وصفه القرآن بأنه الجدال بالتي هي أحسن؛ أي الكلام الحسن المصحوب بالحجة والدليل والبرهان الذي يستعمل لاتمام الحجة على الخصم والزامه بالقبول بالحقيقة.

فجميع الاحتجاجات التي نقلها القرآن الكريم عن الأنبياء والكتب الروائية عن الأئمة والأولياء في قبال المخالفين والمنكرين، هي من نوع الجدال الأحسن، حيث تمكنوا بواسطة هذا النوع من الجدال اثبات الحق والحقيقة وتوضيحها لكثير من المنكرين والمعاندين، فقبلوا بها وخضعوا وخشعوا تماما أمام دين الله فنالوا سعادة الدنيا والآخرة.

وعن الجدال بالتي هي أحسن الذي يمثل أحد وسائل هداية الناس وتوضيح الحق لهم، يقول القرآن الكريم:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^١

وتبين الآيات ٧٧ الى ٨٣ من سورة يس الجدال بالتي هي أحسن الذي علمه الله تعالى لرسوله الكريم ليستعمله مع المنكرين والمعاندين:

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

والآيات ٧٤ الى ٨١ من سورة الانعام تبين الجدال الأحسن الذي لجأ اليه ابراهيم عليه السلام مع أهل زمانه، حيث تمكن من التغلب عليهم بالجدال فيما كانوا يعتقدون به:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَأَحِبُّ الْأَفْلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ

يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
 لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ
 * وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا
 أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ
 شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا
 تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا
 فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *

كذلك مناظرات الحسن بن فضال، ومؤمن الطاق وهشام بن الحكم وجابر
 الجعفي، مع أعداء الحق والمعاندين والمنكرين، كانت من نوع الجدال الأحسن
 الذي علمهم آياه الامام الصادق عليه السلام وشجعهم على استعماله مع مخالفيهم
 وخصومهم، بل اعتبره مناظرة مخالفيهم واجباً عليهم، واذا ما كان عليه السلام قد حرم
 على بعض أصحابه مناظرة الأعداء، فانما لكونهم لم يكونوا متخصصين في
 المناظرة والجدال الأحسن.

والخلاصة: ان موارد الجدال الأحسن هي، أولاً: ان يمتلك المجادل تخصصاً
 كافياً في المناظرة مع الخصم، وثانياً: أن يكون المخالف والمنكر للحق راغباً في
 معرفة الحق والحقيقة. وفي غير ذلك لا يكون الجدال والنزاع والمراء مشروعاً،
 وبالتالي يكون الخوض فيه حراماً شرعاً.

الجدال غير المشروع:

اذا لم يكن الانسان متخصصاً في البحث أو لم تكن له القدرة من الناحية

العلمية والدينية على مجابهة الخصم، أو كان غرضه من الجدل والمراء هو اظهار الفضل والكمال والتظاهر وتعجيز الناس واذلالهم أو للتعصب الجاهل واشاعة الباطل، فهو بلا شك جدال محرم ويمثل في الواقع حجابا يغشي وجه الحق ويخفي شمس الحقيقة خلف غيوم ملبدة بالعداء والحق.

وكان هذا النوع من الجدل على مر التاريخ، يمثل وسيلة المعاندين وعمل المرائين وعمل الجاهلين وأخلاق الأقوام الذين تصدوا لأنبياء الله، وأصرروا على الباطل رغم سطوع شمس الحقيقة، واشباعا لشهواتهم ورغباتهم السيئة واستنادا الى الامور الحسية أبوا الاذعان الى قبول الحقيقة. وقد بين القرآن المجيد ان هذا النوع من الجدل لن يفضي سوى الى غضب الرب وسخطه ونار جهنم يوم القيامة، كما أشارت الى ذلك الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾^٢.

وقال: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾^٣.

١- المؤمن ٤٠: ٥.

٢- المؤمن ٤٠: ٤.

٣- النساء ٤: ١٠٧.

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾^١.

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^٢.

ثم يقول بعد الآية السابقة:

﴿ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^٣.

وقال: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾^٤.

آفات المراء والجدال:

الفقيه الجليل الشهيد الثاني صاحب عشرين مؤلفا علميا، يقول في كتابه القيم «منية المرید فی آداب المفید والمستفید» حول آفات ومساوئ المراء والجدال: اعلم أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام والمباهاة والتشوق، لظاهر الفضل، هي منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله تعالى، المحمودة عند عدوه إبليس، ونسبتها إلى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والرئاء والحسد

١- الحج ٢٢: ٣.

٢- الحج ٢٢: ٨.

٣- الحج ٢٢: ٩.

٤- الأنفال ٦: ٨.

والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيره، نسبة الخمر إلى الفواحش الظاهرة من الزنا والقتل والقذف.

وكما أن من خُير بين لشرب الخمر وبين سائر الفواحش، فاختار شرب الخمر استصغاراً له، فدعاه ذلك إلى ارتكاب سائر الفواحش، فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة، دعاه ذلك إلى إظهار الخبائث كلها.

ويؤدي الجدل غير الأحسن والمرء والنزاع الى ظهور اثني عشرة آفة هي كالتالي:

١- الاستكبار عن الحق وكرهته:

والحرص على مدافعتة بالمماراة فيه، حتى أن أبغض الأشياء إلى المناظر أن يظهر الحق على لسان خصمه، ومهما ظهر يشمر لجحده بما قدر عليه من التلبس والمخادعة والمكر والحيلة، ثم تصير المماراة له عادة وطبيعة، حتى لا يسمع كلاماً إلا وتبعث داعيته للاعتراض عليه، إظهاراً للفضل واستنقاصاً بالخصم وإن كان محقاً، قاصداً إظهار نفسه لا إظهار الحق.

وقد تلونا عليك بعض ما في المرء من الذم، وما يترتب عليه من المفساد، وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا، وبين من كذب بالحق، فقال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾^١

وهو كبير أيضا، لما تقدم من أنه عبارة عن رد الحق على قائله، والمراء يستلزم ذلك.

وروي عن أبي الدرداء وأبي أمامة ووائله وأنس قالوا:
خرج علينا رسول الله ﷺ يوما، ونحن نتمارى في شئ من أمر الدين،
فغضب غضبا شديدا لم يغضب مثله، ثم قال:

إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ذروا المراء، فإن المؤمن لا يماري، ذروا
المراء فإن المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء فإن المماري لا أشفع له يوم
القيامة، ذروا المراء، فأنا زعيم بثلاثة آيات في الجنة: في رباضها وأوسطها
وأعلاها، لمن ترك المراء وهو صادق، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربي بعد
عبادة الأوثان المراء.

قال رسول الله ﷺ:

«ثَلَاثٌ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَىِّ بَابٍ
شَاءَ: مَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ فِي الْمَغِيبِ وَالْمَحْضَرِ وَتَرَكَ
الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»^١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم والمراء والخصومة،
فإنهما يمرضان القلوب على الاخوان، وينبت عليهما النفاق^٢.

١- الكافي: ٣٠٠/٢، باب المراء والخصومة، الحديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٢٣٦/١٢، الباب ١٣٥،
الحديث ١٦١٨١.

٢- الكافي: ٣٠٠/٢، باب المراء والخصومة، الحديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢٣٦/١٢، الباب ١٣٥،
الحديث ١٦١٨٠.

٢- الرياء:

وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم، وصرف وجوههم نحو ليصوبوا نظره، وينصروه على خصمه. وهذا هو عين الرثاء بل بعضه، والرثاء هو الداء العضال والمرض المخوف والعلة المهلكة.

قال الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السُّيَّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورٌ﴾^١.

وسياتي بحول الله في الباب الخمسين من «مصباح الشريعة» التطرق الى مسألة الرياء بالتفصيل.

٣- الغضب:

والمناظر لا ينفك منه غالباً، سيما إذا رد عليه كلامه، أو اعترض على قوله وزيف دليله بمشهد من الناس، فإنه يغضب لذلك لا محالة، وغضبه قد يكون بحق، وقد يكون بغير حق، وقد ذم الله تعالى ورسوله الغضب كيف كان، وأكثر من التوعد عليه.

قال الله تعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾^٢.

١- فاطر ٣٥: ١٠.

٢- فتح ٤٨: ٢٦.

فذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب، ومدح المؤمنين بما أنعم عليهم من السكينة.

قال نبي من الأنبياء لمن معه: من يكفل لي أن لا يغضب يكون معي في درجتي، ويكون بعدي خليفتي.

فقال شاب من القوم: أنا. ثم أعاد عليه. فقال الشاب: أنا. ووفى به، فلما مات كان في منزلته بعده، وهو ذو الكفل لأنه كفل له بالغضب، ووفى به.

٤- الحقد:

وهو نتيجة الغضب، فإن الغضب إذا لزم كظمه، لعجزه عن التشفى في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا. ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استتقاله والبغض له والنفار منه.

فالحقد ثمرة الغضب، والحقد يثمر أمورا فاحشة: كالحسد والشماتة بما يصيبه من البلاء، والهجر والقطيعة والكلام فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر، وهتك ستر وغيره، والحكاية لما يقع منه المؤذي إلى الاستهزاء والسخرية منه، والايذاء بالقول والفعل حيث يمكن، وكل هذه الأمور بعض نتائج الحقد.

وأقل درجات الحقد مع الاحتراز عن هذه الآفات المحرمة أن تستثقله في الباطن، ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية، والقيام على بره ومواساته، وهذا كله ينقص درجتك في الدين، ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جليل، وإن كان لا يعرضك لعقاب.

واعلم أن للحقود عند القدرة على الجزاء ثلاثة أحوال:

أحدها: أن يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ولا نقصان، وهو العدل.

والثاني: أن يحسن إليه بالعمو، وذلك هو الفضل.
والثالث: أن يظلمه بما لا يستحقه، وذلك هو الجور، وهو اختيار الأردال،
والثاني هو اختيار الصديقين، والأول هو منتهى درجة الصالحين.

٥- الحسد:

وهو نتيجة الحقد، والحقد نتيجة الغضب كما مر.
والمناظر لا ينفك منه غالباً، فإنه تارة يغلب، وتارة يغلب، وتارة يحمد في
كلامه، وتارة يحمد كلام غيره.
ومتى لم يكن الغلب والحمد له تمناه لنفسه دون صاحبه، وهو عين الحسد،
فإن العلم من أكبر النعم، فإذا تمنى أحد كونه ذلك الغلب ولوازمه له فقد حسد
صاحبه. وهذا أمر واقع بالمتناظرين إلا من عصمه الله تعالى.
وسياتي بحول الله في الباب الحادي والخمسين من «مصباح الشريعة» التطرق
إلى مسألة الحسد وآفاته بالتفصيل.

٦- الهجر والقطيعة:

وهو أيضاً من لوازم الحقد، فإن المتناظرين إذا ثارت بينهما المنافرة وظهر
منهما الغضب وادعى كل منهما أنه المصيب، وأن صاحبه المخطئ واعتقد
وأظهر أنه مصر على باطله مزعم على خلافه، لزم من حقه عليه وغضبه هجره
وقطيعة، وذلك من عظام الذنوب وكبائر المعاصي.

روى داود بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

قال أبي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيما مسلمين تهاجرا فمكثنا ثلاثاً، لا يصطلحان،

إلا كانا خارجين من الاسلام، ولم يكن بينهما ولاية، وأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب^١.

وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة
واللعنة، وربما استحق كلاهما».

فقال له معتب: جعلني الله فداك هذا الظالم، فما بال المظلوم؟

قال لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته، ولا يتغامس له عن كلامه، سمعت أبي يقول: إذا تنازع اثنان فنازع أحدهما الآخر، فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإن الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم^٢.

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

لا يزال إبليس فرحاً ما اهتجر المسلمان، فإذا التقيا اصطكت ركبته، وتخلعت أوصاله، ونادى يا ويله ما لقي من الثبور^٣.

٧- الكلام فيه بما لا يحل:

من كذب وغيبة وغيرهما، وهو من لوازم الحقد، بل من نتيجة المناظرة، فإن المناظر لا يخلو عن حكاية كلام صاحبه في معرض التهجين، والذم والتوهين

١- الكافي: ٣٤٥/٢، باب الهجرة، الحديث ٥؛ بحار الأنوار: ١٨٦/٢٢، الباب ٦٠، الحديث ٥.

٢- الكافي: ٣٤٤/٢، باب الهجرة، الحديث ١؛ وسائل الشيعة: ٢٦١/١٢، الباب ١٤٤، الحديث ١٦٢٥٣.

٣- الكافي: ٣٤٦/٢، باب الهجرة، الحديث ٧؛ بحار الأنوار: ١٨٧/٢٢، الباب ٦٠، الحديث ٧.

فيكون مغتاباً، وربما يحرف كلامه، فيكون كاذباً مباحثاً ملبساً، وقد يصرح باستجهاله واستحماقه، فيكون متقصاً مسيئاً.

وكل واحد من هذه الأمور ذنب كبير، والوعيد عليه في الكتاب والسنة كثير، يخرج عن أحد الحصر.

وروى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه، وهدم مروءته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله الشيطان.^١

وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه.^٢

وروى الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال:

ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلا مات بشر ميته، وكان قمنا أن لا يرجع إلى خير.^٣

٨- الكبر والترفع:

والمناظرة لا تنفك عن التكبر على الاقران والأمثال، والترفع فوق المقدر في الهيئات والمجالس، وعن إنكار كلام خصمهم، وإن لاح كونه حقاً، حذراً من ظهور غلبتهم.

١- الكافي: ٣٥٨/٢، باب الرواية على المؤمن، الحديث ٤١ وسائل الشيعة: ٢٩٤/١٢، الباب ١٥٧، الحديث ١٦٣٤١.

٢- الكافي: ٣٥٩/٢، باب السباب، الحديث ٤٢؛ وسائل الشيعة: ٢٨١/١٢، الباب ١٥٢، الحديث ١٦٣١١.

٣- الكافي: ٣٦١/٢، باب السباب، الحديث ٩؛ بحار الأنوار: ١٤٥/٧٢، الباب ٥٦، الحديث ١٤.

ولا يصرحون عند ظهور الفلج عليهم بأنا مخطئون وأن الحق قد ظهر في جانب خصمنا.

وهذا عين الكبر الذي قد أخبر عنه النبي ﷺ بأنه: لا يدخل الجنة من في قلبه منه مثقال^١.

وقد فسره ﷺ في الحديث السابق:

«بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمْصُ النَّاسِ»^٢.

والمراد بـ «بطر الحق»: رده على قائله وعدم الاعتراف به بعد ظهوره، و «غمص الناس» بالصاد المهملة بعد الميم والغين المعجمة: احتقارهم.

وهذا المناظر قد رد الحق على قائله بعد ظهوره له، وإن خفي على غيره، وربما احتقره حيث يزعم أنه محق، وأن خصمه هو المبطل الذي لم يعرف الحق، ولا له ملكة العلم والقوانين المؤدية إليه.

وعن النبي ﷺ أنه قال حاكيا عن الله تعالى:

«العظمة إزارى، والكبرياء ردائى، فمن نازعني فيهما قصمته»^٣.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أعظم الكبر غمص الخلق، وسفه الحق».

قال: «قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق؟»

قال: يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك، فقد نازع الله عز وجل رداءه^٤.

١- عوالي اللآلي: ٤٣٦/١، الحديث ١٥٠؛ مستدرك الوسائل: ٣٣/١٢، الباب ٥٩، الحديث ١٣٤٤٠.

٢- عوالي اللآلي: ٤٣٦/١، الحديث ١٥٠؛ مستدرك الوسائل: ٣٣/١٢، الباب ٥٩، الحديث ١٣٤٤٠.

٣- منية المرید: ٣٣٠، الفصل الثاني؛ بحار الأنوار: ١٩٤/٧٠، الباب ١٣٠.

٤- الكافي: ٣١٠/٢، باب الكبر، الحديث ٩؛ وسائل الشيعة: ٦/١٦، الباب ٦٠، الحديث ٢٠٨١٦.

٩- التجسس وتبعية العورات:

والمناظر لا يكاد يخلو عن طلب عثرات مناظره في كلامه وغيره ليجعله ذخيرة لنفسه، ووسيلة إلى تسديده وبراءته أو دفع منقصته.

حتى أن ذلك قد يتمادى بأهل الغفلة ومن يطلب علمه للدنيا، فيتفحص عن أحوال خصمه وعيوبه، ثم إنه قد يعرض به في حضرته، أو يشافهه بها، وربما يتبجح به ويقول: كيف أخملته وأخجلته، إلى غير ذلك مما يفعله الغافلون عن الدين وأتباع الشياطين.

وقد قال الله تعالى:

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^١.

وقال عليه السلام:

يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ! لا تتبعوا عورات المسلمين، فمن تتبع عورة مسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه، ولو في جوف بيته^٢.
وعن أبي عبد الله عليه السلام: أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يؤاخي الرجل وهو يحفظ زلاته ليعيره بها يوماً ما^٣.

وعنه عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له:

ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظن بكلمة خرجت من أخيك سوء وأنت تجد لها في الخير محملاً^٤.

١- الحجرات ٤٩: ١٢.

٢- ثواب الأعمال: ٢٤١؛ بحار الأنوار: ٢١٤/٧٢، الباب ٦٥، الحديث ١٠.

٣- الكافي: ٣٥٥/٢، باب من طلب عثرات المؤمنين...، الحديث ٧؛ منية المرید: ٣٣١، الفصل الثاني.

٤- الكافي: ٣٦٢/٢، باب التهمة وسوء الظن، الحديث ٣؛ وسائل الشيعه: ٣٠٢/١٢، الباب ١٦١،

الحديث ١٦٣٦١.

١٠- الفرح بمساءة الناس والغم بسرورهم:

ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، فهو ناقص الايمان بعيد عن أخلاق أهل الدين. وهذا غالب بين من غلب على قلبهم محبة إفحام الاقران وظهور الفضل على الاخوان.

وقد ورد في أحاديث كثيرة أن للمسلم على المسلم حقوقا إن ضيع منها واحدا خرج من ولاية الله وطاعته، ومن جملتها ذلك.

روى محمد بن يعقوب الكليني، قدس الله روحه، بإسناده إلى المعلى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال:

له سبع حقوق واجبات ما منهن حق إلا وهو واجب عليه إن ضيع منها حقا خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن الله فيه نصيب.

قلت له: جعلت فداك وما هي؟ قال: يا معلى! إني عليك شفيق أخاف أن تضيع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل. قال: قلت له: لا قوة إلا بالله،

قال: أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك.

والحق الثاني: أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره.

والحق الثالث: أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

والحق الرابع: أن تكون عينه ودليله ومرآته.

والحق الخامس: أن لا تشيع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.

والحق السادس: أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث

خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه.

والحق السابع: أن تبر قسمه، وتجب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا عملت أن لا حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه أن يسألها، ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك^١.

١١- تزكية النفس والثناء عليها:

ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه إما تصریحا، أو تلويحا وتعريضا، بتصويب كلامه وتهجين كلام خصمه. وكثيرا ما يصرح بقوله " لست ممن يخفى عليه أمثال هذا " ونحوه.

وقد قال الله تعالى:

﴿فَلَا تَزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾^٢.

وقيل لبعض العلماء: ما الصدق القبيح؟ قال: ثناء المرء على نفسه واعلم أن ثناءك على نفسك مع قبحه ونهي الله تعالى عنه، ينقص قدرك عند الناس، ويوجب مقتك عند الله تعالى.

١٢- النفاق:

والمتناظرون يضطرون إليه، فإنهم يلقون الخصوم والاقربان وأتباعهم بوجه مسالم، وقلب منازع، وربما يظهرون الحب والشوق إلى لقائهم، وفرائصهم مرتعدة في الحال من بغضهم، ويعلم كل واحد من صاحبه أنه كاذب فيما يديه، مضمحل خلاف ما يظهره.

١- الكافي: ١٦٩/٢، باب حق المؤمن على أخيه... الحديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٢٠٥/١٢، الباب ١٢٢،

الحديث ١٦٠٩٧.

٢- النجم ٥٣: ٣٢.

وقد قال ﷺ: إذا تعلم الناس العلم، وتركوا العمل، وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا في الأرحام، لعنهم الله عند ذلك، فأصمهم وأعمى أبصارهم!

الهي! احفظنا بلطفك ورحمتك وكرمك من شر جميع هذه الآفات التي لا تجلب لنا سوى وصد باب الجنة وفتح سبعة أبواب من جهنم، اذ بدون عنايتك ومحبتك ورأفتك لن نتمكن من السير نحوك والوصول الى قربك.

منشأ المرء والجدال:

واستمرارا لرواية الامام الصادق عليه السلام في باب المرء، يبين الامام منشأ المرء والجدال، فيقول:

«وَأَنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوسِسُ لِلرَّجُلِ وَيُنَاجِيهِ وَيَقُولُ: نَاطِرِ النَّاسِ فِي الدِّينِ لِئَلَّا يَظُنُّوا بِكَ الْعَجْزَ وَالْجَهْلَ». ثُمَّ الْمِرَاءُ لَا يَخْلُو مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

- ١- إِمَّا أَنْ تَتَمَارَى أَنْتَ وَصَاحِبِيكَ فِيمَا تَعْلَمَانِ، فَقَدْ تَرَكْتُمَا بِذَلِكَ النَّصِيحَةَ وَطَلَبْتُمَا الْفُضِيحَةَ وَأَضَعْتُمَا ذَلِكَ الْعِلْمَ.
- ٢- أَوْ تَجْهَلَانِيهِ فَأَظْهَرْتُمَا جَهْلًا.

والتمسك بالجهل والاصرار عليه من الذنوب.

- ٣- وَأَمَّا تَعْلَمُهُ أَنْتَ فَظَلَمْتَ صَاحِبِيكَ بِطَلْبِكَ عَثْرَتَهُ.

فلا يكون جدالك الا لأظهار التفوق والتسلط وهذا التفوق ناشئ عن علو

النفس وتكبرها وهو مذموم جداً عند الله تعالى.

٤- أَوْ يَعْلَمُهُ صَاحِبُكَ فَتَرَكْتَ حُرْمَتَهُ وَلَمْ تُنْزِلْهُ مَنَزِلَتَهُ، وَهَذَا كُلُّهُ مُحَالٌ لِمَنْ أَنْصَفَ وَقَبِلَ الْحَقَّ.

وما هذه الصفات إلا من صفات ابليس واللجوء إليها محال على أهل الانصاف وأهل الحق.

ثم يقول الامام الصادق عليه السلام في نهاية الرواية:

«وَمَنْ تَرَكَ الْمُمَارَاةَ فَقَدْ أَوْثَقَ إِيْمَانَهُ وَأَحْسَنَ صُحْبَةَ دِينِهِ وَصَانَ عَقْلَهُ».

وقد قال الحكماء:

«إِنَّ مَلَكَ التَّوْتُبِ كَمَلَكَ التَّخْيِيلِ فِي إِيْرَاثِ الْوَهْنِ فِي الْمُدْرَكِ».

الباب

(٤٩)

في الغيبة

قال الصادق عليه السلام:

الغيبَةُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، مَا تُؤْمَرُ صَاحِبُهَا فِي كُلِّ حَالٍ.
وَصِفَةُ الْغَيْبَةِ أَنْ تَذْكَرَ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَيْبٌ وَتَذُمَّ مَا يَحْمَدُهُ
أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهِ.

وَأَمَّا الْخَوْصُ فِي ذِكْرِ غَائِبٍ بِمَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ مَذْمُومٌ وَصَاحِبُهُ فِيهِ مَلُومٌ
فَلَيْسَ بِغَيْبَةٍ وَإِنْ كَرِهَ صَاحِبُهُ إِذَا سَمِعَ بِهِ وَكَتَبَتْ أَنْتَ مُعَافَى عَنْهُ خَالِيًا مِنْهُ
وَتَكُونُ فِي ذَلِكَ مُبَيَّنًّا لِلْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ بَيَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَلَكِنْ
بَشَرٌ أَنْ لَا يَكُونَ لِلْقَائِلِ بِذَلِكَ مُرَادٌ غَيْرُ بَيَانِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي دِينِ اللَّهِ
تَعَالَى.

وَأَمَّا إِذَا أَرَادَ بِهِ نَقْصَ الْمَذْكَورِ بِهِ بِغَيْرِ ذَلِكَ الْمَعْنَى وَهُوَ مَا خُوذُ بِفَسَادِ
رَأْيِ مُرَادِهِ وَإِنْ كَانَ صَوَابًا.

فَإِنْ اغْتَبْتَ فَبَلِّغِ الْمُغْتَابَ فَاسْتَحِلَّ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْهُ وَلَمْ يَلْحَقْهُ عِلْمٌ
ذَلِكَ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ لَهُ.

الغيبَةُ تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، أَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى
مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام: الْمُغْتَابُ إِذَا تَابَ فَهُوَ آخِرٌ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنْ لَمْ
يَتُبْ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ.

قال الله عزَّوَجَلَّ: ﴿يُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
فَكَرِهْتُمُوهُ﴾!

وَوُجُوهُ الْغَيْبَةِ تَقَعُ بِذِكْرِ عَيْبٍ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ وَالْفِعْلِ وَالْمُعَامَلَةِ
وَالْمَذْهَبِ وَالْجَهْلِ وَأَشْبَاهِهِ. وَأَصْلُ الْغَيْبَةِ تَتَنَوَّعُ بِعَشْرَةِ أَنْوَاعٍ: شَفَاءٌ غَيْظٌ،
وَمَسَاءَةٌ قَوْمٌ، وَتَصْدِيقٌ خَبْرٌ، وَتُهْمَةٌ، وَتَصْدِيقٌ خَبْرٌ بِلَا كَشْفِهِ، وَسَوْءٌ ظَنٌّ،
وَحَسَدٌ، وَسُخْرِيَّةٌ، وَتَعَجُّبٌ، وَتَبَرُّمٌ، وَتَزْيِينٌ.

فَإِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ فَادْكُرِ الْخَالِقَ لَا الْمَخْلُوقَ فَيُصِيرَ لَكَ مَكَانَ الْغَيْبَةِ
عِبْرَةً وَمَكَانَ الْأَثْمِ ثَوَابًا.

كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ وُلِدَ مِنْ حَلَالٍ وَهُوَ يَأْكُلُ لَحُومَ النَّاسِ بِالْغَيْبَةِ.
اجْتَنِبِ الْغَيْبَةَ فَإِنَّهَا إِدَامُ كِلَابِ النَّارِ ! !

«الْغِيْبَةُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، مَا تَوَمَّ صَاحِبُهَا فِي كُلِّ حَالٍ. وَصِفَةُ الْغِيْبَةِ أَنْ تَذْكُرَ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَيْبٌ وَتَذُمَّ مَا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهِ».

الغيبة:

يشير الامام الصادق عليه السلام في هذا المقطع من الرواية الى أشد الذنوب وأعظم المعاصي التي تترك آثارا سلبية خطيرة على حياة الانسان الا وهي الغيبة والتحدث عن الناس في غيبتهم بما لا يرضيهم.

وتعد الغيبة أحد الرذائل الأخلاقية والصفات السيئة ومن كبائر الذنوب وعلامة ضعف الايمان وصفة الشيطان، وهي كما قال الامام زين العابدين عليه السلام:
إياكم والغيبة فانها أدام كلاب النار.^١

فما أكثر الشخصيات المحترمة جداً التي تعرضت لجرح واهانة لسان أهل الغيبة، وما أكثر الأعراض المحترمة التي سقطت بفعل الغيبة، وما أكثر الناس الذين أصبحوا حيسوا بيوتهم نتيجة التشهير بهم بفعل الغيبة، وما أكثر الأموال الطاهرة الحلال التي هدرت من أيدي أصحابها ومالكيتها، وما أكثر الحروب والصراعات التي نشبت بسبب الغيبة ومساوئها، وما أكثر البيوت التي انهارت

١- صحيفة الرضا: ٨٨، باب الزيادات، الحديث ٤؛ بحار الأنوار: ٢٥٦/٧٢، الباب ٦٦، الحديث ٤٣.

بواسطة الغيبة، وما أكثر الصداقات الحميمة التي تحولت الى عداوة خطيرة بفعل الغيبة، وما أكثر أنواع الظلم والمصائب التي حلت بالانسان نتيجة الغيبة وفتنتها؟! ويدرك جميع المسلمين مدى بشاعة الغيبة وخطورتها وتعادل في ذلك أكل المؤمن لحم أخيه المؤمن، لكن مما يثير العجب ويبعث على الأسف الشديد هو وقوعهم في آفة الغيبة وشرها!

ان أهل الغيبة يساهمون في الحقيقة في اهدار زحمات الأنبياء والأئمة والأولياء ويتجاوزون الحقائق الالهية والفيوضات الربانية، وهم أصدقاء الشيطان ورفاق ابليس والسائرون في طريق جهنم والظالمون للأبرياء والمستضعفين. لقد جربنا جميعا ما يتركه ارتكاب الذنوب من آثار سلبية على الانسان، بحيث يقضي تماما على أسباب كمال الانسان وسعادته وسيره نحو الحق تعالى، فنحن ما أن نرتكب ذنبا حتى نشعر بظلمة وعمة تعم باطننا وروحنا سرعان ما تترك آثارها على سلوكنا حتى نضجر من أنفسنا ومن الناس والمعارف الحققة والعبادة والطاعة والخدمة والكرامة. كما جربنا أيضاً الشعور بالراحة والنور الذي يملأ روحنا كلما وفقنا بالابتعاد عن الذنوب بلطف الحق تعالى، ونصبح كأننا نملك جناحين قويين نحلّق بهما نحو الحق تعالى حتى نتلذذ بالعبادة والطاعة والخدمة وأداء الفرائض الالهية.

وفي اللحظات التي تملك الحالات الملكوتية على الانسان، ويهب عليه نسيم المعاني اللاهوتية وتفتح أمامه أبواب الرحمة الالهية الواسعة، سيشعر الانسان بأجواء من المعنوية والروحية المتنامية في نفسه حتى يترنم بأبيات من الشعر الالهي الذي يتغزل بعشق الحق تعالى.

نعم، مهما بلغ مقام الانسان فانه لن يتمكن من ترك الذنوب واداء الواجبات والتخليق نحو الملكوت الالهي وكسب رضا الحق تعالى ما لم يحصل التسليم لحضرة الحق وترك الذنوب وأداء الواجبات الالهية.

فما أن يوفق الانسان بترك المعاصي وأداء الواجبات والفرائض الالهية حتى يرتقي المقامات العالية الالهية والانسانية من بينها مقام الكشف والشهود والتأثير في النفوس والارتباط بالعالم القدسي، وحينها يشعر الانسان باللذة في حياته كاللذة التي يشعر بها أهل الجنة من النعم الالهية يوم القيامة.

وسنذكر هنا بعض النماذج المعبرة عن بعض الحالات التي مر بها رجال الحق:

مقامات الأولياء:

المولى محمد تقي بن مقصود علي المجلسي كان أحد أعظم العلماء ومن أهل الكرامات وخوارق العادات، وتعد مسألة استجابة دعائه حول أبنه الملا محمد باقر المجلسي من الكرامات المشهورة التي قل نظيرها في تاريخ البشرية.

المرحوم الميرزا محمد التنكابني يقول:

ذكر الشيخ أسد الله الكاظميني في مقدمة كتاب «المقاييس»:

كان هذا الفقيه الجليل يتمتع بكثي من الكرامات الباهرة، وقد جاء في ترجمته الشخصية وشرح حاله التالي:

بعد أن وفقني الله تعالى الى زيارة حضرة أمير المؤمنين عليه السلام، وردت لي من بركات هذه الزيارة الكثير من المكاشفات التي تعجز العقول الضعيفة عن تحملها، واذا ما أردت توضيحها ينبغي القول: كنت في حال بين النوم واليقظة

وإذا بي أرى نفسي فجأة في سامراء أتشرف بزيارة المرقدين العسكريين وكانا في أبهى حلة وزينة، ورأيت قطعة قماش خضراء من قماش الجنة لم أرى بمثل جمالها في الدنيا كانت تغطي قبر الامامين العسكريين عليهما السلام، ورأيت مولاي الامام الحجة عليه السلام جالسا الى جانب القبر متكئا عليه، فما أن وقعت عيني على حضرته حتى شرعت بقراءة الزيارة الجامعة بصوت عال، وبعد أن أكملت الزيارة، قال الامام: ما أحسن هذه الزيارة، فقلت: مولاي! روحي لك الفداء انها زيارة جدك وأشرت الى القبر الشريف، فقال الامام: نعم، أدخل، فدخلت ووقفت قرب الباب، فقال الامام: اقترب أكثر، فقلت: أخشى أن أسئى الأدب فاصبح كافراً!! فقال الامام: اذا ما أذنا لك فلن يكون ذلك اساءة للأدب، فاقتربت قليلا وكنت أرتعش من شدة الخوف والهيبة من جلال حضرته.

ثم قال الامام: اقترب أكثر، فاقتربت حتى وصلت قريبا من حضرته، فقال لي: اجلس، فقلت: أشعر بالخوف، فقال: لا تخف، فجلست أمامه كخادم يجلس أمام مولاه، عندها قال حضرته: استرح في جلوسك وارتح قليلا فقد عانيت كثيرا من طول السفر مشيا على الأقدام حافي القدمين، وتكلم الامام بكلام لطيف والطف عظمة بحقي نسيت معظمها، وما أن خرجت من هذه الحالة حتى تهيأت لي في نفس اليوم أسباب السفر الى سامراء بعد أن كان الطريق اليها مغلقا، فعزمت السفر لزيارته في سامراء مشيا على الأقدام حافيا، وقرأت هناك الزيارة الجامعة مرتين فظهرت لي أثناءها كرامات عظيمة ومعجزات غريبة!!

حقا، أيمكن الوصول الى مقام القرب والتلذذ بطعم الوصال بدون أداء الواجبات وخاصة ترك المحرمات، وبدون تزكية النفس وتطهيرها من الآثام والذنوب؟

كرامات الاولياء:

يقول الفاضل التنكابني:

في بداية ظهور الملا محمد تقي المجلسي ولم يكن مشهورا كثيرا آنذاك، اشتكى اليه أحد المقربين سوء أخلاق جاره، وقال له: لقد جزعت من سلوك جاري وسوء أخلاقه، فهو يجمع في كل ليلة حوله رفاق السوء ويقضون ليلهم حتى الصباح في شرب المنكر واللغو واللعب، مما أثار الامتعاض في نفسي وسلب راحتي، فارجوا أن تجد لي حلا لهذه المشكلة.

فقال الملا المجلسي: ادعوا جارك الليلة الى بيتك وسأتي لاتحدث معه لعل الله يهديه.

فدعا هذا الرجل جاره، فتعجب هذا الرجل السئ الخلق، وقال: ماذا حصل حتى انضممت أنت أيضا الى مجموعتنا؟

فقال: فعلا هذا ما حصل، فقبلوا دعوته بترحيب كبير.

فاخبر الرجل الملا محمد تقي بما حصل، فذهب اليه مبكراً قبل الجميع وجلس في زاوية من البيت!

وما أن حضر الجار ومجموعته حتى فوجئ بحضور الملا محمد تقي لأنه يعلم بمعارضته لهم، وأنه سيثير امتعاضهم وجزعهم، لكنهم اضطروا للجلوس، وحتى يبعد الملا عن المجلس بدأ الكلام، قائلا: أيهما أفضل الطريق الذي سلكته في حياتك أم الطريق الذي سلكناه؟

فاجاب الملا: حتى يتضح الامر ينبغي أن يذكر كل منا خصائص وصفات عمله حتى نتمكن من معرفة أيهما أفضل؟

فقال الجار: لقد قلت كلاما منصفا وحقا، فمن صفاتنا أننا لا نخون أحد أكلنا من طعامه وملحه.

فأجاب الملا: كلامك غير صحيح، ولا اعتقد أبداً أنكم تحملون هذه الصفة.

فقال الجار: لا معنى لأنكارك هذا، لأنها من المسلمات عندنا.

فاجاب الملا: ان كنت فعلا كما تقول، فأخبرني هل أكلت يوما من ملح الله

تعالى!؟

ما أن سمع الجار هذا الكلام حتى طأطأ برأسه وخرج من المجلس مع رفاقه.

فقال صاحب البيت للملا: لقد ساء الأمر أكثر؛ لأنهم خرجوا غاضبين من

البيت.

فقال الملا: مادام الأمر وصل الى هذه المرحلة، تحلى بالصبر لنرى ماذا

سيحصل بعدها؟

وفي صباح اليوم التالي جاء هذا الجار السئ الأخلاق الى بيت الملا محمد

تقي المجلسي متضرعا ذليلا يتأوه ألما وحسرة، وقال: لقد أثر كلامك الليلة

الماضية في نفسي كثيرا ولم أتمكن حتى من النوم، واني أتوب الى الله مما

فعلت، وجئتك لتعلمني أمور ديني، فاهتدى هذا الرجل واصبح بعد ذلك من

المؤمنين المتمسكين بطريق الحق.

المجلسي في كلام أحد العرفاء العظام:

في أيام ولادة الامام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف في سنة ١٣٥٠

هـش، دعيت للتبليغ في مدينة همدان، ولم أكن أتجاوز آنذاك السادسة

والعشرين من العمر. وما شدني كثيرا للذهاب الى هذه المدينة هو لقاء سماحة

آية الله الآخوند الملا علي المعصومي الذي كان يعد أحد العرفاء العظام ومن خاصة أولياء الحق تعالى، وكان منشأ للكثير من البركات المهمة في هذه المدينة من قبيل انشاء مسجد، ومكتبة ومدرسة للعلوم الدينية ومستوصف ومستشفى ومؤسسة مالية لتقديم المعونات والقروض، ودار لرعاية الأيتام.

فكان وجوده نورا ساطعا لهداية الناس في هذه المدينة، حيث تربي على يد هذا العارف الفاضل الكثير من طلبة العلوم الدينية على الكمال العلمية والأخلاقية، اضافة الى المدارس العلمية التي أنشأها سماحة الملا المعصومي، وقد انتقل سماحته الى رحمة الله في سنة ١٣٥٧هـ ش، مما حرم هذه المدينة والبلاد من بركات وجوده القدسي فرحمة الله عليه رحمة واسعة.

وفي تلك السنة التي سافرت فيها الى المدينة للتبليغ، ذهبت لزيارة سماحته للسلام عليه وابداء الاحترام، وقد تفضل علي بالاجازة العلمية والروائية تحريراً وشفهياً، وقد كان ذلك من عنايات الله ولطفه علي رغم قصوري وعدم استحقاقي لهذا اللطف.

وكان هذا العالم العارف في كل مجلس يقيمه في بيته سواء لأهل العلم أو لغير أهل العلم يسعى لبيان المعارف الالهية والمسائل الربانية والأحاديث المأثورة وشرح حالات الأولياء والعرفاء حتى يستفيد الحاضرون من فيض هذه المواضيع ويسعون لتجديد قواهم الروحية والمعنوية. وفي أحد المجالس التي كنت حاضراً فيها تكلم سماحته عن المولى محمد تقي المجلسي فقال:

كان المولى محمد تقي المجلسي ملتزماً جداً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في كل موضع ومجلس يحضره ومع كل شخص يلتقيه، ولم يكن

يخشى في ذلك لومة لائم.

وكثيرا ما تصدى للأشرار وأفراد العصابات في منطقته وعمد الى نصحهم وهدايتهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مما سبب امتعاضهم وانزجارهم منه، فقرروا التصدي له وابعاده عن طريقهم. فدبروا مكيده له، حيث اجبروا فيها أحد المقربين للمولى محمد تقي لدعوته في احدى ليالي الجمعة الى بيته، واتفق هؤلاء الأشرار مع صاحب البيت أن يترك بيته وهددوه بالويل والثبور اذا ما أفشى سرهم للمولى المجلسي، وفعلا دعا هذا الرجل المولى المجلسي لزيارت في بيته ليلة الجمعة، ثم ترك بيته لهؤلاء الأشرار.

ذهب المولى المجلسي الى بيت ذلك الرجل المؤمن لكنه لم يجده في بيته، ووجد هؤلاء الأشرار يحتفلون ويلهون في البيت، فأدرك تديبرهم لمكيده ضده، لكنه لم يعرف فحواها، حيث كانت مكيده تلتخص كالتالي ما ان يدخل المجلس الى البيت حتى تبدأ حفلتهم ولهوهم وتدخل عليهم راقصة بملابس الرقص ثم يبدأون بالموسيقى والرقص معها، بعدها يذهب أحدهم الى أهل المنطقة ويخبرهم بالموضوع ويطلب منهم أن يحضروا لرؤية رجل الدين معهم، فما ان يراه الناس ف هذه الحال حتى يفقد قيمته عندهم، ويتوقف بعد ذلك عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!!

استعد المجلسي لما سيحصل، دخلت الراقصة وبدأت بالرقص والغناء. فلما شاهد هذا العالم العارف هذا المنظر المستهجن شعر بالألم والانزجار الشديد وأجهش بالبكاء وخاطب حضرة الحق تعالى:

ان كنت لا ترغب بهذه الحال فغير هذا القضاء

فجأة شاهد الحضور الراقصة تأخذه قطعة من القماش وتغطي بها جسدها ثم سقطت على الأرض وهي تصرخ يارب يارب وتطلب التوبة والانابة اليه، وتبعها هؤلاء الأشراء فسجدوا على الأرض واستغفروا الله وتاب الجميع على يدي هذا الرجل الصالح المؤمن، وأصبحوا جميعاً من الصالحين!

علاقة الأولياء بعالم الغيب:

المجلسي الأول المولى محمد تقي، يقول:

ذهبت في أحد الأيام برفقة استاذي الشيخ البهائي لزيارة قبر بابا ركن الدين في مقبرة (تخت فولاد) في اصفهان، وفجأة سمع الشيخ صوتاً من القبر، فنظر لي الشيخ وقال: هل سمعت الصوت؟ قلت: كلا، فأجهش الشيخ بالبكاء والتأوه، وبعد أن أصررنا عليه أن يخبرنا بما سمع؟ قال: لقد حذرني بقرب موتي ويجب أن أعد نفسي للسفر. وقد حدث هذا الأمر قبل وفاة الشيخ بستة أشهر.

يقول المحدث النوري:

علمت من بعض الأفراد أن ماسمعه الشيخ من القبر كان: يا شيخنا! فكر في نفسك.

كرامات الأولياء:

نقل لي أحد أحفاد العالم الجليل باقر البهبهاني أن:

العديد من الشخصيات والوجهاء في ايران بعثوا رسائل كثيرة الى سماحة السيد باقر البهبهاني في النجف، يطلبون منه القدوم الى ايران والاقامة فيها لتولي ادارة أمورهم المذهبية والفكرية، حتى أنهم لجأوا الى الأمراء والسلاطين آنذاك

للضغط عليه وحثه على القدوم، لكنه أبى ذلك وكان يصبر على البقاء في النجف. وينقل تلميذه العلامة بحر العلوم:

لما كان الاستاذ يشعر بالحرج والضغط الشديد من كل هذه الرسائل، اختار ستة أشخاص من بين أجل تلامذته ومحل اعتماده، وكنت من بين هؤلاء الستة. فذهبنا جميعنا معه الى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام وقال لنا، أيها الأفاضل! لقد اخترتكم كشهود عدول وجلبتكم الى هذا المرقد الشريف حتى أسأل بحضوركم أمير المؤمنين عن وظيفتي الشرعية، فان أمر بذهابي الى ايران سأذهب والأسأبقى هنا في النجف.

ثم اتجه نحو مرقد مولى الموحدين وقال: يا سيدي ويا مولاي ومعتدي ورجائي في الدنيا والآخرة! لقد وصلتني رسائل كثيرة من ايران يطلبون مني فيها بشدة القدوم اليهم، لكنني ما زلت مترددا في الذهاب، فلم أر حلا سوى الرجوع الى باب مدينة علم النبي، فارجوا منك أن تبين لي وظيفتي وتكليفني الشرعي في هذه المسألة؟

يقول العلامة بحر العلوم: فجأة سمعنا جميعنا نحن الستة صوتا من المرقد المطهر يقول:

«يا شَيْخُ لَا تَخْرُجْ مِنْ بِلَادِنَا».

فالتفت السيد باقر لنا نحن الستة، وقال: سمعتم ماذا قال مولاي؟ قلنا: نعم، فقال: اشهدوا أنني وظيفتي حسب أمر مولاي هي البقاء في هذه البلاد. وحتى لا يحرم الناس في ايران من فيض بركاته الالهية أمر ولده العالم الفاضل محمد علي بالسفر الى ايران، فسافر هذا العالم الجليل حسب أمر والده وأقام في مدينة

كرمانشاه، فجلب لأهل هذه البلاد الكثير من البركات والخدمات العلمية والاجتماعية المهمة.

نعم، ترك الذنوب وتجنبها وأداء الفرائض والواجبات الالهية اذا ما كانت عن خلوص نية ونور قلب، يمكن أن توصل الانسان الى أسمى المقامات الالهية.

الغيبة تمنع الوصول الى الحق:

يعتبر الذنب مانعا خطيرا وسدا منيعاً بوجه الانسان الذي يرغب في الارتقاء الى مراتب الكمال، بحيث أن كل ذنب يرتكبه الانسان يعيده خطوة الى الوراء في مسيره نحو القرب والوصول، ويبعده خطوة عن المحبوب وتقربه من ابليس اللعين والشيطان الرجيم، وتعد الغيبة أيضاً من الذنوب التي تترك آثارا عجيبة في زيادة ظلمة باطن الانسان وابعاده عن مقام القرب الالهي، ولهذا السبب قال الامام الصادق عليه السلام في بداية رواية باب الغيبة:

«الْغَيْبَةُ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، مَا تُؤْمُّ صَاحِبِهَا فِي كُلِّ حَالٍ».

«وَصِفَةُ الْغَيْبَةِ أَنْ تَذُكَّرَ أَحَدًا بِمَا لَيْسَ هُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَيْبٌ وَتَذُمَّ

مَا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْعِلْمِ فِيهِ».

أي انك تذكر أحداً بصفة لا تعد عيباً عند الله، لكنك تذكرها بطريقة توحى بالذم، أو تصف شخصاً بصفة ليست مذمومة عند أهل العلم لكنك تذكرها بنحو يفهم منه المستمع معنى الذم.

والخلاصة، الغيبة هي ذكر الانسان بصفة تدمه فيها وتعيبه بها حتى لو لم تكن مذمومة عند الله والعقلاء.

«وَأَمَّا الْخَوْضُ فِي ذِكْرِ غَائِبٍ بِمَا هُوَ عِنْدَ اللَّهِ مَذْمُومٌ وَصَاحِبُهُ فِيهِ مَلُومٌ فَلَيْسَ بِغَيْبَةٍ وَإِنْ كَرِهَ صَاحِبُهُ إِذَا سَمِعَ بِهِ وَكُنْتَ أَنْتَ مُعَافِيٌّ عَنْهُ خَالِيًا مِنْهُ وَتَكُونُ فِي ذَلِكَ مُبَيَّنًا لِلْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ بَيَانِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ وَلَكِنْ بِشَرْطٍ أَنْ لَا يَكُونَ لِلْقَائِلِ بِذَلِكَ مُرَادٌ غَيْرُ بَيَانِ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى».

فذكر الانسان بصفة مذمومة عند الله، وهو مشهور بها بين الناس وملام عليها لانه لم يحفظ حرمة بين الناس كالتجاهر بالفسق والفجور والتجاهر بارتكاب الذنوب دون أن يشعر بالحياء والخجل؛ فهي لا تعد من الغيبة حتى لو كره صاحبها وصفها بها.

لكن بشرط أن يكون قصدك من ذكره بهذه الصفات هو بيان الحق وتحذير الناس من شره وصفاته السيئة ومكائده الشريرة، مما يجعل غيبة مثل هؤلاء الناس جائزة؛ بل واجبة اذا ما احتملت تعرض الناس والبلاد للخطر أو تعريض أموال الناس ودينهم الى خسارة كبيرة لا يمكن تعويضها.

أما اذا لم يكن قصدك بيان الحق والحقيقة تكون قد ارتكبت اثماً حتى لو كنت صادقاً فيما تقول.

وقد وصف القرآن المجيد في الآية ١٢ من سورة الحجرات الغيبة بأنها كأكل الانسان لحم أخيه المؤمن، وهذا دليل على عظمة هذا الذنب.

روايات باب الغيبة:

قالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ

وَمَالُهُ وَعَرَضُهُ»^١.

وهذه الرواية تعني انه لا يحق لأي مسلم التعرض لحياة المسلم وماله وعرضه، والغيبة تمثل تعرضاً لأعراض المسلمين وهو ما يرفضه الله والأنبياء والأئمة عليهم السلام.

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَكَوْنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا»^٢.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَالْغَيْبَةَ فَإِنَّ الْغَيْبَةَ أَشَدُّ مِنَ الزُّنَا فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَزْنِي وَيَتُوبُ فَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَإِنَّ صَاحِبَ الْغَيْبَةِ لَا يُغْفَرُ لَهُ حَتَّى يَغْفَرَ لَهُ صَاحِبُهُ»^٣.

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مرت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافرهم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفتابون الناس ويقعون في أعراضهم»^٤.

وعن سليم بن جابر، قال:

أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: علمني خيراً ينفعني الله به، قال: لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تصب دلوك في إناء المستقى، وإن تلقى أذاك ببشر حسن، وإذا أدبر فلا تغتابه^٥.

١- مجموعة ورام: ١١٥/١، باب الغيبة؛ منية المرید: ٣٢٧، الفصل الثاني.

٢- مجموعة ورام: ١١٥/١، باب الغيبة؛ مستدرک الوسائل: ١١٨/٩، الباب ١٣٢، الحديث ١٠٤٠٨.

٣- مجموعة ورام: ١١٥/١، باب الغيبة؛ بحار الأنوار: ٢٢٢/٧٢، الباب ٦٦، الحديث ١.

٤- مجموعة ورام: ١١٥/١، باب الغيبة؛ بحار الأنوار: ٢٢٢/٧٢، الباب ٦٦، الحديث ١.

٥- مجموعة ورام: ١١٥/١، باب الغيبة؛ مستدرک الوسائل: ١١٩/٩، الباب ١٣٢، الحديث ١٠٤١١.

صوم أهل الغيبة:

وقال انس بن مالك:

أمر رسول الله ﷺ الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن أحد حتى أذن له. فصام الناس حتى إذا أمسوا جعل الرجل يجيئ ويقول يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لأفطر فاذن له والرجل والرجل، حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتأتان من أهلك ظللتا صائميتين وانهما تستحيان ان تأتيانك فاذن لهما ان تفترا، فاعرض عنه، ثم عاوده فاعرض عنه، ثم عاوده فقال: إنهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائميتين ان تستيقيا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقائتا فقائت كل واحدة منهما علقه من دم فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال ﷺ والذي نفس محمد ﷺ بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النار!

الغيبة والربا:

وعن انس قال خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربى وعظم الشأن فقال: إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم!.

ولما رجم رسول الله ﷺ في الزنا قال رجل لصاحبه هذا أقعص كما يقعص الكلب، مرّ النبي ﷺ معهما بجيفة فقال: انهشا منها، فقالا: يا رسول الله

١ - كشف الريبة: ٨

٢ - مجموعة ورام: ١١٦/١، باب الغيبة؛ بحار الأنوار: ٢٢٢/٧٢، الباب ٦٦، الحديث ١.

نهش جيفة، فقال عليه السلام: ما أصبتما من أحيكما أنتن من هذه^١.

وجاء في تفسير آية: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾^٢.

الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس.

وقال بعضهم: أدر كنا السلف لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن

في الكف عن أعراض الناس.

وقال ابن عباس:

إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك، فاذكر عيوبك^٣.

قال مالك بن دينار:

وروي أن عيسى عليه السلام مر والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون: ما

أنتن ريع هذا؟ فقال عيسى عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه كأنه ينههم عن غيبة

الكلب، وينههم على أنه لا يذكر من خلق الله إلا أحسنه^٤.

معنى الغيبة:

على ضوء الآيات والروايات بين علماء الدين خاصة المتخصصين يبحث

المسائل الأخلاقية حدود الغيبة ومعناها، فقالوا:

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت نقصانا في

بدنه أو في نسبه أو خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه وحتّى

١- كشف الرية: ٩؛ مستدرك الوسائل: ١٢٠/٩، الباب ١٣٢، الحديث ١٠٤١٥.

٢- الهمزة ١٠٤: ١.

٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦١/٩.

٤- مجموعة ورام: ١١٦/١، باب الغيبة؛ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦١/٩.

في ثوبه و في داره و دابته.

أما البدن فكذكرك العمى و الحول و القرع و القصر و الطول و السواد و الصفرة و جميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه:

و أما النسب فبأن تقول: إن أباه نبطيّ أو هنديّ أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو جزّار أو شيء مما يكرهه كيف ما كان.

و أما الخلق فبأن تقول: إنه سيّء الخلق بخيل متكبر مرائي شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهور، و ما يجري مجراه.

و أما في أفعاله المتعلقة بالدين كقولك سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة و الزكاة، لا يحسن الركوع و السجود أو لا يحترز عن النجاسات أو ليس بارًا بوالديه أو لا يضع الزكاة مواضعها أو لا يحسن قسمتها أو لا يحرس صومه من الرفث و الغيبة و التعرّض لأعراض الناس.

و أما فعله المتعلق بالدنيا كقولك: إنه قليل الأدب متهاون بالناس و لا يرى لأحد على نفسه حقًا و يرى لنفسه حقًا، أو إنه كثير الكلام كثير الأكل، أو إنه نائم ينام في غير وقته و يجلس في غير موضعه، و أما في ثوبه بأنه واسع الكمّ طويل الذيل و سخ الثياب كبير العمامة.

و تحرم جميع هذه الأمور المتعلقة بالدين و الدنيا و الأخلاق اذا ما كان القصد من افشاء هذه العيوب هو التعرض لأعراض المسلمين المحترمين أمام الآخرين، دون أن يكونوا قد تجاهروا بهذه العيوب أو تجاهروا بالفسق.

واعلم أنّ الذكر باللسان إنّما حرّم لأنّ فيه تفهيم الغير نقصان أخيك و تعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح و الفعل فيه كالقول و الإشارة و الإيماء و

الغمز و الرّمز و الكتابة و الحركة و كلّ ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة و هو حرام.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا دائما من شر الوقوع في هذه الآفة الخطيرة وأن يجنبنا الغيبة مادمنّا في هذه الدنيا.

موارد جواز الغيبة:

ذكرت الكتب الروائية بعض المورد التي تجوز فيها الغيبة، وهي:

- ١- غيبة أصحاب الأهواء الشريرة والبدع الضالة
- السلطان والحاكم الظالم
- ٣- الفاسق المتجاهر بالفسق
- ٤- من لا يتورع عن ارتكاب المحرمات والمعاصي
- ٥- القاضي الظالم في حكمه
- ٦- المنافق
- ٧- الفاجر الذي يجب تعريف الناس بفجره حتى يأمنوا شره
- ٨- الاستشارة، ببيان صفات الانسان المستشار فيه لغرض صحيح كالمشاركة أو الرفقة أو الزواج.
- ٩- الشهادة في المحكمة بحق من يستحق الحد الالهي
- ١٠- الجرح والتعديل في الرواي
- ١١- ذكر العيوب المشهورة في الانسان والتي لا يكره صاحبها الاتصاف بها.

١٢- الاستعانة بصاحب السلطة للحيلولة دون حدوث المنكر من قبل أهل المنكر، ولا توجد وسيلة لدفعه الا بالاستعانة بأصحاب السلطة. وفي غير هذه الموارد لا تجوز غيبة المسلم بصفة يكرهها فهي حرام شرعا وتخالف الدين وفيها معصية الله وعقابها عذاب جهنم في الآخرة.

«فَإِنْ اغْتَبَّتْ فَبَلَغَ الْمُغْتَابَ فَاسْتَحِلَّ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْهُ وَلَمْ يَلْحَقْهُ عِلْمٌ ذَلِكَ فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ لَهُ».

«الْغَيْبَةُ تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ، أَوْحَى اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام: الْمَغْتَابُ إِذَا تَابَ فَهُوَ آخِرٌ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: «أَيُّجِبُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ»».

يقول الامام الصادق عليه السلام:

يبين الامام في هذا المقطع من الرواية كيفية علاج الغيبة، ويقول اذا ما اغتبت شخصا وسمع بذلك وفهم أنك اغتبتة، فعلاجها أن تستحل منه حتى يسامحك ويقبل اعتذارك، وان لم يسمع بهذه الغيبة فعلاجها أن تستغفر الله له.

واعلم أن الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، حيث الله تعالى الى

موسى بن عمران عليه السلام:

«الْمَغْتَابُ إِذَا تَابَ فَهُوَ آخِرٌ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ».

كما قال الحق تعالى:

﴿أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

فالغية كما وضعنا في العناوين السابقة، هي ذكر عيوب الانسان في غيبته في خلقه أو خلقه أو فعله أو سلوكه أو مذهبه أو جهله وأمثال ذلك.

«وَأَصْلُ الْغَيْبَةِ تَتَوَعُّ بِعَشْرَةِ أَنْوَاعٍ: شَفَاءِ غَيْظٍ، وَمَسَاءَةِ قَوْمٍ، وَتَصْدِيقِ خَبَرٍ وَتُهْمَةٍ، وَتَصْدِيقِ خَبَرٍ بِلَا كَشْفِهِ، وَسَوْءِ ظَنٍّ، وَحَسَدٍ، وَسُخْرِيَّةٍ، وَقَعَجُبٍ، وَتَبْرُؤٍ، وَتَزْيِينٍ».

أسباب الغيبة:

يمكن ارجاع حقيقة الغيبة الى عشرة أسباب:

- ١- شفاء الغيظ والغضب
- ٢- الاساءة الى الناس واغضابهم بلا سبب أو مبرر.
- ٣- تصديق الخبر والتهمة عن شخص آخر بما يتضمن الغيبة.
- ٤- تصديق الخبر دون التحقق أو الكشف عنه.
- ٥- سوء الظن في حق الأفراد.
- ٦- الحسد الموجب للغيبة.
- ٧- السخرية والاستهزاء استحقارا للناس.
- ٨- التعجب في ذكر الشخص واستبعاده عن الحق.
- ٩- التبرم واطهار اللوم والكراهة عند ذكر شخص معين.
- ١٠- تزيين الكلام المتضمن لعيوب الآخرين.

«فَإِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ فَادْكُرِ الْخَالِقَ لَا الْمَخْلُوقَ فَيُصْبِرَ لَكَ مَكَانَ الْغَيْبَةِ عِبْرَةً
وَمَكَانَ الْأَثْمِ ثَوَابًا. كَذَبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ وُلِدَ مِنْ حَلَالٍ وَهُوَ يَأْكُلُ لِحُومَ
النَّاسِ بِالْغَيْبَةِ. اجْتَنِبِ الْغَيْبَةَ فَإِنَّهَا إِدَامُ كِلَابِ النَّارِ!!»

سلامة الدنيا والآخرة:

الامام الصادق عليه السلام يقول في القسم الأخير من الرواية:

إذا كنت ترغب في تحقيق السلامة في الدنيا والآخرة عليك الانشغال بذكر الخالق بدلا عن ذكر الناس، وهذا الأمر سيؤدي الى بصيرة الانسان وتقدمه في سيره نحو عظمة الملكوت والارتقاء في مراتب الكمال، وكسب الثواب والأجر ورضا الحق تعالى بدلا عن ارتكاب الذنوب.

وقد كذب من يدعي أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، لأن المولود من حلال لا يفكر سوى بالطاعة والعبادة التي تقتضي أكل الحلال وتجنب الحرام، فاجتنبوا عن الغيبة لأنها إدام كلاب النار.

وينبغي أن لا نغفل عن حقيقة كون المستمع للغيبة شريك فيها، وتوجد الكثير من الروايات التي تؤكد هذه الحقيقة.

الهي! أسألك بلطفك ورحمتك وكرمك أن توفقنا لاجتناب الذنوب صغيرها وكبيرها، واحفظنا من شر آفات اللسان وذنوبه الخطيرة.

الباب

(٥٠)

في الرياء

قال الصادق عليه السلام:

لا تراء بعملك من لا يحيي ولا يميت ولا يغني عنك شيئاً.
والرياء شجرة لا تثمر إلا الشرك الخفي وأصلها النفاق، يقال للمرائي
عند الميزان: خذ ثوابك وثواب عمك ممن أشركته معي فانظر من تعبد،
ومن تدعو، ومن ترجو ومن تخاف.

وأعلم أنك لا تقدر على إخفاء شيء من باطنك عليك وتصير مخدوعاً
بنفسك، قال الله عز وجل: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ
إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

وأكثر ما يقع الرياء في البصر، والأكل، والكلام، والمشى، والمجالسة،
واللباس، والضحك، والصلاة، والحج، والجهاد، وقراءة القرآن، وسائر
العبادات الظاهرة.

ومن أخلص لله باطنه وخشع له بقلبه ورأى نفسه مقصراً بعد بذل كل
مجهود وجد الشكر عليه حاصلاً فيكون ممن يرجى له الخلاص من الرياء
والنفاق إذا استقام على ذلك في كل حال.

«لا تراءِ بِعَمَلِكَ مَنْ لا يُحْيِي ولا يُمِيتُ ولا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً، والرِّياءُ شَجَرَةٌ لا تُثمرُ إِلا الشُّرْكَ الخَفِيَّ وَأَصْلُهَا النُّفاقُ».

حقيقة الرياء:

في هذا الفصل يشير الامام الصادق عليه السلام الى واحدة من أسوء الرذائل الأخلاقية والملوثات القلبية أي الرياء والتظاهر بالعمل. يقول الامام عليه السلام:

«لا تراء بعملك من لا يحيي ولا يميت، ولا يغني عنك شيئا
لا في الدنيا ولا في الآخرة».

فالرياء والتظاهر بالعمل أمام الناس ليس فقط لا يجلب للانسان نفعاً؛ بل يضيع جهده وزحماته وما تكبده من معاناة في هذا العمل، ولا يجني منه سوى الحسرة والندم.

والرياء شجرة لا تثمر إلا الشرك الخفي وأصلها وجذورها النفاق، وهذا الشرك الذي تذكره الرواية هو الشرك في العبادة، اذ يصبح المرئى من أعوان الشيطان ومنسجماً في أفعاله مع المشركين من عبدة الأوثان والأصنام. ويمكن تشبيه حقيقة الرياء، كمثل الانسان الذي يمتلك أرض خصبة وي بذل جهدا كبيرا في زراعتها بأنواع الأشجار والنباتات الجميلة، وما ان تثمر هذه

الأشجار والنباتات حتى يجلب منشاراً حاداً ويتوسل الى أحد الأشخاص أن يقطعها جميعاً من جذورها!!

فالمرائي يعطي الناس منشار الرياء ويطلب منهم أن يقطعوا عمله من قبول الحق ورضاه، وأن لا يصل الى المرحلة التي يجني فيها ثمار هذا العمل، مما يعني أن الرياء يمثل في الحقيقة عملاً أحماً، ولا يمثل المرائي سوى حملاً ووسيلة رخيصة بيد الشيطان.

وللابتعاد عن آفة الرياء يحتاج الانسان الى القيام ببعض التمارين والرياضات الشرعية الصعبة، فان لم يوفق في علاج هذا المرض الخطير سينتهي به الأمر الى الخسران الأبدي، ومن هذه الرياضات التوجه الى حقيقة أسماء الله وصفاته مثل الرب، القابل، الرحمن، الرحيم، الخالق، الودود، الغفور، الكريم، الله، و رفيع الدرجات، وادراك هذه الحقيقة أن جميع الموجودات مملوكة للحق تعالى وبدونه ليس لها أي حيثة وهوية واعتبار، وسيأتي اليوم الذي لا يمكن فيه لأحد تقديم العون للانسان واناذاه من عواقب أفعاله، وادراك أن العبادة الحقيقية لا تكون سوى للحق تعالى.

دواوين حركة الانسان:

توضع لكل حركة من حركات الانسان ثلاثة دواوين، حيث جاء في الأحاديث المروية عن الأولياء:

«يُنشَرُ لِلْعَبْدِ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ مِنْ حَرَكَاتِهِ وَإِنْ صَفَرَتْ ثَلَاثَةُ دَوَاوِينِ: الدَّيْوَانُ الْأَوَّلُ لِمَ وَالثَّانِي كَيْفَ وَالثَّلَاثُ لِمَنْ؟».

ويعني الديوان الأول «لم؟» لماذا قمت بهذه الحركة ولأي سبب؟ وهل قمت بها تنفيذا لأمر الله، أم اشباعا لرغبات نفسك وأهوائها؟ فان خرج الانسان سالما موقفا من هذا الديوان، ينتقل الى الديوان الثاني وهو كيف قمت بهذا العمل؟ اذ يضع الله شروطاً وحدوداً معينة لكل عمل يجب رعايتها، فهل قمت بتشخيص هذه الحدود والشروط عن علم وتحقيق أم عن جهل وظن؟ فان وفق الانسان في تجاوز هذه المرحلة بسلام أيضاً، سينتقل الى الديوان الثالث وهو لمن قمت بهذا العمل ولأي شخص أو جهة؟، وهل كنت مخلصا في عملك ولم تقم به سوى لوجه الله تعالى، وأنت التزمت بعهدك وشهادتك «لا اله الا الله» حتى تنال الأجر والثواب منه تعالى؟ أم أنك قمت به للرياء والتظاهر أمام الناس فحينها عليك أن تأخذ أجرك وثوابك من هؤلاء الناس، وقد جاء هذا المضمون في الكثير من الروايات، أم أنك قمت بهذا العمل لكسب الأجر والثواب الدنيوي فقد كسبت أجرك فعلا في هذه الدنيا، أم أنك قمت به عن سهو وغفلة فحينها لا تستحق أي أجر أو ثواب.

واجمالا، اذا ما علم الانسان أنه معرض فيما بعد لمثل هذا المحاسبة، فانه حتما لن يترك نفسه تعمل ما يحلو لها، بل سيخضعها دائما للحساب والمراقبة، حتي يكبح جماحها ويحول دون انحرافها عن جادة الحق والوقوع في العذاب الالهي.

أحد العرفاء العظام يقول في كلام يحمل الكثير من المعاني الدقيقة:

«إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ بِالْمُرَاقَبَةِ مَنْ يَخَافُ عَلَى فَوْتِ حَظِّهِ مِنْ رَبِّهِ».

ان غفلتنا عن مراقبة النفس ومحاسبتها ناتجة عن جهلنا بعواقب ترك المراقبة، وماذا يمكن أن نخسره من النعم الالهية، والحظ الذي يمكن أن نفوته على انفسنا من كرم الرب ولطفه؟ وكيف يتنافى هذا الحظ مع حضرة الحق تعالى، اذ نحن وللأسف بسبب سوء التربية والتعليم نمني النفس بعود الشيطان الواهية ونغفل عن محكمات الآيات والروايات، ثم نظل نحترق في نار الحرمان والهجران ومنتظر كيف يتصرفون معا في المستقبل؟

والعجيب أن بعض الناس من أهل المعاصي والذنوب اذا علموا أن أحدا يراقبهم حتى لو كان طفلاً صغيراً فانهم يصححون عملهم وسلوكهم، وحتى المشركين من عبدة الأوثان فانهم وكما سمعنا أو قرأنا في الكتب يراقبون أنفسهم عند ارتكابهم المعصية بحق أصنامهم، لكن بعض الناس ممن يدعون الايمان والاسلام يغفلون عن مراقبة حركاتهم وسكناتهم وأفعالهم وسلوكهم في قبال حضرة الحق تعالى، وهذه الغفلة عن المراقبة إنما هي ناتجة عن ذلة النفس وحقارتها ووضاعتها وسوء عاقبة الانسان!

وعن هذا الموضوع، يقول الغزالي:

عندما أمسك الشاب بالمرأة في الليل، قالت له: ألا تستحي؟

قال: ممن؟ فلا أحد يرانا سوى النجوم التي تلمع في هذه السماء.

فقلت: وماذا عن خالق النجوم؟!!!

لذا يجب علينا قبل الاقدام على كل عمل، أن ندرك ونشعر بوجود الخالق والمالك والمحيي والرزاق ورب العالمين، وأنه يراقبنا في كل عمل ومكان، وأن بيده الثواب والعقاب وقبول الأعمال وردها ودخول الجنة والنار.

رسالة مؤلمة:

في بيانه لعذاب الحرمان والهجران عن الحق تعالى بسبب ارتكاب الذنوب والمعاصي خاصة معاصي القلب مثل آفة الرياء المذمومة، كتب عبد الله قطب رسالة الى صديقه، جاء فيها:

أما بعد: كيف لهذا الانسان الضعيف الذي لا يتحمل ألم لسعة النحلة أن يحفظ نفسه من عذاب الله ولدغ الأفاعي ولسع العقارب في جهنم وعذاب الآخرة وشدة حرارتها، وهو عذاب الحق الذي لا ينجو من سطوته وبطشه المجرمون. وإذا ما ظن الانسان وتصور أن الله كريم ورحيم ولا يمكن ان يعذب عبده بمثل هذا العذاب، فعليه أن يعلم أن ما تصوره من حال الله مع عبده المجرم قد جعله يتهاون في معصية خالقه وابتلى بعضيان أوامر قيوم السماوات وهو ابتلاء لا يقل ألماً وشدة عن الابتلاء بعذاب الآخرة؛ بل هو أشد عند أرباب الهمم وأهل المعرفة بحيث لو خيروا أحدهم بين العذاب أو الابتلاء بالمعصية لكان العذاب أحب اليهم من الابتلاء بالمعصية، إذ ان عباد الحق ينفرون من المعصية لكونها معصية سواء أدت أو لم تؤدّي الى العذاب، كما قال رسول الله ﷺ في شأن صهيب:

«نعم المرء صهيب لو لم يخف الله لم يعصه»!

ويعلم العبد المستبصر أنه والعياذ بالله اذا ما ابتلي بالعذاب الأبدي سيكون أهون عليه من وصفه بالعصيان والعقوق والجفاء بحق الخالق تبارك اسمه، لأن الله عز وجل قد رأى أن يوصف العبد بهذا الخذلان أي معصية الله، فلا عجب أن

يكون الابتلاء بالعذاب عند المستبصر العارف بالحق أهون من الوصف بتلك الصفة.

وفي الآخرة عندما يتجلى للمجرمين جلال الله تعالى وعظمته بما لا يمكنهم انكاره، ويدركون عظمة الخالق الذي عصوا وأساءوا التعامل معه بما لا يمكنهم التغاضي عن هذه الأفكار، ويدركون مدى قبح أفعالهم بما لا يمكنهم تجاهل مثل هذا الإدراك، فتنتابهم حالة شديدة من الخجل تؤلمهم الى درجة يتمنون فيها تحمل عذاب النار بشدته وقسوته على تحمل ألم هذا الخجل والحياء من الخالق عز وجل، حتى أنهم يعتبرون الانشغال بعذاب النار ونسيان ألم هذا الخجل والحياء أو الذهول والغفلة عنها لساعة واحدة، كأنها منة عليهم، فويل لمن كان عذاب النار عليه أهون الحالين...

نعم، عند أهل البصيرة والمعرفة يكون ألم الحرمان والهجران عنه تعالى أشد أنواع الألم، ويكون الحرمان من القرب والوصال بحضرة الحق أشد أنواع العذاب.

كلام الغزالي عن الرياء:

الغزالي في باب المهلكات من كتاب «كيمياء السعادة» يقول وفق الآيات والروايات:

اعلم أن الرياء في طاعات الحق تعالى من الكبائر وأقرب الى الشرك، ولا يوجد مرض في قلب المؤمنين أغلب من رغبتهم على أن يطلع الناس على عبادتهم حتى يعتقدوا أنهم من الصالحين، ولما كان قصدهم من العبادة اعتقاد الناس، لذا لا يعد عملهم عبادة للحق، بل هي عبادة للخلق، فان كانت بهذا

المعنى فهي شرك في عبادة الحق تعالى، اذ أشركوا غير الله معه في عبادتهم، والله تعالى يقول:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^١.

الرياء في الصلاة:

يقول الله تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾^٢.

فويل لأولئك الذين يرأون في صلاتهم بدافع الشهوة وحب النفس.

فقد قال ﷺ حين سأله رجل فقال: يا رسول الله: فيم النجاة؟ فقال:

«ألا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس».

وعنه ﷺ في حديث الثلاثة: المقتول في سبيل الله، والمتصدق بماله في

سبيل الله، والقاري لكتاب الله، وان الله عز وجل يقول لكل واحد منهم:

«كذبت بل أردت أن يقال: فلان شجاع، كذبت بل أردت أن

يقال: فلان جواد، كذبت بل أردت أن يقال: فلان قارئ،

فأخبر رسول الله ﷺ أنهم لم يثابوا و أن رياء هم هو الذي

أحبط أعمالهم»^٣.

١- الماعون ١٠٧: ٤-٧.

٢- الماعون ١٠٧: ٤-٧.

٣- المحجة البيضاء: ١٣٩/٦، كتاب ذم الجاه والرياء.

وقال ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا:

وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى

يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جَازَى الْعِبَادَ بِأَعْمَالِهِمْ»:

أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تَرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمُ الْجِزَاءَ».

وقال ﷺ: «اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ حُبِّ الْحِزْنِ قِيلَ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: وَادَّ

فِي جَهَنَّمَ أَعْدًا لِلْقُرَاءِ الْمُرَائِينَ».

وقال نبينا ﷺ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَمَلًا فِيهِ مَقْدَارُ ذَرَّةٍ مِنْ رِيَاءٍ، فَبَكَى مُعَاذٌ، فَقَالَ

عُمَرُ: لِمَاذَا تَبَكَي؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَدْنَى الرِّيَاءِ شَرُّكَ، وَقَالَ:

إِنَّ الْمُرَائِيَّ يَنَادِي عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا فَاجِرُ يَا غَادِرُ يَا مُرَائِيَّ ضَلَّ عَمَلُكَ وَحَبِطَ

أَجْرُكَ، أَذْهَبْ فَخُذْ أَجْرَكَ مِمَّنْ كُنْتَ تَعْمَلُ لَهُ»^١.

وقال شداد بن أوس:

رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَبْكِي فَقُلْتُ: مَا يَبْكِيكَ؟ قَالَ:

«إِنِّي تَخَوَّفْتُ عَلَى أُمَّتِي الشَّرْكَ أَمَا إِنَّهُمْ لَا يَعْبُدُونَ صِنَمَا وَ

لَا شَمْسًا وَ لَا قَمَرًا وَ لَا حِجْرًا وَ لَكِنَّهُمْ يَرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ».

وقال ﷺ: «إِنَّ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ رَجُلًا

تَصَدَّقَ بِيَمِينِهِ فَكَادَ يَخْفِيهَا عَنْ شِمَالِهِ»^٢.

١- منية المرید: ٣١٨، الفصل الثاني؛ بحار الأنوار: ٣٠٣/٦٩، الباب ١١٦، الحديث ٥٠.

٢- مجموعة ورام: ٢٢٣٣/٢؛ مستدرک الوسائل: ١٠٩/١، الباب ١١، الحديث ١١٣.

العبادة الخالصة:

و قال رسول الله ﷺ:

«لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ مَادَتْ بِأَهْلِهَا فَخَلَقَ الجِبَالَ فَصَيَّرَهَا
أوتاد الأَرْضِ فقالت الملائكة: ما خلق ربنا خلقا هو أشدّ من
الجبال».

فخلق الله الحديد فقطع الجبل، ثمّ خلق النار فأذاب الحديد، ثمّ أمر الله تعالى
الماء بإطفاء النار و أمر الرّيح فكدرت الماء، فاختلفت الملائكة فقالت: نسأل الله
تعالى فقالوا: يا ربّ ما أشدّ ما خلقت من خلقك؟ قال الله تعالى: لم أخلق شيئا هو
أشدّ من [قلب] ابن آدم حين يتصدّق بيمينه بصدقة فيخفيها عن شماله فهذا أشدّ
خلق خلقته^١.

العبادة غير الخالصة:

قال معاذ: قال لي رسول الله ﷺ قال، يا معاذ، قلت: لبيك بأبي أنت و أمي.
قال: إنني محدثك حديثا إن أنت حفظته نفعك و إن أنت ضيّعته و لم تحفظه
انقطعت حجّتك عند الله يوم القيامة، يا معاذ إنّ الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل
أن يخلق السماوات و الأرض ثمّ خلق السماوات، فجعل لكلّ سماء من السبعة
ملكا بوابا عليها قد جلّلها عظاما فتصعد الحفظة بعمل العبد من حين أصبح إلى أن
أمسى، له نور كنور الشمس حتّى إذا صعدت به إلى السماء الدّنيا زكّته فكثّرته
فيقول الملك للحفظة: اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني

١- محجة البيضاء: ١٤٢/٦، كتاب ذم الجاه والرياء.

رَبِّي أَن لَّا أَدْعُ عَمَلٍ مِّنْ اغْتَابِ النَّاسِ يَجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي.

قال: ثُمَّ تَأْتِي الْحَفِظَةَ بِعَمَلٍ صَالِحٍ مِّنْ أَعْمَالِ الْعَبْدِ فَمُتَمَرِّقٌ تَزَكِّيهِ وَتَكْتَرُهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِالسَّمَاءِ الثَّانِيَةِ: قَفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ إِنَّهُ أَرَادَ بِعَمَلِهِ هَذَا عَرْضَ الدُّنْيَا أَمْرُنِي رَبِّي أَن لَّا أَدْعُ عَمَلَهُ يَجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي إِنَّهُ كَانَ يَفْتَخِرُ بِهِ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ.

قال: وَتَصْعَدُ الْحَفِظَةَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَبْتَهِجُ نُورًا مِّنْ صَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَصَلَاةٍ قَدْ أَعْجَبَ الْحَفِظَةَ فَيَجَاوِزُونَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِهَا: قَفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ أَنَا مَلِكُ الْكِبَرِ أَمْرُنِي رَبِّي أَن لَّا أَدْعُ عَمَلَهُ يَجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي إِنَّهُ كَانَ يَتَكَبَّرُ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ.

قال: وَتَصْعَدُ الْحَفِظَةَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَزْهَرُ كَمَا يَزْهَرُ الْكَوْكَبُ الدَّرِّيُّ لَهُ دَوِيٌّ مِّنْ تَسْبِيحٍ وَصَلَاةٍ وَحَجٍّ وَعِمْرَةٍ حَتَّىٰ يَجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِهَا: قَفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ، اضْرِبُوا بِهِ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ أَنَا صَاحِبُ الْعَجَبِ أَمْرُنِي رَبِّي أَن لَّا أَدْعُ عَمَلَهُ يَجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي إِنَّهُ كَانَ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَدْخَلَ الْعَجَبَ فِي عَمَلِهِ.

قال: وَتَصْعَدُ الْحَفِظَةَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ يَجَاوِزُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ كَأَنَّهُ الْعُرُوسُ الْمَرْفُوفَةُ إِلَىٰ بَعْلِهَا فَيَقُولُ لَهُمُ الْمَلِكُ الْمَوْكَلُ بِهَا: قَفُوا وَاضْرِبُوا بِهَذَا الْعَمَلِ وَجْهَ صَاحِبِهِ وَاحْمَلُوهُ عَلَىٰ عَاتِقِهِ أَنَا مَلِكُ الْحَسَدِ إِنَّهُ كَانَ يَحْسَدُ النَّاسَ مَن يَتَعَلَّمُ وَيَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ وَكُلٌّ مِّنْ كَانَ يَأْخُذُ فَضْلًا مِّنَ الْعِبَادَةِ يَحْسَدُهُمْ وَيَقَعُ فِيهِمْ، أَمْرُنِي رَبِّي أَن لَّا أَدْعُ عَمَلَهُ يَجَاوِزُنِي إِلَىٰ غَيْرِي.

قال: وَتَصْعَدُ الْحَفِظَةَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِّنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَحَجٍّ وَعِمْرَةٍ وَصِيَامٍ

فيجاوزون به إلى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه إنه كان لا يرحم إنسانا قطّ من عباد الله أصابه بلاء أو ضرّ بل كان يشمت به أنا ملك الرّحمة أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلي غيري.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد إلى السماء السابعة من صوم و صلاة و نفقة و زكاة و اجتهاد و ورع له دويّ كدويّ الرّعد و ضوء كضوء الشمس معه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به إلى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها: قفوا و اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه و اقللوا على قلبه إنني أحجب عن ربّي كلّ عمل لم يرد به وجه ربّي إنه أراد بعمله غير الله تعالى، إنه أراد رفعة عند الفقهاء، و ذكرا عند العلماء، وصيّتنا في المدائن أمرني ربّي أن لا أدع عمله يجاوزني إلى غيري، و كلّ عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء و لا يقبل الله عمل المرآئي.

قال: و تصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة و زكاة و صيام و حجّ و عمرة و خلق حسن و صمت و ذكر الله و تشييعه ملائكة السماوات حتّى يقطعوا به الحجب كلّها إلى الله تعالى فيقفون بين يديه و يشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال: فيقول الله لهم: أنتم الحفظة على عمل عبدي و أنا الرقيب على نفسه إنه لم يردني بهذا العمل و أراد به غيري فعليه لعنتي، فتقول الملائكة كلّهم: عليه لعنتك و لعنتنا، و تقول السماوات كلّها: عليه لعنة الله و لعنتنا، و تلعنه السماوات السبع و من فيهنّ^١.

وعندما يدقق الانسان في الروايات والمعارف الالهية، يدرك أن الرياء عمل

١- المحجة البيضاء: ١٤٢/٦، كتاب ذم الجاه والرياء؛ بحار الأنوار: ٢٤٦/٦٧، الباب ٥٤، الحديث ٢٠.

قبيح ومذموم جداً، وهو يأكل جميع حسنات الانسان وأعماله وزحماته كما تفعل نار جهنم.

علاج الرياء:

نقلوا أن:

العلامة بحر العلوم لم يضحك طيلة خمس وعشرين سنة، وكان تلامذته يرونه دائماً حزيناً مغموماً مهموماً، وبعد هذه السنوات الطويلة بدت على وجه المبارك الابتسامة، فلما سأله أحد تلامذته المقربين منه عن علة تبسمه بعد خمس وعشرين سنة، قال: لقد قضيت هذه السنين الخمس والعشرين أسعى لعلاج الرياء والقضاء عليه تماماً من قلبي، وقد وفقني الله اليوم وأدركت أنني قد تمكنت بفضل ورحمته من القضاء تماماً على هذه الرذيلة في قلبي، ولهذا ابتسمت من شدة السعادة والسرور.

نعم، عندما يظهر وجود الانسان تماماً من الملوثات الظاهرية والباطنية، يفتح امامه عالم عجيب يشعر فيه بلذة روحية ومعنوية عظيمة لا يمكن مقارنتها بأي لذة أخرى يمكن أن يشعر بها الانسان في حياته، وحينها لن يرى الانسان سوى حضرة الحق ولن يريد سواه ولن يقول سواه ولن يشعر بلذة الامعة تعالى.

«يُقَالُ لِلْمُرَائِي هِنْدَ الْمِيزَانِ: خُذْ ثَوَابَكَ وَثَوَابَ عَمَلِكَ مِمَّنْ أَشْرَكَتَهُ مَعِيَ
فَانظُرْ مَنْ تَعْبُدُ، وَمَنْ تَدْعُو، وَمَنْ تَرْجُو وَمَنْ تَخَافُ. وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى
إخْفَاءِ شَيْءٍ مِنْ بَاطِنِكَ عَلَيْكَ وَتَصِيرُ مَخْدُوعًا بِنَفْسِكَ. قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ:
﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾!»

ثواب المرائي:

في هذا المقطع من الرواية يقول الامام الصادق عليه السلام:

يوم القيامة والحساب يقال للمرائي: خذ ثوابك و ثواب عملك ممن أشركته
معي، لذا انظر أيها العبد من تعبد، ومن تدعوا، ومن ترجو، ومن تخاف؟
واعلم أنك لا تقدر على اخفاء شيء من باطنك عليك وتصير مخدوعاً بنفسك
الامارة، وتظن أنك قادر على اخفاء شيء على حضرة الحق تعالى العالم بظاهرك
وباطنك وبامكانك خداعه، وهو ظن خاطئ لأن الله عز وجل يقول:

﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ﴾

«وَأَكْثَرَ مَا يَقَعُ الرِّيَاءُ فِي الْبَصْرِ، وَالْأَكْلِ، وَالْكَلَامِ، وَالْمَشْيِ، وَالْمُجَالَسَةِ،
وَاللَّبَاسِ، وَالضَّحْكَ، وَالصَّلَاةِ، وَالْحَجِّ، وَالْجِهَادِ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسَائِرِ
الْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ».

موارد الرياء:

في هذا المقطع، يبين الامام الصادق عليه السلام موارد الرياء وأنها يمكن أن تظهر
في الأمور التالية:

١. البصر ٢. الأكل ٣. الكلام ٤. المشي ٥. المجالسة ٦. اللباس ٧. الضحك
٨. الصلاة ٩. الحج ١٠. الجهاد ١١. قراءة القرآن وسائر العبادات الظاهرة.

رياء البصر:

ويتمثل بالنظر عن عجز وانكسار وارخاء الجفون والنظر الى الأسفل بشكل
يخدعون فيه الناس الذين عادة ما يحكمون بحسن باطن الانسان من خلال هذا
السلوك، فيقولون فلان قليل النوم ومن أولياء الله وذو حالات معنوية وملكوية.

الرياء في الأكل:

ويتمثل بأن يظهر الانسان أمام الناس قلة الأكل عن الحد المعمول الذي
يتناوله في بيته مثلا، حتى يقول الناس أنظروا كم هو قليل الأكل، وهنبا لقدرته

على السيطرة على البطن مما يمكنه من الانشغال بالعبادة وكسب نور المعرفة.

يقول سعدي في «گلستان»:

حل عابد ضيفا على أمير المدينة، فما أن عاد الى بيته حتى قال لأبنه: أجب لي الغذاء فاني جائع، فقال الابن: لماذا، ألم تأكل في بيت الأمير؟ قال: نعم، لكني لم أأكل بالمقدار الكافي، فقال الابن: اذن، عليك يا أبي أن تقضي جميع عبادتك لأنك تبين للناس في المجلس قلة الأكل حتى يقولوا عنك قليل الأكل، وتكثر من العبادة حتى يصفك الناس بالعابد، ولن تجني من هذا الأسلوب سوى الضرر والخسارة!

الرياء في الكلام:

ويتمثل بأن يقلل الانسان من كلامه، ويتحدث كثيرا بأمر الخير، ويزيد من ذكر الله والأنبياء حتى يقال له عجباً لعلم هذا الرجل وفهمه، وعجبا للسانه الذي لا ينطق الا بالحق!

الرياء في المشي:

ويتمثل بأن يمشي بهدوء مطأطأ الرأس ويعتني بحركاته حتى يقال أن مشيه مشي الأولياء وحركاته حركات عباد الله.

الرياء في المجالسة:

بأن يجلس بين الناس ويظهر أمامهم التواضع ويتجنب الحديث مع هذا وذاك، ويتعد عن الاشتراك في حديث الناس، ويبين امتعاضه من هذه المجالسة والرفقة والجلسة، حتى يتحسر الجميع على وضعه وحالته ويغبطونه على مكانته ويمدحونه امام الآخرين.

الرياء في اللباس:

بأن يلبس الانسان رث الثياب والملابس الخسنة، ويثقل على نفسه كثيرا حتى يقال هنيئا له على هذا الزهد، وياله من انسان موفق في عبادته وطاعته للحق.

الرياء في الضحك:

ويتمثل في الضحك بمرارة والضحك المصحوب بالاستهزاء من أهل الدنيا وأهل الغفلة حتى يقال عجبا له من انسان واع يقظ، يحسب لكل تصرفاته حتى ضحكه.

الرياء في الصلاة والحج والجهاد:

ان الرياء في الصلاة والحج والجهاد وقراءة القرآن وسائر العبادات واضح ومعلوم في ظاهره ولا يحتاج الى مزيد من الشرح والتوضيح.
نعم، المرثي انسان سئ الحظ وسئ الحال وسئ العاقبة، وقد صرف جل عمره في العناء والمشقة دون أن يحصل على أي منفعة أو فائدة تذكر، لكن أهل الايمان والعاملين لله تعالى يمتلكون دائما الحظ الأوفر وسينالون المنفعة الدائمة والحياة الأبدية يوم القيامة.

«وَمَنْ أَخْلَصَ لِلَّهِ بَاطِنُهُ وَخَشَعَ لَهُ بِقَلْبِهِ وَرَأَى نَفْسَهُ مُقَصِّرًا بَعْدَ بَدَلِ كُلِّ
مَجْهُودٍ وَجَدَ الشُّكْرَ عَلَيْهِ حَاصِلًا فَيَكُونُ مِمَّنْ يُرْجَى لَهُ الْخَلَاصُ مِنَ الرِّيَاءِ
وَالنَّفَاقِ إِذَا اسْتَقَامَ عَلَى ذَلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ».

الاخلاص في العمل:

وفي المقطع الأخير من الرواية يقول الامام عليه السلام:

أن من اخلص لله تعالى في باطنه وتحرك بخشوع نحو الحق ورأى القصور
في نفسه رغم الجهد الكثير الذي بذله في العبادة البدنية والمالية والأخلاقية، ولم
يخرج عن جادة شكر الله على هذه النعم، ينبغي القول عنه: أنه يوجد أمل في
نجاته من الرياء والنفاق اذا ما استمر على ذلك واستقام على هذه الأحوال الالهية
في كل حال.

ينقل أحد أصدقاء أهل العلم:

تم في مدينة مشهد المقدسة بناء مسجد اتخذه مكانا لاقامة الصلاة
والاحتفالات المذهبية والدينية، لكنه كان يفتقر الى الفراش اللازم وبعض
الوسائل الضرورية، وفي أحد الليالي جاء رجل في منتصف الليل عندما كان
جميع أهل المنطقة يغطون في نوم عميق ولم يكن خادم المسجد موجوداً،

ليفرش المسجد بأفضل أنواع السجاد ويجلب بعض الوسائل الضرورية لما يكفي لأربعمئة شخص وينصرف دون أن يعرف أحد هذا الفاعل للخير والعبد المخلص الذي قام بهذا العمل الخير!

روايات باب الرياء:

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»، قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، إنما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه.^١

عن العلاء بن فضيل: عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن تفسير هذه الآية «من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً»، قال: من صلى أو صام أو أعتق أو حج يريد محمداً الناس فقد أشرك في عمله وهو شرك مغفور.^٢

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ النَّارَ وَأَهْلَهَا يَعْبُدُونَ مِنْ أَهْلِ الرِّيَاءِ فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تَعْبُدُ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ حَرِّ النَّارِ الَّتِي يُعَذِّبُونَ بِهَا»^٣.

١- الكهف: ١٨، ١١٠.

٢- الكافي: ٢٩٣/٢، باب الرياء، الحديث ٤؛ وسائل الشيعة: ٧١/١، الباب ١٢، الحديث ١٥٩.

٣- تفسير العياشي: ٣٥٢/٢، الحديث ٩٢؛ بحار الأنوار: ٣٠١/٦٩، الباب ١١٦، الحديث ٤٠.

٤- بحار الأنوار: ٣٠٥/٦٩، الباب ١١٦، الحديث ٥٢؛ مستدرک الوسائل: ١٠٧/١، الباب ١١، الحديث ١٠٩.

قال الصادق عليه السلام: «يُجاءُ بَعْدَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَدْ صَلَّى فَيَقُولُ: يَا رَبِّ صَلَّيْتُ اِتِّغَاءَ وَجْهِكَ فَقَالَ لَهُ: بَلْ صَلَّيْتُ لِيُقَالَ مَا أَحْسَنَ صَلَاةَ فُلَانٍ إِذْهُبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ»^١.

علامات المرائي:

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

ثلاث علامات للمرائي:

- ١- ينشط إذا رأى الناس.
- ٢- و يكسل إذا كان وحده.
- ٣- و يحب أن يحمد في جميع أموره^٢.

الرضا القلبي بعد عمل الخير:

وينبغي ملاحظة هذه النقطة أيضاً، ان الانسان يقوم أحيانا بعمل خير وسلوك حسن لم يكن يتبغي منه سوى رضا الله تعالى، لكنه يشعر بالسرور والرضا القلبي اذا ما عرف الناس فيما بعد هذا العمل، وهذا الأمر يختلف عن الرياء وقد تم استثناءه في الروايات الخاصة بمسألة الرياء لأنه رد فعل طبيعي للقلب بعد كل عمل.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه إنسان

١- الزهد: ٦٢، الباب ١١، الحديث ١٦٦؛ بحار الأنوار: ٣٠١/٦٩، الباب ١١٦، الحديث ٤٤.

٢- مجموعة ورام: ١٨٧/١، بيان ذم الرياء؛ المحجة البيضاء: ١٤٣/٦، كتاب ذم الجاه والرياء.

فيسره ذلك؟ فقال: لا بأس، ما من أحد إلا وهو يحب أن يظهر له في الناس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك^١.

قيل لرسول الله ﷺ:

أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه، قال: تلك عاجل بشرى المؤمن، يعني البشرى المعجلة له في الدنيا والبشرى الأخرى، قوله سبحانه^٢:

﴿بَشْرًا كُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^٣.

قال الرواي:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الرجل يدخل في الصلاة فيجود صلاته، ويحسنها، رجاء أن يستجر بعض من يراه إلى هواه، قال: ليس هو من الرياء^٤.

١- الكافي: ٢٩٧/٢، باب الرياء، الحديث ١٨؛ وسائل الشيعة: ٧٥/١، باب ١٥، الحديث ١٦٨.

٢- بحار الأنوار: ٢٩٤/٦٩، الباب ١١٦، الحديث ١٨.

٣- الحديد: ٥٧: ١٢.

٤- مستطرفات السرائر: ٦٣٢؛ بحار الأنوار: ٣٠١/٦٩، الباب ١١٦، الحديث ٣٩.

الباب

(٥١)

في ذم الحسد

قال الصادق عليه السلام:

الْحَاسِدُ يَضُرُّ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَضُرَّ بِالْمَحْسُودِ كَيْبَلِسَ أَوْرَثَ بِحَسَدِهِ
لِنَفْسِهِ اللَّعْنَةَ وَلِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَجْتِبَاءَ وَالْهُدَى وَالرَّفْعَ إِلَى مَحَلِّ حَقَائِقِ الْعَهْدِ
وَالْأَصْطِفَاءِ.

فَكُنْ مَحْسُودًا وَلَا تَكُنْ حَاسِدًا، فَإِنَّ مِيزَانَ الْحَاسِدِ أَبَدًا ضَعِيفٌ يَثْقُلُ
مِيزَانَ الْمَحْسُودِ وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ.

فَمَاذَا يَنْفَعُ الْحَسَدُ الْحَاسِدَ وَمَاذَا يَضُرُّ الْمَحْسُودَ الْحَسَدُ؟ الْحَسَدُ أَصْلُهُ
مِنْ عَمَى الْقَلْبِ وَجُحُودِ فَضْلِ اللَّهِ وَهُمَا جَنَاحَانِ لِلْكَفْرِ.
وَبِالْحَسَدِ وَقَعَ ابْنُ آدَمَ فِي حَسْرَةِ الْأَبَدِ وَهَلَكَ بِذَلِكَ مَهْلَكًا لَا يَنْجُو مِنْهُ
أَبَدًا.

وَلَا تَوْبَةَ لِلْحَاسِدِ لِأَنَّهُ مُصِرٌّ عَلَيْهِ مُعْتَقِدٌ بِهِ، مَطْبُوعٌ فِيهِ يَبْدُو بِإِلَاءِ مُعَارِضٍ
لَهُ وَلَا سَبَبَ. وَالطَّبْعُ لَا يَتَغَيَّرُ عَنِ الْأَصْلِ وَإِنْ عُولَجَ.

«الْحَاسِدُ يَضُرُّ بِنَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَضُرَّ بِالْمَحْسُودِ كَابْلِيسَ أَوْرَثَ بِحَسَدِهِ لِنَفْسِهِ
اللَّعْنَةَ وَلَادَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَجْتِبَاءَ وَالْهُدَى وَالرَّقْعَ إِلَى مَحَلِّ حَقَائِقِ الْعَهْدِ
وَالْأَصْطِفَاءِ».

ضرر الحسد:

في هذا المقطع من الرواية يتحدث الامام الصادق عليه السلام كما في المقاطع السابقة عن رذيلة أخرى من الرذائل الأخلاقية تعود في جذورها الى وجود ابليس ولها فرع في شجرة الزقوم في جهنم.

بعض الناس لا يتحملون رؤية تمتع الآخرين بصفات وامتيازات أفضل منهم كالعلم أو المال أو الجاه أو الشهرة أو الجمال والجلال الالهي، ويسعون بشتى الوسائل والخدع والمكر والحيلة لسلب جميع النعم التي وهبها الله تعالى لهؤلاء الأفراد، بل هم مستعدون للتضحية بحياة الآخرين في هذا المجال.

فالحسد من الكبائر ويؤدي الى وقوع الانسان في ذنوب أخرى كالغيبة والبهتان والقتل والسلب وانتهاك أعراض وحرمة الناس، لكن ينبغي على المحسود أن يعلم أنه لن يضر أحدا سوى نفسه، ولن يصيب المحسود بأي ضرر أو أذى حقيقي؛ بل سينال المحسود بسبب الحسد الثواب الالهي ورفعة الدرجة والمقام. وعلى ضوء الآيات والروايات، اعتبر علماء الشيعة كالعلامة المجلسي رحمه الله أن

الحسد يمثل نوعا من الاعتراض على حضرة الحق تعالى، فهو اعتراض على حكمته وعدله لذلك يعد نوعا من الكفر.

اذ يقول الامام الصادق في بداية الرواية:

لن يلحق الحسد الضرر بالمحسود بل سيكون له بمثابة سلم الرفة والترقي في مراتب الكمال، كما فعل حسد ابليس بأدم عليه السلام حيث جلب لابليس اللعنة الدائمة ولآدم الاجتباء والهداية والرفع الى محل حقائق العهد والنبوة.

«فَكُنْ مَحْسُودًا وَلَا تَكُنْ حَاسِدًا، فَإِنَّ مِيزَانَ الْحَاسِدِ أَبَدًا ضَعِيفٌ يَثْقُلُ مِيزَانَ
الْمَحْسُودِ وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ. فَمَاذَا يَنْفَعُ الْحَسَدُ الْحَاسِدَ وَمَاذَا يُضِرُّ الْمَحْسُودَ
الْحَسَدُ؟ الْحَسَدُ أَصْلُهُ مِنْ عَمَى الْقَلْبِ وَجُحُودِ فَضْلِ اللَّهِ وَهُمَا جَنَاحَانِ
لِلْكَفْرِ. وَبِالْحَسَدِ وَقَعَ ابْنُ آدَمَ فِي حَسْرَةِ الْأَبَدِ وَهَلَكَ بِذَلِكَ مَهْلَكًا لَا يَنْجُو
مِنْهُ أَبَدًا».

حسد الحاسد:

ان تكن محسودا أفضل من أن تكن حاسدا لأن كل العيب والنقص انما يكمن في الحسد، وميزان المحسود عند الله ثقيل، لكن كفة ميزان الحاسد خفيفة وبلا قيمة، ولن يكون لحسد الحاسد تأثير على تمتع الناس بنعم الله تعالى من الأمور المادية والمعنوية ولن يكون مانعا من وصول لطف الله ورحمته الى من يشاء.

فماذا ينفع الحسد الحاسد، وماذا يضر المحسود الحسد؟ ان أصل الحسد عمى القلب والجهل وانكار رحمة الله وجحود فضله وهما جناحان للكفر. وكان الحسد السبب الذي أوقع بني آدم في حسرة الأبد وفي الهلاك الأبدي الذي لن ينجو منه أبداً.

«وَلَا تَوْبَةَ لِلْحَاسِدِ لِأَنَّهُ مُصِرٌّ عَلَيْهِ مُعْتَقِدٌ بِهِ، مَطْبُوعٌ فِيهِ يَبْدُو بِلَا مُعَارِضٍ لَهُ
وَلَا سَبَبٍ. وَالطَّبَعُ لَا يَتَغَيَّرُ عَنِ الْأَصْلِ وَإِنْ عُولَجَ.»

توبة الحسود:

لا تقبل التوبة من الحسود لأنه مصر على الحسد ومعتقد به، ونتيجة لاستمراره على الحسد نجده قد تطعم على هذه الصفة الابليسية وجبل عليها، بحيث لا تجد معارض لها من الصفات الايمانية التي يمكنها تغيير أحواله وعلاج هذه الصفة الرذيلة في نفسه، لذلك لن يوفق في القضاء عليها وبالتالي لن يتمكن من التوبة عنها.

وبالطبع لو كان معتقداً بالتوبة ساعياً لها، سيتمكن في النهاية من التوبة لكنها لن تتحقق الا بعد عناء طويل ومشقة، لكن ينبغي أن لا تكون هذه المشقة سبباً لليأس من رحمة الله ولطفه لأن اليأس من رحمة الله هو عين الكفر.

ان قول الامام: وَلَا تَوْبَةَ لِلْحَاسِدِ، لا يعني نفيها تماماً عنه؛ بل تعني عظمة هذا الذنب وشدته بحيث تصعب معه التوبة ولا تتحقق الا بعد عناء ومشقة.

الحسد في القرآن:

نهى القرآن الكريم الناس بشدة عن الوقوع في آفة الحسد، ويقول:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^١.

ان حسد الحسود لن يضيف شيئاً للحسود ولن ينقص شيئاً من نعم الله وفضله على المحسود، وسيظل الحسود في ألم ومعاناة مادام يحمل هذه الصفة الرذيلة بينما يتنعم المحسود في برحمة الله ولطفه.

اللهم! جنبنا شر الحسد وشر الحساد، وانقذنا من مكائدهم برحمتك ولطفك لأنه لا ملجأ لنا سواك.

والحسد بالنسبة للامة الاسلامية شبيه بما يحدث من قبل الدول الشرقية والغربية في الوقت الحاضر التي تحمل أسوء الصفات الرذيلة والصفات الشيطانية، حيث تسعى دائما الى ابعاد المسلمين عن الاسلام وتحويلهم الى كفار من أهل جهنم، وهذا ما نجده في اخبار القرآن الكريم عما في قلب اليهود والنصارى من حسد للمسلمين، حيث يقول تعالى:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^٢.

وقال تعالى:

١- النساء: ٤: ٥٤.

٢- البقرة: ٢: ١٠٩.

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^١.

الحسد في الروايات:

نقلا عن «غرر الحكم»، ذكر أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام مسائل قيمة جدا حول صفة الحسد، وأخذها بعين الاعتبار سيساهم كثيرا في علاج هذه الصفة الخطيرة.

«الْحَسَدُ مَرَضٌ لَا يُؤْسَى»^٢.

«الْحَسَدُ دَابُّ السُّفْلِ وَأَعْدَاءُ الدُّوَلِ»^٣.

«الْحَسَدُ مِقْنَصَةٌ إِبْلِيسَ الْكُبْرَى»^٤.

«الْحَسَدُ حَبْسُ الرُّوحِ»^٥.

«الْحَسَدُ شَرُّ الْأَمْرَاضِ»^٦.

«الْحَسَدُ عَيْبٌ فَاضِحٌ وَشَحٌّ [شجى] فَادِحٌ لَا يَشْفَى صَاحِبَهُ إِلَّا

١- الفلق ١١٣: ١-٥.

٢- غرر الحكم: ٣٠٠، الحديث ٦٨١٨؛ مستدرک الوسائل: ٢٢/١٢، الباب ٥٥، الحديث ١٣٤٠١.

٣- غرر الحكم: ٢٩٩، الحديث ٦٧٩٧؛ مستدرک الوسائل: ٢٢/١٢، الباب ٥٥، الحديث ١٣٤٠١.

٤- غرر الحكم: ٢٩٩، الحديث ٦٧٩٦؛ مستدرک الوسائل: ٢١/١٢، الباب ٥٥، الحديث ١٣٤٠١.

٥- غرر الحكم: ٢٩٩، الحديث ٦٧٩٠.

٦- غرر الحكم: ٣٠٠، الحديث ٦٨١٥.

بُلُوعٌ أَمَلِهِ فَيَمَنُ يَحْسُدُهُ»^١.

«ثَمَرَةُ الْحَسَدِ شِقَاءُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^٢.

«الْحَاسِدُ يَفْرَحُ بِالشَّرِّ [بِالشَّرِّ] وَيَغْتَمُّ بِالسُّرُورِ»^٣.

نصح الله تعالى موسى بن عمران، وهو بذلك قد نصح جميع عباده، فقال عز وجل:

يا ابن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك، فان الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني^٤.

قال الباقر عليه السلام: «إِنَّ الْحَسَدَ لَيَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ»^٥.

قال الصادق عليه السلام: «آفَةُ الدِّينِ الْحَسَدُ وَالْعُجْبُ وَالْفَخْرُ»^٦.

قال الصادق عليه السلام: «يَقُولُ إبليسُ لِجُنُودِهِ: أَلْقُوا بَيْنَهُمُ الْحَسَدَ وَالْبَغْيَ فَإِنَّهُمَا يَعْذِلَانِ عِنْدَ اللَّهِ الشُّرْكَ»^٧.

قال الامام المجتبي عليه السلام:

-
- ١- غرر الحكم: ٣٠٠، الحديث ٦٧٩٩؛ مستدرک الوسائل: ٢٢/١٢، الباب ٥٥، الحديث ١٣٤٠١.
 - ٢- غرر الحكم: ٣٠١، الحديث ٦٨٥٧؛ مستدرک الوسائل: ٢٣/١٢، الباب ٥٥، الحديث ١٣٤٠١.
 - ٣- غرر الحكم: ٣٠١، الحديث ٦٨٣٨؛ مستدرک الوسائل: ٢٢/١٢، الباب ٥٥، الحديث ١٣٤٠١.
 - ٤- الكافي: ٣٠٧/٢، باب الحسد، الحديث ٦؛ بحار الأنوار: ٢٤٩/٧٠، الباب ١٣١، الحديث ٦.
 - ٥- الكافي: ٣٠٦/٢، باب الحسد، الحديث ١؛ وسائل الشيعة: ٣٦٥/١٥، الباب ٥٥، الحديث ٢٠٧٥٥.
 - ٦- الكافي: ٣٠٧/٢، باب الحسد، حديث ٥؛ بحار الأنوار: ٢٤٨/٧٠، الباب ١٣١، الحديث ٥.
 - ٧- الكافي: ٣٢٧/٢، باب الحسد، الحديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٣٨/١٦، الباب ٧٤، الحديث ٢٠٩١٤.

هلاك الناس في ثلاث: الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه اخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هايبيل^١.

عندما يؤمن الانسان بأن الله مالك حكيم واله عادل ورب العالم وكريم رحيم، ويعتقد أن الله لا يريد من فضله وعنايته سوى مصلحة عباده ونفعهم، ويدرك أن كل نعمة يهبها الله للإنسان تكون زائلة، لن يبق حينها مكان للحسد في قلبه.

فالحسد ينشأ عن ضعف الايمان وضعف الشخصية والحقد والكراهية والرذالة والحقارة، وهو كما قال الامام الصادق عليه السلام: أصله من عمى القلب وجحود فضل الله، وما أن يتسلط على قلب الانسان حتى يدفعه الى ارتكاب أي ذنب أو جريمة مهما كانت عاقبتها وأحيانا لا يمكنه تلافي عواقبها الى الأبد.

١- كشف الغمة: ٥٧١/١؛ بحار الأنوار: ١١١/٧٥، الباب ١٩، الحديث ٦.

الباب

(٥٢)

في ذم الطمع

قال الصادق عليه السلام:

بَلَّغَنِي أَنَّهُ سُئِلَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: مَا الْأَصْلَحُ فِي الدِّينِ وَمَا الْأَقْسَدُ؟ فَقَالَ:
الْأَصْلَحُ الْوَرَعُ، وَالْأَقْسَدُ الطَّمَعُ. فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: صَدَقْتَ يَا كَعْبُ الْأَخْبَارِ.
وَالطَّمَعُ خَمْرُ الشَّيْطَانِ يَسْتَقِي بِيَدِهِ لِخَوَاصِّهِ، فَمَنْ سَكَرَ مِنْهُ لَا يَصْحُو إِلَّا
فِي أَلِيمِ عَذَابِ اللَّهِ وَمُجَاوِرَةِ سَاقِيهِ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الطَّمَعِ سَخَطٌ إِلَّا مُشَارَةٌ الدِّينِ بِالذُّنْيَا لَكَانَ عَظِيمًا.
قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ
بِالْمَغْفِرَةِ﴾.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: تَفَضَّلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ فَانْتَ أَمِيرُهُ، وَاسْتَغْنِ
عَمَّنْ شِئْتَ فَانْتَ نَظِيرُهُ، وَافْتَقِرْ إِلَى مَنْ شِئْتَ فَانْتَ أَسِيرُهُ.

وَالطَّامِعُ فِي الْخَلْقِ مَنْزُوعٌ عَنْهُ الْأَيْمَانُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، لِإِنَّ الْأَيْمَانَ يَحْجُزُ
بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الطَّمَعِ فِي الْخَلْقِ فَيَقُولُ: يَا صَاحِبِي خَزَائِنُ اللَّهِ مَمْلُوءَةٌ مِنْ
الْكَرَامَاتِ وَهُوَ لَا يُضْبِعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّهُ
مَشُوبٌ بِالْعِلَلِ، وَيَرُدُّهُ إِلَى التَّوَكُّلِ وَالْقَنَاعَةِ وَقَصْرِ الْأَمَلِ وَكُزُومِ الطَّاعَةِ
وَالْيَأْسِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَزِمَهُ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ تَرَكَهُ مَعَ سُؤْمِ
الطَّمَعِ وَفَارَقَهُ.

«بَلَّغَنِي أَنَّهُ سُئِلَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: مَا الْأَصْلَحُ فِي الدِّينِ وَمَا الْأَفْسَدُ؟ فَقَالَ: الْأَصْلَحُ الْوَرَعُ، وَالْأَفْسَدُ الطَّمَعُ. فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: صَدَقْتَ يَا كَعْبُ الْأَخْبَارِ».

صلاح الدين وفساده:

يشير الامام الصادق عليه السلام في هذا الفصل الى احدى الرذائل الأخلاقية والصفات الشيطانية التي تفسد دنيا الانسان وآخرته، وهذه الصفة هي الطمع والحرص التي تقابل في الصفات الملكوتية صفة القناعة.

وفي بداية هذه الرواية ينقل الامام كلاما عن كعب الأخبار عالم اليهود، ورغم عدم ثقة الأخبار المنقولة عن كعب الاخبار وعدم اعتبارها عند علماء الاسلام، لكن يكثر في رواياتنا نقل أقوال مثل هؤلاء الأشخاص اذا ما تضمنت أخبارا صحيحة.

حتى ان أكثر روايات كتب «احقاق الحق» و«الغدير» و«عبقات الأنوار» منقولة عن المخالفين، ويستند معظم علماء الدين على هذه الروايات في اثبات الحق بل وتعد من أهم الروايات الاسلامية في باب الولاية، لذا نقل عبارة عن كعب الأخبار لا يقلل من شأن هذه الرواية واعتبارها.

اذ قال الصادق عليه السلام:

«بَلَّغَنِي أَنَّهُ سُئِلَ كَعْبُ الْأَخْبَارِ: مَا الْأَصْلَحُ فِي الدِّينِ وَمَا الْأَفْسَدُ؟ فَقَالَ: الْأَصْلَحُ الْوَرَعُ، وَالْأَفْسَدُ الطَّمَعُ. فَقَالَ لَهُ السَّائِلُ: صَدَقْتَ يَا كَعْبُ الْأَخْبَارِ».

فأولئك الذين لا يطمعون بأعراض الناس و يقتنعون بزواجاتهم الشرعية والقانونية، سيتمكنون من السيطرة على أهواء النفس ويصونونها من خطر الوقوع في أسر الشهوات والذنوب، وتتجلى فيهم صفة الورع والتقوى التي تجلب لهم خير الدنيا والآخرة.

أما أولئك الذين يطمعون بأعراض الناس وأموالهم والتجاوز على حقوق المجتمع، ولا يتمكنون بسبب هذا الطمع من السيطرة على ميولهم وغرائزهم وشهواتهم النفسية، سيكونون عرضة لارتكاب مختلف الذنوب الغريزية والمالية والأسرية والاجتماعية، فيقضون بذلك على أسباب سعادتهم في الدنيا والآخرة.

القرآن والطمع:

الطمع حالة تعترى الانسان وتدفعه نحو الوقوع في المحرمات، وتحرمه من رحمة الله الواسعة، وتلوث ملكوت وجوده بالظلمة والعمى، وتحول الانسان الى مصدر للشر والخطر وتجلب له الشقاء في الدنيا والآخرة.

وفي الآية الثانية والثلاثين من سورة الأحزاب، يعتبر القرآن الطمع ثمرة لمرض القلب. فالقلب المحروم من نور المعرفة والايان بالله والأنبياء والأولياء، سوف تعتربه حتما مختلف الحالات الشيطانية ومنها حالة الطمع.

١- «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِذْ أَنْقَبْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا».

وفي سورة المدثر يقول القرآن المجيد:

ان مثل هؤلاء الأفراد ومهما حصلوا على النعم الالهية فانهم لن يشبعوا ولن يكتفوا، بل يطمعون في زيادتها وتكثيرها، ويدفعهم هذا الطمع الى تجاوز الحدود والقوانين الالهية ثم يعتدون على حقوق الناس! فالطمع لا يعرف حداً له ولا يحترم قانوناً خاصاً، بل يسير وفق شهواته وأهوائه ويعمل ما يشاء حسب ما تقتضيه هذه الشهوة.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَدْتُ لَهُ تَمَهيداً * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾!

أقسام الطمع في القرآن:

يقسم القرآن الكريم الطمع الى عدة أنواع بعضها طمع ايجابي والأخرى طمع سلبي.

فالطمع بالنساء من غير المحارم، والطمع في أموال الناس، والطمع في الحقوق الاجتماعية للمجتمع، والطمع في ما هو أكثر من الحق فيما يتعلق بسعي الانسان وجهده، تعد جميعها من أنواع الطمع السلبي التي تجلب للانسان الذل والخسران في الدنيا والآخرة.

والطمع برحمة الله ولطفه، والطمع بدخول الجنة، والطمع بمغفرة الحق وعفوه بدون العمل وبدون أداء الواجبات وبدون ترك المحرمات وبدون التوبة

والاستغفار الحقيقي، فهو من الطمع الشيطاني وحالة خاطئة، ويعتبر القرآن الكريم هذا النوع من الطمع كحالة باطنية ممنوعة ومذمومة لأسباب مختلفة.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ الْبَيْمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾^١.

أما الطمع بعناية الله ورحمته، والطمع بالجنة ومغفرة الحق تعالى مصحوبا بالعمل وتنفيذ الأوامر الالهية وتطبيق القوانين وترك المحرمات، والطمع باستجابة الدعاء بشروطه الصحيحة، فهو من نوع الطمع الايجابي وأحد أفضل الحالات الالهية والملكوية، كذلك الطمع بالعتق عن الذنوب بشرط التوبة الحقيقية هو طمع ايجابي ويمثل في الحقيقة الأمل بمغفرة الله الذي يجب أن يحمله النائب.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾^٢.

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣.

والقرآن المجيد ينقل عن النبي ابراهيم:

﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^٤.

١- المعارج ٧٠: ٣٦ - ٣٨.

٢- مائده ٥: ٨٤.

٣- الشعراء ٢٦: ٥٠ - ٥١.

٤- الشعراء ٢٦: ٨٢.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا
 وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * تَجَافَى جُنُوبُهُمْ
 عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
 يُنفِقُونَ﴾^١.

نعم، بعد العمل وبعد التقوى وترك المحرمات وبعد التوبة الحقيقية عن الذنوب يكون الطمع برحمة الله وعنايته ومغفرته هو سلوك الهي وعمل عقلائي، وما أحسن أن يتمكن الانسان من توجيه حالة الطمع الفطرية والطبيعية في نفسه نحو هذه الجهات الايجابية بحيث لا يطمع أبدا في شئ سوى بحضرة الحق تعالى.

فهذا الشخص الذي يستجدي رحمة الله، ويطلب حاجته من لطفه وفضله، ولا يعتمد سوى على عشقه للحق تعالى والطمع برحمته وكرمه، سيكون موجودا مؤثرا يحمل الكثير من القيم الالهية والمعنوية؟.

روايات الطمع:

قال أبو الحسن الثالث عليه السلام: «الطَّمَعُ سَجِيَّةٌ سَيِّئَةٌ»^٢.

قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «الطَّمَعُ يَذْهَبُ الْحِكْمَةَ مِنْ قُلُوبِ

الْعُلَمَاءِ»^٣.

١- السجدة ٣٢: ١٥ - ١٦.

٢- بحار الأنوار: ٣٦٨/٧٥، الباب ٢٨، الحديث ٣.

٣- كنز العمال: ٧٥٧٦.

قال عليٌّ عليه السلام: «قليلُ الطَّمَعِ يُفْسِدُ كَثِيرَ الْوَرَعِ».^١
وقال عليه السلام: «ما هَدَمَ الدِّينَ مِثْلُ الْبِدْعِ وَلَا أَفْسَدَ الرَّجُلَ مِثْلُ
الطَّمَعِ».^٢

قال الصادقُ عليه السلام: «إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَقَرَّ عَيْنُكَ وَتَنَالَ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ فَاقْطَعْ الطَّمَعَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ».^٣
قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَاسْتِشْعَارَ الطَّمَعِ فَإِنَّهُ بِشُوبِ
الْقَلْبِ شِدَّةُ الْحِرْصِ وَيَخْتَمُ عَلَى الْقُلُوبِ بِطَاعِ حُبِّ الدُّنْيَا،
وَهُوَ مِفْتَاحُ كُلِّ سَيِّئَةٍ وَرَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَسَبَبُ إِخْبَاطِ كُلِّ
حَسَنَةٍ».^٤

قال عليٌّ عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَعِيشَ حُرّاً أَيَّامَ حَيَاتِهِ فَلَا يُسْكِنِ
الطَّمَعَ قَلْبَهُ».^٥

وقال عليه السلام: «ثَمَرَةُ الطَّمَعِ ذُلُّ الدُّنْيَا وَشِقَاءُ الْآخِرَةِ».^٦
وقال عليه السلام: «مَنْ لَمْ يُنْزِعْ نَفْسَهُ عَنِ دَنَائَةِ الْمَطَامِعِ فَقَدْ أَذَلَّ نَفْسَهُ

١- غرر الحكم: ٢٩٧، الحديث ٦٧٠٧؛ مستدرک الوسائل: ٧١/١٢، الباب ٦٧، الحديث ١٣٥٤١.

٢- كنز الفوائد: ٣٥٠/١؛ بحار الأنوار: ٩١/٧٥، الباب ١٦، الحديث ٩٨.

٣- بحار الأنوار: ١٦٨/٧٠، الباب ١٢٩، الحديث ٣.

٤- أعلام الدين: ٣٣٩، الرابع والعشرون؛ بحار الأنوار: ٢٧/١٠٠، الباب ٢، الحديث ٤٠.

٥- مجموعة ورام: ٤٩/١، باب الطمع.

٦- غرر الحكم: ٢٩٨، الحديث ٦٧٢٤.

وَهُوَ فِي الْأَخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى»^١.

قال الباقر عليه السلام: «بئسَ العبدُ عبدٌ له طَمَعٌ يَقُودُهُ»^٢.

وجاء في حديث قدسي:

«ما أَقَلَّ حَيَاءَ مَنْ يَطْمَعُ فِي جَنَّتِي بِغَيْرِ عَمَلٍ»^٣.

وجاء في حديث قدسي آخر:

«كَيْفَ أَجُودُ بِرَحْمَتِي عَلَى مَنْ يَبْخُلُ بِطَاعَتِي؟»^٤.

١- غرر الحكم: ٢٩٨، حديث ٦٧٢٩؛ مستدرك الوسائل: ٧٢/١٢، الباب ٦٧، الحديث ١٣٥٤١.

٢- الكافي: ٣٢٠/٢، باب الطمع، الحديث ٢؛ وسائل الشيعة: ٢٤/١٦، الباب ٦٧، الحديث ٢٠٨٦٥.

٣- تفسير الثعلبي: ١٧٠/٣.

٤- تفسير الثعلبي: ١٧٠/٣.

«وَالطَّمَعُ خَمْرُ الشَّيْطَانِ يَسْتَقِي بِيَدِهِ لِخَوَاصِّهِ فَمَنْ سَكَرَ مِنْهُ لَا يَضْحُوا إِلَّا فِي أَلِيمِ عَذَابِ اللَّهِ وَمُجَاوِرَةِ سَاقِيهِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الطَّمَعِ سَخَطٌ إِلَّا مُشَارَةٌ لِلدِّينِ بِالدُّنْيَا لَكَانَ عَظِيمًا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾».

خمر الشيطان:

يقول الامام الصادق عليه السلام:

الطمع خمر الشيطان يسقيه بيده الى أعوانه والمقربين له، وكل من يشرب منه يسكر فيه ولا يصحوا منه الا وهو في جهنم وبئس المصير، يلقي فيها عذاب الله الأليم مجاورا لساقية الشيطان الرجيم ليخسر الدنيا والآخرة خسارة لا يمكن تلافيتها.

ومن أبرز عيوب الطمع أنه يدفع الانسان الى شراء الدنيا وبيع الآخرة والابتعاد عن الدين، ولو لم يكن في الطمع سوى هذا العيب لكان عظيما وعواقبه جمة. وقد قال الله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾.

«وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: تَفَضَّلْ عَلَيَّ مِنْ شَيْتَ فَانْتَ أَمِيرُهُ، وَأَسْتَغْنِ عَمَّنْ شَيْتَ فَانْتَ نَظِيرُهُ، وَافْتَقِرْ إِلَيَّ مِنْ شَيْتَ فَانْتَ أَسِيرُهُ».

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

تفضل علي من شئت واحسن اليه فانك وعلى ضوء قاعدة الانسان عبد الاحسان ستصبح أميره، واستغن عن شئت من غير الحق فتصبح نظيره، وافتقر الي من شئت فانك ستصبح أسيره وذليلا له.

أسباب الطمع:

في نهاية الرواية يقول الامام الصادق عليه السلام:

«وَالطَّمَعُ فِي الْخَلْقِ مَنزُوعٌ عَنْهُ الْإِيمَانُ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ يَحْجُزُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الطَّمَعِ فِي الْخَلْقِ فَيَقُولُ: يَا صَاحِبِي خَزَائِنُ اللَّهِ مَمْلُوءَةٌ مِنَ الْكِرَامَاتِ وَهُوَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّهُ مَشُوبٌ بِالْعِلَلِ، وَيَرُدُّهُ إِلَى التَّوَكُّلِ وَالْقَنَاعَةِ وَقَصْرِ الْأَمَلِ وَكُزُومِ الطَّاعَةِ وَالْيَأْسِ مِنَ الْخَلْقِ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَزِمَهُ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ تَرَكَهُ مَعَ سُزُومِ الطَّمَعِ وَفَارَقَهُ».

قال الحكماء: الطمع حالة مذمومة ما ان تستوطن في مكان حتى تجلب معها

سلسلة من الآفات والشرك والنفاق، وان استقوت تدفع بالانسان الى الكفر.

ويقول الملا عبد الرزاق اللاهيجي مترجم كتاب «مصباح الشريعة»:

اعلم:

أولاً: ان الطمع انما يتسلل الى باطن الناس بسبب الحرص، ويمكن ملاحظة علاماته في جميع التصرفات الكلية والجزئية عند العام والخاص من الناس؛ بل يمكن الشعور والاحساس به.

ولما كان هذا المعنى الأول يعبر عن النفس الحيوانية، لذا يمكن ملاحظة آثاره في جميع الحيوانات.

ثانياً: يظهر الطمع أيضاً بسبب الرياء وهو نوع خاص منه؛ لأنه يصدر من النفس الانسانية، وبالتالي ليس لسائر الحيوانات دخل في هذا المعنى. ويمكن ملاحظة آثاره عندما ينفق الانسان مالا أو يؤدي طاعة أو يقدم على عمل خير دون أن يقصد منه كسب ثواب الآخرة أو طلب رضا الحق تعالى؛ بل نفسه تدفعه للطمع بقبول الخلق وزيادة الشهرة وذكر الخير واشاعة الصفات الحميدة وأمثالها، ويظهر هذا المعنى عند أكثر الناس من خاصهم وعامهم ووضعهم وشريفهم، ويمكن أن يكون مصدراً للنفاق وطلب المقام والرئاسة والجاه والتكبر والامارة والحكومة التي تمثل كل واحدة منها خطر محقق بأهل المعرفة وتنتج جميعها عن الطمع.

وإذا ما أمعنتم النظر جيداً لأدركتم ان الرياء أيضاً تظهر بسبب الطمع، ونظراً لتلازم هاتين الصفتين وارتباطهما مع بعض، قال الله تعالى في شأن صفات أمير المؤمنين وخلصه ونقاؤه وخلوه من صفات الرياء والطمع:

﴿إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لِرِجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^١.

كما يظهر الطمع من العجب الذي يرتبط ويتعلق بالنفس الانسانية؛ لأنه لا ينتج من الحاجة بل يظهر نتيجة الافراط في الكبر والتكبر، كما حصل مع فرعون الذي تغلب عليه العجب نتيجة استيلاء الكبر على نفسه وسيطرته عليها، لذا كان يرى نفسه أحق بالطاعة وأن طاعته واجبة على الجميع، وقد ظهرت هذه الصفات المذمومة بسبب جهل النفس وغرور الدنيا وتكبر المُلْك، لذا حذر الله تعالى كليمة منها، فقال:

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذَتِ الْهَاءَ غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾^١.
وجميع هذه الأنواع الثلاثة التي ذكرها يعبر عنها بالطمع وهي من المهلكات.

الطمع والقناعة:

اعلم أن الطمع أحد الأخلاق المذمومة، وتؤدي الى ذلة الحال والحسرة والندم في الآخرة.

وكل من يطمع بشخص ما سيعمل على مدهانتة والنفاق معه ويرائي في عبادته ويصبر على استخفافه وباطله، وقد خلق الانسان حريصاً بحيث لا يفتنح أبداً بما عنده ولا يتخلص من الحرص والطمع.

قال رسول الله ﷺ:

«لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثاً، ولا

يملاً جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب»^٢.

وقال ﷺ: «طوبى لمن هدى للإسلام و كان عيشه كفافاً و قنع به»^٣.

١- الشعراء ٢٦: ٢٩.

٢- روضة الواعظين: ٤٢٩/٢؛ المحجة البيضاء: ٥٠/٦، كتاب ذم المال.

٣- مجموعة ورام: ١٦٣/١، بيان ذم الحرص والطمع؛ المحجة البيضاء: ٥١/٦، كتاب ذم المال.

و قال عوف بن مالك:

كنا عند رسول الله ﷺ: تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال:

ألا تبايعون رسول الله؟ قلنا: أو ليس قد بايعناك يا رسول الله؟

ثم قال: ألا تبايعون رسول الله؟ فبسطنا أيدينا فبايعناه، و قال قائل منا: قد

بايعناك فعلى ما ذا نبايعك؟

قال: أن تعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا، والصلوات الخمس، و تسمعوا و

تطيعوا،- و أسرّ كلمة خفيّة- و لا تسألوا الناس شيئا.

قال: و لقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يسأل أحدا أن يناوله إياه.^١

و روي أنّ موسى ﷺ سأل ربّه تعالى فقال: «أيّ عبادك أغنى؟ قال: أقنعهم

لما أعطيته، قال: فأيتهم أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه».^٢

و كان محمد بن واسع رحمة الله عليه يضع الخبز اليابس في الماء ثم يأكله،

و يقول ما احتاج أحد اقتنع بهذه.

و قال بعض الحكماء:

وجدت أطول الناس غمّا الحسود، و أهنأهم عيشا القنوع، و أصبرهم على الأذى

الحريص إذا طمع، و أخفضهم عيشا أرفضهم للدنيا، و أعظمهم ندامة العالم المفرط.^٣

قصة معبرة عن أحد الطماعين:

قال الشعبي رحمة الله عليه:

اصطاد صيادا طائرا صغيرا، فقال الطائر: ماذا تريد أن تفعل بي؟ قال: اذبحك ثم

١- مجموعة ورام: ١٦٤/١، بيان الحرص والطمع؛ المحجة البيضاء: ٥٢/٦، كتاب ذم المال.

٢- مجموعة ورام: ١٦٣/١، بيان ذم الحرص والطمع؛ المحجة البيضاء: ٥١/٦، كتاب ذم المال.

٣- محجة البيضاء: ٥٢/٦، كتاب ذم المال.

أأكلك، فقال الطائر: ماذا ينفعك أكلي، ان اطلقتني سأخبرك بثلاثة جمل تنفعك أكثر من أكلي، فقال الصياد: قل، قال الطائر: الجملة الأولى أقولها وأنا في يدك، والثانية أقولها اذا أطلقتني وصرت على الشجرة، والثالثة أقولها اذا صرت على الجبل. قال الصياد: قل الأولى، فقال الطائر: لا تأسف على ما تفقده، فتركه الصياد وطار ليقف على الشجرة، فقال الصياد: قل الثانية، فقال: لا تصدق أبدا بالمحال، ثم طار ليستقر على الجبل، وقال: أيها المسكين! لو قتلتني لوجدت في بطني الماستين زنة كل واحدة عشرين مثقالا، ولأصبحت غنيا جداً.

فعض الرجل اصبعه حسرة وأسفاً، وقال: أصحيح ما تقول؟ قال الطائر: ماذا دهاك لقد نسيت الجملتين السابقتين؟ لقد قلت لك لا تأسف على ما فاتك ولا تصدق المحال، فاعلم أن زنة كل بدني من الريش والجناحين واللحم لا يصل الى عشرة مثاقيل فكيف أحمل الماستين تزانان أربعين مثقالا، وحتى لو كان صحيحا فما الفائدة من حسرتك وقد فقدتهما. قال الطائر هذا الكلام ثم حلق بعيدا وقيل هذا المثل ليعلم الناس أن الطمع اذا ما سيطر على نفس الانسان سيصدق بكل ما هو محال.

وقال ابن السماك رحمته الله عليه:

الطمع، لجام في العنق وقيد في القدم، فازل للجام عن عنقك حتى يرفع القيد عن قدمك.

وعلى كل حال، يكمن علاج مرض الطمع باللجوء الى حضرة الحق تعالى، وتذكر القيامة الكبرى، وغض البصر عن غير المحارم، وعدم الطمع باموال الناس وحقوقهم، والقناعة بما رزقك الله وبما تنتج يدك.

فاذا ما جعلت أملك بعناية الله وكرامته، واقتنعت برزقه، ستحرر من ذلة الطمع، وتنال خير الدنيا والآخرة وعزة الحاضر والمستقبل.

الباب

(٥٣)

في مدح الجود والسخاء

قال الصادق عليه السلام:

السَّخَاءُ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ عِمَادُ الْإِيمَانِ وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنٌ إِلَّا سَخِيًّا
وَلَا يَكُونُ سَخِيًّا إِلَّا ذَا يَقِينٍ وَهَمَّةٍ عَالِيَةٍ لِأَنَّ السَّخَاءَ شِعَاعُ نُورِ الْيَقِينِ،
وَمَنْ عَرَفَ مَا قُصِدَ هَانَ عَلَيْهِ مَا بَدَلَ.

وقال النبي ﷺ: ما جُبِلَ وَلِيُّ اللَّهِ إِلَّا عَلَى السَّخَاءِ وَالسَّخَاءُ مَا يَقَعُ
عَلَى كُلِّ مَحَبُوبٍ أَقْلُهُ الدُّنْيَا.

وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّخَاءِ أَنْ لَا تُبَالِي مَنْ أَكَلَ الدُّنْيَا وَمَنْ مَلَكَهَا، مُؤْمِنٌ أَوْ
كَافِرٌ، عَاصٍ أَوْ مُطِيعٌ، شَرِيفٌ أَوْ وَضِيعٌ.

يُطْعِمُ غَيْرَهُ وَيَجُوعُ، وَيَكْسُو غَيْرَهُ وَيَمْتَنِعُ مِنْ قَبُولِ عَطَاءِ غَيْرِهِ، وَيُؤْمِنُ
بِذَلِكَ وَلَا يُؤْمِنُ، وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا لَمْ يَرِ نَفْسَهُ فِيهَا إِلَّا أَجْنَبِيًّا، وَلَوْ
بَذَلَهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَا مَلَّ.

قال رسول الله ﷺ: السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ
مِنَ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ
الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ.

وَلَا يُسَمَّى سَخِيًّا إِلَّا الْبَاذِلُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لَوَجْهِهِ وَلَوْ كَانَ بَرَّغِيفٍ أَوْ
شَرْبَةِ مَاءٍ. قال النبي ﷺ: السَّخِيُّ بِمَا يَمْلِكُ وَأَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، وَأَمَّا
الْمُتَسَخِّي فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَحَمَالٌ لِسَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَهُوَ أَبْخَلُ النَّاسِ
لِنَفْسِهِ فَكَيْفَ لغيرِهِ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ.

قال الله عز وجل: ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾!

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ: ابْنَ آدَمَ مُلْكِي مُلْكِي وَمَالِي مَالِي، يَا
 مَسْكِينُ أَيْنَ كُنْتَ حَيْثُ كَانَ الْمُلْكُ وَلَمْ تَكُنْ؟ وَهَلْ لَكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ
 فَأَقْنَيْتَ وَلَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ إِمَّا مَرْحُومٌ بِهِ أَوْ مُعَاقَبٌ عَلَيْهِ،
 فَاعْقِلْ أَنْ لَا يَكُونَ مَالٌ غَيْرِكَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ مَالِكَ.

فَقَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا قَدَّمْتَ فَهُوَ لِلْمَالِكِينَ، وَمَا أَخَّرْتَ فَهُوَ
 لِلْوَارِثِينَ، وَمَا مَعَكَ فَمَالِكَ عَلَيْهِ سَبِيلٌ سِوَى الْغُرُورِ بِهِ. كَمْ تَسْعَى فِي
 طَلَبِ الدُّنْيَا وَكَمْ تَرَعَى؟ أَفَتُرِيدُ أَنْ تُفْقِرَ نَفْسَكَ وَتُغْنِيَ غَيْرَكَ؟!!

«السَّخَاءُ مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ وَهُوَ عِمَادُ الْإِيمَانِ وَلَا يَكُونُ مُؤْمِنًا إِلَّا سَخِيًّا وَلَا يَكُونُ سَخِيًّا إِلَّا إِذَا يَقِينٌ وَهِمَّةٌ عَالِيَةٌ لِأَنَّ السَّخَاءَ شُعَاعُ نُورِ الْيَقِينِ، وَمَنْ عَرَفَ مَا قُصِدَ هَانَ عَلَيْهِ مَا بَدَلَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَا جُبِلَ وَلِيُّ اللَّهِ إِلَّا عَلَى السَّخَاءِ وَالسَّخَاءُ مَا يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ أَقَلُّهُ الدُّنْيَا».

حقيقة السخاء:

يشير الامام الصادق عليه السلام في هذا الفصل الى واحدة من أهم الفضائل الأخلاقية والصفات الملكوتية والى حقيقة مصدرها ومنشأها رب الأرباب.

فيقول الامام:

السخاء من أخلاق الأنبياء وهو عماد الايمان، ولما كان السخاء من مقتضيات الايمان لذا لا يكون الانسان مؤمنا الا اذا كان سخياً ولا يكون سخياً الا اذا كان ذا يقين وهمة عالية، لأن السخاء والكرم شعاع نور اليقين، وكل من عرف المقصود من السخاء هان عليه ما بذل وسهل طريقه نحو مقام القرب الالهي ولقاء حضرة الحق تعالى.

وقد جاء في الحديث الشريف عن النبي ﷺ:

«مَا جُبِلَ وَلِيُّ اللَّهِ إِلَّا عَلَى السَّخَاءِ وَالسَّخَاءُ مَا يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ أَقَلُّهُ الدُّنْيَا».

فالسخاء صفة فطرية وطبيعية عند أولياء الله تعالى، وكلما ازداد ارتباط الانسان

بالمبدأ كلما قل تعلقه بالأمر المادية؛ لأن السخي يعتقد أن كل ما يملكه من الله تعالى، وهو يؤمن أن كل ما يبذله في سبيل رضا المحبوب لا قيمة له مهما غلى ثمنه. فالسقاء يرتبط بالأشياء التي يحبها الانسان ولا يستغني عنها لا بالأشياء المهملة التي لا يتعلق بها ولا يحتاجها، وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم:

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^١.

وهنا تبرز أهمية قول الامام الصادق عليه السلام:

«وَالسَّخَاءُ مَا يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ أَقَلُّهُ الدُّنْيَا. اذ أشار الامام الى هذا الأمر لأن أغلب الناس غارقون في حب الدنيا من المال والبنون، فما أن يبذلوا شيئاً في سبيل الله حتى يتصوروه عظيماً، رغم أنه في حقيقته لا يساوي شيئاً؛ لأن الأمور المادية هي أمور تافهة اذا ما قورنت بالأمور المعنوية، مما يعني ان العمل في الأمور المادية لا يعد أمراً مهماً بالنسبة للأمور المعنوية، مما يجعل من بذل المال أقل أنواع السقاء والكرم، في حين يعد بذل النفس في سبيل الله أعظم أنواع السقاء».

سقاء الأنبياء:

ان حاجة الانسان في جميع شؤون حياته الى رسالة الانبياء ونبوتهم هي حاجة فطرية وضرورية.

ولو لم يبعث الله الأنبياء الى البشرية لما نال أحد من الناس السعادة في الدنيا والآخرة، ولو لم يظهر الرسل في الحياة الانسانية لما تجلت الآثار والقيم الالهية في هذه الحياة.

ومن باب عنايته ولطفه وكرمه ورحمته ووجهه للانسان تفضل الله تعالى على هذا الموجود الأرضي ليحوّله الى موجود ملكوتي وسماوي ليكون مصدرا للخير والبركة، فقد أرسل له أفضل وأعقل وأطهر وأنقى الناس باسم الأنبياء والرسل ليعيّنهم بالرسالة الالهية.

ولم يكن لهؤلاء الأنبياء العظام أي طمع بالحياة الدنيا، بل كان هدفهم الوحيد انقاذ الانسان من المهالك والأخطار المحدقة به، وبأقصى درجات السخاء بذلوا جل وقتهم ونشاطهم في سبيل تحقيق هذا الهدف، لا يرمون من ذلك سوى كسب رضا الله تعالى وهداية الانسان الى مراتب الكمال والقرب الالهي.

ولاجل تحقيق هذا الهدف بذلوا كل ما يمتلكون من قيم مادية ناتجة عن سعيهم في الزراعة أو الصناعة أو التجارة. كما بذلوا نتاجهم العلمي وعلومهم الالهية بشتى الصور الممكنة، ولم يكلوا أو يهنوا في سبيل تحقيق هذا الهدف الالهي رغم العناء الطويل والمشاق والصعوبات الكثيرة التي تعرضوا لها في هذه المسيرة الطويلة، حتى بلغت تضحياتهم أقصى درجات السخاء فبذلوا في هذا الطريق أرواحهم الغالية التي تعد أثمن وأعز مظاهر خلق الله تعالى لينالوا شرف الارتواء من كأس الشهادة.

ولما كان هؤلاء الأنبياء العظام يمثلون مصدر الكمال والتزین بالحقائق الملكية والملكوّية، ويتصل علمهم بالعلم الالهي اللامتناهي، ويخلص عملهم وأخلاقهم من كل سيئة أو شائبة، ويتحلون بمقام العصمة في فكرهم وروحهم ونفسهم وعملهم، لذا يستحقون فرض الطاعة على جميع الناس الى يوم القيامة، وتعد معصيتهم وعدم الالتزام بأوامرهم نوعا من أنواع الكفر.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ﴾^١.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٢.

نعم، اذا ما أراد الانسان أن يكون محبوباً لله وهو أسمى مقام في الوجود،
ينبغي عليه التمسك بالأنبياء واطاعة أوامرهم واتباعهم.

وقد قام أنبياء الله بطرح الكثير من المسائل والمعارف الالهية التي اكتسبها
من حضرة الحق تعالى، الغرض منها اصلاح قلب الانسان ونفسه وعمله، بحيث
اذا ما تزين الانسان بهذه المعارف الالهية علماً وعملاً سينال بها خير الدنيا
والآخرة وسيحضى بمحبة الله تعالى في الدارين.

﴿وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيِّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفَرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ * وَمَنْ
يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾^٣.

نعم، الاسلام يمثل طريق الأنبياء الذي يهدف الى اصلاح عقائد وأعمال
الانسان واعداد دنياه وآخريته، حتى ينال به سعادة الدنيا والآخرة ويكسب رضا

١- آل عمران ٣: ٣٢.

٢- آل عمران ٣: ٦٨.

٣- آل عمران ٣: ٨٤ - ٨٥.

الحق تعالى والجنة الأبدية.

ان التابع الحقيقي للنبي ﷺ والقرآن، هو في الواقع تابع لجميع الأنبياء والأولياء، لذا ينبغي عليه اللجوء الى هؤلاء المصلحين العظام والتمسك بواصيهم وأوامرهم.

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^١

وما أكثر المنافع والمكاسب التي سيجنيتها الانسان نتيجة لاتباعه الله والنبي ﷺ، فبالإضافة الى أجره وثوابه الأبدي، سيحضى أيضاً بصداقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين التي لا تقل لذة لقائهم وصداقتهم يوم القيامة عن لذة الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^٢

وعلى كل حال، توجد الكثير من الآيات التي تتحدث عن عظمة الأنبياء وحاجة الانسان الى النبوة والفائدة التي ينالها نتيجة اتباعه لهؤلاء المصلحين العظام الذين يعدون أشد الانسان سخاءً في أمر نجاة الانسان واتقاؤه من الضلالة، لذا يمكنكم في هذا الموضوع مراجعة سور القرآن الكريم.

١- النساء: ٤: ٦٩.

٢- النساء: ٤: ١٣٦.

«وَمِنْ عِلَامَاتِ السَّخَاءِ أَنْ لَا تُبَالِي مَنْ أَكَلَ الدُّنْيَا وَمَنْ مَلَكَهَا، مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ، عَاصٍ أَوْ مُطِيعٌ، شَرِيفٌ أَوْ وَضِيعٌ».

علامات السخاء:

ومن علامات السخاء عدم المبالاة في من ظفر بالدنيا ومن ملكها سواء كان مؤمناً أو كافراً، عاصياً أو مطيعاً، شريفاً أو وضيعاً، كبيراً أو صغيراً. فافتضاء رحمانية الحق هو اللطف والعناية بجميع الموجودات الحية وتهيئة كافة مستلزماتها المادية.

ومسألة الأكل والشرب والسكن واللباس تعد من المسائل الضرورية لكل انسان، لذا تقتصر عناية الحق ولطفة على تهيئة ظروف حياته وبقائه في هذه الدنيا، وهذا الأمر لا يرتبط بتوفر شرط الايمان ليكون علة الجذب والقبول، ولا بالكفر ليكون علة المنع والرفض.

وعلى ضوء ذلك، يكون الألم والحسرة على ما يمتلكه الآخرون من بيت أو مال أو لباس، ناتج عن الجهل وبعيد عن كرامة الروح الانسانية؛ لأن الله تعالى هو الذي بيده أرزاق جميع الموجودات وهو الذي يقسمها على الخلائق.

فالسخي والكريم لا يبالي بما يمتلكه الناس من الأمور المادية ولا يهتم كيف يعيشون؛ لأنه يعتقد ان الجميع يجلسون على مائدة حضرة الحق ويأكلون مما

يتفضل به عليهم، لذا تجده يترفع عن النظر أو الحسرة على ما يمتلكه الآخرون؛ بل وتسمو نفسه وروحه عن مثل هذه المعاني حتى لو صارت الدنيا بكل ثرواتها بيد شخص واحد، لأنه لا ينظر سوى لحضرة الحق وعالم القدس والسير نحو عالم الملكوت والعظمة الالهية، وفي هذا الطريق لا يعرف ولا يهتم بأي مانع أو عائق يصرفه عن الاستمرار في هذه الحركة.

«يُطْعِمُ غَيْرَهُ وَيَجُوعُ، وَيَكْسُو غَيْرَهُ وَيَمْتَنِعُ مِنْ قَبُولِ عَطَاءِ غَيْرِهِ، وَيُؤْمِنُ
بِذَلِكَ وَلَا يَمُنُّ، وَلَوْ مَلَكَ الدُّنْيَا بِأَجْمَعِهَا لَمْ يَرِ نَفْسَهُ فِيهَا إِلَّا أَجْنَبِيًّا، وَلَوْ
بَذَلَهَا فِي ذَاتِ اللَّهِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مَأْمَلٌ».

فمن صفات السخي أنه يؤثر اطعام الآخرين على نفسه حتى لو كان جائعا،
ويكسو غيره رغم حاجته للباس، ويتعفف عن قبول عطاء واحسان الغير، لكنه
يستسهل العطاء والاحسان للآخرين، ويؤمن على احسان الآخرين له، لكنه لا
يؤمن على احسانه للآخرين، ولا يرى نفسه في هذه الدنيا الا غريبا حتى لو ملك
الدنيا وما فيها، ولا يمل ولا يكل ولا يرد الألم أو الحسرة الى قلبه حتى لو بذل
كل ما يملك في سبيل الله في ساعة واحدة.

وتمتلاً صفحات التاريخ الانساني بالكثير من قصص السخاء والكرم، سنتطرق
الى قسم منها في شرح الباب التاسع والستين عند الحديث عن معرفة الأئمة
الطاهرين عليهم السلام.

«قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ، قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنَ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ».

السخي والبخيل:

يبين رسول الله ﷺ في الحديث الشريف الفارق بين منزلة السخي والبخيل، ويقول أن السخي يكون قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة لكنه بعيد من النار، على عكس البخيل الذي يكون بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة لكنه قريب من النار.

«وَلَا يُسَمَّى سَخِيًّا إِلَّا الْبَاذِلُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ لِرُجُوعِهِ وَكَوْنِهِ كَانَ بَرَعِيفٌ أَوْ شَرِبَهُ مَاءً».

«قال النبي ﷺ: السَّخِيُّ بِمَا يَمْلِكُ وَأَرَادَ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، وَأَمَّا الْمُنْسَخِيُّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَحَمَالٌ لِسَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَهُوَ أَبْخَلُ النَّاسِ لِنَفْسِهِ فَكَيْفَ لِغَيْرِهِ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَخَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ».

السخاء بالمال الحلال:

قال رسول الله ﷺ:

لا يتحقق السخاء إلا بالمال الحلال وبقصد القربة الى الله تعالى، أما بذل المال الحرام في عمل الخير فلا يعد من السخاء في شيء، وهو حمال لسخط الله وغضبه وأبخل الناس على نفسه لأنه أبعداها عن طريق السعادة الأبدية، ومن كان أشد الناس بخلا على نفسه كيف يمكن به أن يكون سخياً مع الآخرين، فمثل هذا الانسان اتبع هواه وشهوات نفسه وخالف أمر الله تعالى.

وقد جاء في القرآن الكريم قوله:

﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^١

«وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ: ابْنِ آدَمَ مُلْكِي مُلْكِي وَمَالِي مَالِي، يَا مَسْكِينُ
أَيْنَ كُنْتَ حَيْثُ كَانَ الْمُلْكُ وَلَمْ تَكُنْ؟ وَهَلْ لَكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ
وَلَبِستَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَبْقَيْتَ إِمَّا مَرْحُومٌ بِهِ أَوْ مُعَاقَبٌ عَلَيْهِ، فَاعْقِلْ أَنْ
لَا يَكُونَ مَالٌ غَيْرِكَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ مَالِكَ».

المالك الحقيقي؛

قال رسول الله ﷺ:

يقول الله تعالى: يا بن آدم ان كل ما عندك من أموال وتظن أنها ملكك، إنما هي ملكي ومالي وأنا المالك الحقيقي لها، فيا مسكين أين كنت عندما لم يكن الملك ولم يكن لهذه الأشياء المادية وجود؟ وأين تنتقلوا بعد انقضاء فترة عمركم القصيرة، أو ليس وجودك مقتصر على حفظ الأمانة التي بيدك لتنتقل إلى الآخرين من بعدك، فماذا تملك غير ما أكلت فأفنيته، وما لبست فأبليت، وما تصدقت فأبقيته، والأماذا يمكنك ان تفعل بالمال والملك غير هذا؟!!

فان احسنت التصرف بالمال بما ينسجم مع تعاليم الله تعالى ستنال رحمته في الدنيا والآخرة، وان أسأت التصرف بها بما يخالف أوامر الله تعالى وتعاليمه ستنال العذاب الأليم، فاعقل لأن لا يكون مال غيرك أحب إليك من مالك، وهذا

يعني أن تتحلّى بالقناعة في ما أعطاك الله من المال الحلال لترفع به حاجتك وتنفق الباقي في سبيل الله، واقتنع بما عندك وتجنب الطمع بما عند غيرك.

«فَقَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَا قَدَّمْتَ فَهُوَ لِلْمَالِكِينَ، وَمَا أَخَّرْتَ فَهُوَ لِلْوَارِثِينَ، وَمَا مَعَكَ فَمَا لَكَ عَلَيْهِ سَبِيلٌ سِوَى الْغُرُورِ بِهِ. كَمْ تَسْعَى فِي طَلَبِ الدُّنْيَا وَكَمْ تَرْعَى؟ أَفَتُرِيدُ أَنْ تُفْقِرَ نَفْسَكَ وَتُغْنِيَ غَيْرَكَ؟!»

حفظ المال للوارث:

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

ان كل ما تبذله من مال في عمل الخير تبتغي به وجه الله سيحفظ لك بعد الموت لينفعك في آخرتك، أما ما تحفظه وما تجمععه من مال في هذه الدنيا فسيبقى لورثتك ولا يعود لك منه شيئاً.

وجميع أموالك وما تملك من بيوت وضياع لا تنفقها في سبيل الله لا تنفعك في شئ ولا سبيل لك بها سوى الغرور والتكبر والعجب والتفاخر بها، فكم تسعى في طلب الدنيا وكم تعاني من مصاعب وآلام في الجري وراء ملذاتها وشهواتها؟ وهل تريد من جمع هذه الثروة والمال ان تلاقي ربك خالي اليدين من العمل الصالح في حين يتمتع ورثتك بما جمعت من مال وثروة؟ أتريد أن تُفْقِرَ نَفْسَكَ وَتُغْنِيَ غَيْرَكَ؟!

وللوقوف أكثر على هذا الموضوع عليكم مراجعة شرح الأحاديث ٢٩ و ٣٠ و

٣١ و ٣٢ في باب القناعة والحرص والزهد زالدنيا في الجزء الثامن هذا الكتاب.

السَّخَاءُ فِي الرِّوَايَاتِ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: السَّخَاءُ خُلِقَ اللَّهُ الْأَعْظَمُ^١.

وَقَالَ ﷺ: إِنَّ السَّخَاءَ شَجَرَةٌ مِنْ أَشْجَارِ الْجَنَّةِ لَهَا أَغْصَانٌ مُتَدَلِّئَةٌ فِي الدُّنْيَا فَمَنْ كَانَ سَخِيًّا تَعَلَّقَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَسَاقَهُ ذَلِكَ الْغُصْنُ إِلَى الْجَنَّةِ^٢.

قَالَ الصَّادِقُ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَضِيَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَأَحْسِنُوا صُحْبَتَهُ بِالسَّخَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ^٣.

قَالَ عَلِيُّ ﷺ: السَّخَاءُ وَالشَّجَاعَةُ غَرَائِزُ شَرِيفَةٌ يَضَعُهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِيمَنْ أَحَبَّهُ وَامْتَحَنَهُ^٤.

وَقَالَ ﷺ: عَلَيْكُمْ بِالسَّخَاءِ وَحُسْنِ الْخُلُقِ فَإِنَّهُمَا يَزِيدَانِ الرَّزْقَ وَيُوجِبَانِ الْمَحَبَّةَ^٥.

عن أبي عبد الله ﷺ قال: أتى النبي ﷺ بأسارى فأمر بقتلهم خلا رجلا من بينهم، فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا محمد كيف أطلقت عني من بينهم؟ فقال:

١- كنز العمال: ١٥٩٢٦.

٢- الأمالي، الشيخ الطوسي: ٤٧٤، المجلس السابع عشر، الحديث ١٠٣٦؛ بحار الأنوار: ٣٥٢/٦٨، الباب ٨٧، الحديث ٩.

٣- الأمالي، الشيخ الصدوق: ٢٧٠، المجلس السادس والاربعون، الحديث ٣؛ بحار الأنوار: ٣٥٠/٦٨، الباب ٨٧، الحديث ٢.

٤- غرر الحكم: ٣٧٥، الحديث ٨٤٤٣.

٥- غرر الحكم: ٣٧٨، الحديث ٨٥٢٨.

أخبرني جبرئيل عن الله عز وجل أن فيك خمس خصال يحبها الله عز وجل ورسوله: الغيرة الشديدة على حرمك، والسخاء وحسن الخلق، وصدق اللسان، والشجاعة، فلما سمعها الرجل أسلم وحسن إسلامه، وقاتل مع رسول الله ﷺ قتالا شديدا حتى استشهد.^١

وقال عليه السلام:

«الْبَخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ»^٢.

وروي عن الامام الحجة عليه السلام أنه قال:

إنني لأستحيي من ربي ان أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدينار والدرهم، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة لك لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل.

وقال النبي ﷺ: الرجال أربعة: سخّي وكريم وبخيل ولثيم، فالسخي الذي يأكل ويعطي والكريم الذي لا يأكل ويعطي والبخيل الذي يأكل ولا يعطي واللثيم الذي لا يأكل ولا يعطي.^٣

١- الأمامي، الشيخ الصدوق: ٢٧١، الحديث ٧، المجلس السادس والاربعون؛ بحار الأنوار: ٣٨٤/٦٨،

الباب ٩٢؛ الخصال: ٢٨٢/١، الحديث ٢٨؛ وسائل الشيعة: ١٥٥/٢٠، الباب ٧٧، الحديث ٢٥٢٩١.

٢- نهج البلاغة: الحكمة ٣٧٨ بحار الأنوار: ٣٠٧/٧٠، الباب ١٣٦، الحديث ٣٦.

٣- جامع الأخبار: ١١٣، فصل ٦٩؛ بحار الأنوار: ٣٥٦/٦٨، الباب ٨٧، الحديث ١٨.

الباب

(٥٤)

في الأخذ والعطاء

قال الصادق عليه السلام:

مَنْ كَانَ الْأَخْذَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَطَاءِ فَهُوَ مَغْبُوثٌ لِأَنَّهُ يَرَى الْعَاجِلَ بِغَفْلَتِهِ
أَفْضَلَ مِنَ الْأَجْلِ.

وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ إِذَا أَخَذَ أَنْ يَأْخُذَ بِحَقٍّ وَإِذَا أُعْطِيَ فَفِي حَقٍّ وَبِحَقٍّ وَمِنْ
حَقٍّ.

فَكَمْ مِنْ آخِذٍ مُعْطٍ دِينَهُ وَهُوَ يَعْلَمُ، وَكَمْ مِنْ مُعْطٍ مُورِثٍ نَفْسَهُ سَخَطَ
اللَّهِ، وَكَيْسَ الشَّانُ فِي الْأَخْذِ وَالْأَعْطَاءِ وَلَكِنْ فِي النَّاجِي، وَالنَّاجِي مَنْ
اتَّقَى اللَّهَ فِي الْأَخْذِ وَالْأَعْطَاءِ وَاعْتَصَمَ بِحَبْلِ الْوَرَعِ.

وَالنَّاسُ فِي هَاتَيْنِ الْخَصَلَتَيْنِ خَاصٌّ وَعَامٌّ، فَالْخَاصُّ يُنْظَرُ فِي دَقِيقِ
الْوَرَعِ فَلَا يَتَنَاوَلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ أَنَّهُ حَلَالٌ وَإِذَا اشْكَلَ عَلَيْهِ تَنَاوَلَ عِنْدَ
الضَّرُورَةِ، وَالْعَامُّ يُنْظَرُ فِي الظَّاهِرِ فَمَا لَمْ يَجِدْهُ وَلَا يَعْلَمُهُ غَضَبًا وَلَا سِرْقَةً
تَنَاوَلَ، وَقَالَ: لَا بَأْسَ هُوَ لِي حَلَالٌ.

وَالْأَمِينُ فِي ذَلِكَ مَنْ يَأْخُذُ بِحُكْمِ اللَّهِ وَيُنْفِقُ فِي رِضَاةٍ.

«مَنْ كَانَ الْأَخْذُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَطَاءِ فَهُوَ مَغْبُوتٌ لِأَنَّهُ يَرَى الْعَاجِلَ بِغَفْلَتِهِ أَفْضَلَ مِنَ الْأَجْلِ. وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ إِذَا أَخَذَ أَنْ يَأْخُذَ بِحَقٍّ وَإِذَا أُعْطِيَ فَفِي حَقٍّ وَبِحَقٍّ وَمِنْ حَقٍّ».

الأخذ والعطاء الخاطيء:

ان مسألة حب المال والتعلق بالدرهم والدينار صفة فطرية عند كل انسان، ولولا حب مال الدنيا لأختل نظام الحياة البشرية، لكن هذا الحب اذا ما ترك دون قيود وموانع الهية من قبيل الورع والتقوى وقوانين الحلال والحرام الالهية سيؤدي بالانسان الى الوقوع في مرض التكبر والاستغناء والطغيان ويحوله تدريجيا الى شيطان وحيوان مفترس يتجاوز على أعراض الناس وحقوقهم في كافة شؤون الحياة.

فعلى الانسان أن يسعى أولا الى كسب المال من الطرق المشروعة الحلال، مثل: تربية الماشية، والزراعة، والصناعة، والتجارة وما يتعلق بهذه الأصول الأربعة، ورعاية القوانين الالهية في صرف هذا المال.

وإذا كان صاحب المال أو طالبه عاملا على بيت المال أو عاملا شخصياً، يجب أن يتمتع كما تشير الآيات والروايات بالأهلية الكاملة والأمانة والكفاءة العلمية والحكمة والبصيرة.

فلو كان بيت المال يدار من قبل هؤلاء الأفراد أو يجمع المال والثروة بيد هؤلاء الناس، لأزدهرت الطاقات وتجلت القيم الانسانية والالهية وبرزت مهارات الانسان وقابلياتهم حتى يصبح بلدهم مثالا عن الجنة ويصبح الشعب مثالا عن الملائكة.

وإذا ما جمع المال بالطرق غير المشروعة لجلب معه الكثير من الخسائر والأضرار بالنسبة للفرد والمجتمع بما يصعب تلافيتها أو تعويضها. فشهوة حب المال تعد من أسوء الموانع والمعوقات التي تمنع نمو الانسان وتكامله وتعالیه وتحرمه من تحقيق سعادته.

وأحيانا تتحول الثروة وحب المال الى مصدر لطغيان الأهواء والغرائز والرغبات والأنانية حتى تؤدي بالانسان الى الهلاك والضياع وتغلق بوجهه طريق النجاة.

في صدر الاسلام، وبعد الانحراف الذي حدث في مسألة خلافة المسلمين، وما نتج عنه من ابعاد أظهر الناس وأمنهم وأعلمهم أي أمير المؤمنين عليه السلام عن مقامه الالهي الذي أمر الله تعالى رسوله الكريم بابلاغه للناس، تجمعت الكثير من الأموال والثروات الطائلة في بيت المال وبيد المسلمين نتيجة الفتوحات الكثيرة للبلدان المختلفة، مما فتح أبواب الأخذ والعطاء الخاطي وغير الصحيح فجلب ذلك الكثير من المصائب والمآسي على القرآن والحديث والدولة الاسلامية والشعب والتربية والأخلاق والعقائد، بحيث يصعب تعويضها الى يوم القيامة.

واني اعتبر جميع الاختلافات التي وقعت بين المسلمين حتى الآن وكافة المصائب والمآسي التي لحقت بهم في مختلف شؤون حياتهم بعد وفاة الرسول

الأكرم ﷺ، انما تعود في أسبابها الى هذا الأخذ والعطاء الخاطئ في المال. فالأخذ والعطاء الخاطئ من بيت المال من قبل خلفاء بني أمية وبني العباس الذي لم يكن همهم سوى طمس الحقيقة، قد أدى الى تحريف التفسير في آيات القرآن وخاصة التحريف في الأحاديث النبوية، فكان سببا لظهور المذاهب والمدارس الفكرية المختلفة في قبال الصراط الالهي المستقيم وتحت غطاء الاسلام، بحيث لم تتمكن حتى الآن من احصاء عدد الناس الذين وقعوا في طريق الضلالة، ولا حجم الأضرار المادية والمعنوية والتربوية التي لحقت بالانسان نتيجة هذا العمل الخاطئ.

فألت أوضاع المسلمين الى ان يُبعد الأئمة المعصومين عن مقامهم الالهي بعد ان اختارهم الحق تعالى وأمر رسوله الكريم بابلاغ المسلمين بهذا الاختيار، ليعم ظلم الطغاة على كافة شؤون حياة الناس، ويتولى تجار الحديث مهمة تشويه صورة الاولياء واتهامهم بأبشع التهم وقلب الحقائق ليجعلوا المنافقين والظلمة من اهل الايمان، وليفسروا القرآن حسب أهواء أخطر الأفراد من بني أمية وبني العباس، ويضعوا آلاف الأحاديث المجعولة بما ينسجم مع مصالحهم الشخصية، فادى ذلك الى تضيق الخناق على أولياء الله من امثال أبو ذر وحجر ورشيد وميثم وكميل وسعيد، وتعريضهم الى أشد أنواع البلاء والنفي، في حين استولى المنافقون امثال الحكم بن العاص ومروان بن الحكم على مقدرات المسلمين بعد أن عادوا الى المدينة التي أبعدهم عنها الله ورسوله، حتى أصبح أطفال بني أمية ينامون في مهاد من الذهب والجواهر بينما يتعرض أطفال أشرف الناس ونسأؤهم ورجالهم الى أبشع أنواع العذاب والقتل والسبي والتشريد في فلاة كربلاء.

أما سجون الطغاة من بني أمية أمثال معاوية ويزيد مروان وعبد الملك وهشام والوليد، وسجون بني العباس أمثال المهدي والهادي وهارون والمأمون والمتوكل، فقد امتلأت بأهل الحقيقة والإيمان ليعرضوهم لأشد أنواع العذاب بتهمة الإيمان ومعرفة القرآن، في حين كان الحكام المنافقون والطغاة مشغولون بنهب بيت المال وتوزيع العطايا والهبات بدون مبرر ليعمدوا إلى القضاء على الإسلام من أصوله.

وتحول القضاء ورجال الدين الفاسدين ووعاظ السلاطين والمعلمين والمربين العابدين لشهوات بطونهم إلى أدوات لهدم أسس الإسلام بواسطة الأموال الطائلة التي كانوا يجنونها من حكام الجور والفساد.

نعم، المال والأخذ والعطاء الخاطيء كانت الوسيلة والأداة التي جلبت الويلات والبلاء على الصالحين والمظلومين وأولياء الحق والأنبياء والأئمة والكتب السماوية والحديث.

اذ لو كان المال قد وقع في أيدي أمينة من الأخيار والصالحين لما تعرض الإسلام لمثل هذه الاختلافات والفرقة والمصائب المختلفة.

كما نشاهد اليوم السلوك المخزي للدول المتظاهرة بالإسلام التي تتصرف بأموال المسلمين وبيت المال وتستولي على حقوق الناس وثرواتهم من النفط والمعادن المختلفة، وتقيم العلاقات غير المشروعة مع الدول الاستعمارية وشبكات التجسس العالمية، ولطالما سلبت الحياة من الناس، وقضت على كثير من الأولياء والصالحين، ولطالما نشرت الفساد والشهوة في المجتمع، ولطالما ارتكبت الجرائم الوحشية وأقدمت على أشد أنواع الخيانة والتزوير!؟

وفي ظل هذا الأخذ والعطاء غير المشروع الذي لا يهدف سوى القضاء على الاسلام وهدم أسسه، لو لم يتبنى الأئمة المعصومين عليهم السلام من الامام علي عليه السلام الى الامام الحجة عليه السلام وأصحابهم وأنصارهم الميامين مهمة الدفاع عن الاسلام ونصرته، ولو لم يضحي علماء الشيعة العظام بالغالي والنفيس في سبيل صيانة حرمة الاسلام، لما بقي من الاسلام سوى اسمه ولتعرض حتى هذا الاسم الخالي من المحتوى الى الزوال والنسيان ولقضي على الاسلام تماما، ولهذا نجد الامام الصادق عليه السلام يذكر في هذا الفصل بمسألة الأخذ والعطاء، فيقول:

«مَنْ كَانَ الْأَخْذُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعَطَاءِ فَهُوَ مَغْبُوتٌ لِأَنَّهُ يَرَى الْعَاجِلَ بِغَفْلَتِهِ أَفْضَلَ مِنَ الْأَجْلِ».

«وَيَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ إِذَا أَخَذَ أَنْ يَأْخُذَ بِحَقٍّ وَإِذَا أُعْطِيَ فَفِي حَقٍّ وَبِحَقٍّ وَمِنْ حَقٍّ».

فكم من آخذ معط دينه وهو يعلم وهذا أسوء أنواع العطاء، وكم من معط مورث نفسه سخط الله وغضبه، وأتم وأصدق شاهد على ذلك ما تقوم به الأنظمة الحاكمة الظالمة من أعمال وجرائم بشعة، وفي المرحلة التالية يستغلون بدون حق الخمس والزكاة والصدقات ويستفيدون من هذه الحقوق في طلب الشهرة وكسب المنزلة والمقام، فيقدمون على توزيعها على غير المستحقين.

أهل النجاة في الأخذ والعطاء:

ثم يقول الامام:

المشكلة ليست في أصل الموضوع بل في تعيين أهل النجاة وأهل الهلاك في

الأخذ والعطاء؟

فأهل النجاة هم من يراعون جانب التقوى والورع في الأخذ والعطاء، حيث يقسم الامام الناس بالنسبة للتقوى والورع الى قسمين: خاص وعام، فالخاص من يدققون جدا في الأخذ والعطاء ولا يأخذون شيئا حتى يتيقنوا أنه حلال واذا أشكل عليهم تناولوا منه عند الضرورة ما يقضي حاجتهم ويسد جوعهم ويكسي بدنهم. أما العام فهم الذين يكتفون بظاهر المسألة فيتناولون ما لم يجدوه ولا يعلموه غصبا ولا سرقة.

الورع وعفة النفس:

في أيام الدراسة علمت من أحد فاعلي الخير بوجود أحد العوائل المتعففة التي كانت تعاني شدة الفقر، فكنت بواسطة هذا الانسان أساعدهم بمبلغ بسيط من المال شهريا أو كل عدة أسابيع.

وفي أحد الايام أرسلت الى هذه العائلة بواسطة هذا الانسان الخير مبلغ خمسة وعشرين تومانا الذي كان يكفي في ذلك الوقت لاعالة العائلة لعدة أيام، لكنه عاد بعد لحظات ليعيد لي المبلغ رغم أنني أعلم أن مثل هذه العائلة الكبيرة تحتاج الى هذا المبلغ، ولما سألت عن سبب اعادته المال، قال لي فاعل الخير: ان رب هذه العائلة أخبرني أنه يملك مصرف هذا اليوم والغد، فطلب مني أن اعطي هذا المبلغ لمن لا يملك مصرف هذا اليوم والليلة.

فانظروا الى تأثيرات التقوى والورع وعفة النفس، وما يمكن أن تفعله بالانسان وما تحدثه من تحولات وتغييرات في حياته.

فمثل هؤلاء الأفراد ممن يتحلون بالأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة الذين وصفهم الله في القرآن المجيد بأوليائه، لا يبتغون شيئاً سوى الحق والحقيقة والصبر على المصائب والابتلاءات حتى يصلوا إلى مرتبة كمال النفس، ويكسبوا رضا حضرة الحق تعالى.

عزة النفس:

كان لي صديق من خيرة الناس في فعل الخير والسعي لحل مشاكل الناس، وكانت له الكثير من المساهمات المهمة في بناء المساجد والمستشفيات والمدارس والبيوت للمستحقين والمشاهد المشرفة والحوزات العلمية، وكان يقول:

كنت أسافر إلى قم كل ليلة جمعة لمتابعة أمور المشاريع الخيرية التي كنت أقوم بها هناك، وقد علمت خلال هذه الزيارات بوجود العديد من العوائل الفقيرة فخصصت لكل واحدة منها مقداراً من المال بما يناسب حالها.

وفي عصر يوم الخميس كنت جالساً قرب مرقد السيدة المعصومة حيث جاء أحد خدام المرقد ومعه عجوزاً أخبرني أنها تسأل عني، فأعطتني إحدى عشر ريالاً، فقلت: ما هذا؟ أجابت: أنا من إحدى العوائل المستحقة التي تصلها مساعدتك، وقد تمكنت من الوصول إليك بشق الأنفس، حيث كنت بالأمس من المستحقين، لكن ولدي قد عاد بالأمس من الخدمة العسكرية وذهب إلى العمل في نفس اليوم فحصل على أجرته وقد ساعدني بمقدار من المال، فزادت هذه الإحدى عشر ريالاً عن حاجتي، فرأيت أن صرفها حرام لذا جلبتها لكم لتعطيها إلى مستحق آخر!!

الباب

(٥٥)

في آداب الأخوة

قال الصادق عليه السلام:

ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ فِي كُلِّ زَمَانٍ عَزِيزَةٌ وَهِيَ الْأَخَاءُ فِي اللَّهِ، وَالزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ
الْأَلِيفَةُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَالْوَلَدُ الرَّشِيدُ، وَمَنْ أَصَابَ إِحْدَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ أَصَابَ
خَيْرَ الدَّارَيْنِ وَالْحِطُّ الْأَوْفَرَ مِنَ الدُّنْيَا وَاحْذَرُ أَنْ تُوَاجِيَ مَنْ أَرَادَكَ لِيَطْمَعَ
أَوْ خَوْفٍ أَوْ أَكْلٍ أَوْ شُرْبٍ وَأَطْلُبْ مُوَاخَاةَ الْأَتْقِيَاءِ وَلَوْ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ
وَإِنْ أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ لِطَلِبِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْ عَلَيَّ وَجْهَ الْأَرْضِ
أَفْضَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَالْأَوْلِيَاءِ وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ
الْعَبْدِ بِمِثْلِ مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنْ التَّوْفِيقِ لِصُحَّتِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْأَخْلَاءُ
يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

وَأظُنُّ أَنَّ مَنْ طَلَبَ فِي زَمَانِنَا هَذَا صَدِيقًا بِلَا عَيْبٍ بَقِيَ بِلَا صَدِيقٍ.
الْأَتْرَى أَنَّ أَوَّلَ كَرَامَةِ أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا أَنْبِيَاءَهُ عِنْدَ إِظْهَارِ دَعْوَتِهِمْ
تَصَدِيقُ أَمِينٍ أَوْ وَلِيٍّ وَكَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ أَصْدِقَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ
وَأَمْنَاءَهُ صُحْبَةُ أَنْبِيَاءِهِ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا فِي الدَّارَيْنِ نِعْمَةٌ أَخْلَى وَأَطْيَبُ
وَأَزْكَى مِنَ الصُّحْبَةِ فِي اللَّهِ وَالْمُوَاخَاةِ لُوجْهِهِ.

«ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ فِي كُلِّ زَمَانٍ عَزِيزَةٌ وَهِيَ الْأَخَاءُ فِي اللَّهِ، وَالزَّوْجَةُ الصَّالِحَةُ الْأَلِيفَةُ فِي دِينِ اللَّهِ، وَالْوَالِدُ الرَّشِيدُ، وَمَنْ أَصَابَ إِحْدَى الثَّلَاثَةِ فَقَدْ أَصَابَ خَيْرَ الدَّارَيْنِ وَالْحِظُّ الْأَوْفَرَ مِنَ الدُّنْيَا وَاحْذَرُ أَنْ تُوَاحِي مَنْ أَرَادَكَ لَطْمَعَ أَوْ خَوْفَ أَوْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ وَاطْلُبْ مُوَاخَاةَ الْأَتْقِيَاءِ وَلَوْ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَإِنْ أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ لِطَلِبِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَفْضَلَ مِنْهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ صَلَّاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَالْأَوْلِيَاءِ وَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ بِمِثْلِ مَا أَنْعَمَ بِهِ مِنْ التَّوْفِيقِ لِصُحَّتِهِمْ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾».

نعمة الأخوة:

يتطرق الامام الصادق عليه السلام في هذا الفصل الى مسألة مهمة أخرى الا وهي الأخوة في طريق الحق التي أشرنا الى بعض جزئياتها في نهاية الجزء التاسع من هذا الكتاب ضمن الباب الخامس والأربعين في شرح مسألة المعاشرة، لذا سنكتفي في هذا الباب الى توضيح مفردات هذه الرواية فقط.

حيث يشير الامام الى ثلاثة أشياء يندر وجودها ويعز في كل زمان وهي:

١- الأخاء في الله.

٢- الزوجة الصالحة الأليفة مع زوجها في دين الله، وعدم تقصيرها في

فنون الطاعة وسعيها في المحافظة على علاقتها ومال زوجها.

٣- الولد الرشيد الصالح.

وكل من توفرت عنده هذه الأشياء قد أصاب خير الدارين والحظ الأوفر من

الدنيا.

واحذر أن تواخي من أراذك لطمع أو خوف أو أكل أو شرب، وبالطبع

يمكن معرفة ذلك من خلال صفاته ومعاشرته أثناء فترة الأخوة والصداقة.

واطلب مؤاخاة الأتقياء ولو كانوا في ظلمات الأرض حتى لو أفنيت عمرك

في طلبهم؛ لأن الله تعالى لم يخلق على وجه الأرض أحداً بعد الأنبياء والأولياء

أفضل من أهل التقوى، ولم ينعم على العبد بنعمة أفضل من التوفيق في مؤاخذتهم

وصحبتهم، كما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾

الأخوة في بني آدم:

في هذا القسم من الرواية، يقول الملا عبد الرزاق اللاهيجي:

اعلم أن الأخوة والمحبة عند بني آدم لا تخرج عن أربعة أوجه: اثنان منها

مستحسنان وينتجان السعادة السرمدية، في حين يكون الآخران مذمومان وينتجان

الشقاء الأبدي.

أما المستحسنان فهما:

الأول: الأخوة والمحبة الحقيقية التي يطلق عليها المحبة الروحية، حيث تتناسب بتناسب الأرواح ومدى التعارف والترابط الذي يحصل بينها، ومنها محبة الأنبياء والأولياء مع أحدهما الآخر.

الثاني: المحبة القلبية التي تتناسب بتناسب الأوصاف الكاملة والأخلاق الفاضلة، ومنها محبة الصالحين والأتقياء فيما بينهم ومحبة الأمم والأقوام المختلفة للأنبياء وأئمة الهدى عليهم السلام.

أما الوجهان المذمومان فهما:

الأول: الحاصل بسبب تيسير المصالح، مثل محبة التجار والصناع ومحبة الخدام بمخدوميهم وأصحاب الحاجات مع الأغنياء.

الثاني: المحبة النفسانية التي ترتبط باللذات الحسية والمشتهيات النفسية، ولما كانت أسباب هذين النوعين من المحبة مفقودة يوم القيامة ولا يتحقق غرضهما وغايتهما؛ لذا يكونان قابلين للزوال حتى يتحوला إلى العداة والبغضاء، لذا يجب أن يقتصر الغرض من المحبة بين أهل الإيمان على كسب رضا الله تعالى، وأن لا يشوبها أي نوع من الأغراض الدنيوية حتى يخاطبهم الله تعالى يوم القيامة:

﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾!

«وَأَظُنُّ أَنْ مَنْ طَلَبَ فِي زَمَانِنَا هَذَا صَدِيقًا بِلا عَيْبٍ بَقِيَ بِلا صَدِيقٍ. أَلَا تَرَى أَنَّ أَوَّلَ كَرَامَةِ أَكْرَمِ اللَّهِ تَعَالَى بِهَا أَنْبِيَاءُهُ عِنْدَ إِظْهَارِ دَعْوَتِهِمْ تَصَدِيقُ أَمِينٍ أَوْ وَليٍّ وَكَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ مَا أَكْرَمَ اللَّهُ بِهِ أَصْدِقَاءَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ وَأَمْنَاءَهُ صُحْبَةُ أَنْبِيَائِهِ وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَا فِي الدَّارَيْنِ نِعْمَةٌ أَحلى وَأَطيبُ وَأَزكى مِنَ الصُّحْبَةِ فِي اللَّهِ وَالْمُؤَاخَاةِ لِوَجْهِهِ».

وفي القسم التالي من الرواية يقول الامام الصادق عليه السلام:

أظن أن من يطلب في هذا الزمان صديقاً خالياً من النقائص والعيوب، سيطول انتظاره ويصعب عليه العثور على مثل هذا الصديق.

الأ ترى أن أول كرامة تكرم الله بها على أنبيائه عند اظهار نبوتهم ووصاية أوصيائهم، هي وجود الأصدقاء والأولياء الذين صدقوا بنبوتهم ودعوتهم أكثر من جميع الناس، مما أدى الى رواج نبوتهم ووصايتهم وانتشارها بين اتباعهم، وكذلك كانت أعظم نعمة تكرم بها الله على الأصدقاء والأولياء والأمناء هي صحبتهم ومعاشرتهم لأنبيائه، وكلاهما دليل واضح وبرهان قاطع على أنه لا توجد نعمة في الدارين أحلى وأطيب وأزكى من الصحبة في الله ومؤاخاة المؤمن في سبيل الله وطلبها لكسب رضاه.

الباب

(٥٦)

في المشورة

قال الصادق عليه السلام:

شاوِرٌ في أُمُورِكَ مِمَّا يَفْتَضِي الدِّينُ مَنْ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ: عَقْلٌ وَعِلْمٌ
وَتَجْرِبَةٌ وَتُصْحٌ وَتَقْوَى فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَاسْتَعْمِلِ الخَمْسَةَ وَأَعِزِّمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُؤَدِّيكَ إِلَى الصَّوَابِ.

وَمَا كَانَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ غَيْرُ عَائِدَةٍ إِلَى الدِّينِ فَارْفُضْهَا وَلَا
تَتَفَكَّرْ فِيهَا فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَصَبْتَ بَرَكََةَ العَيْشِ وَحَلَاوَةَ الطَّاعَةِ.
وَفِي المَشُورَةِ اكْتِسَابُ العِلْمِ، وَالعَاقِلُ مَنْ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا عِلْمًا جَدِيدًا
وَيَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى المَحْصُولِ مِنَ المُرَادِ.

وَمَثَلُ المَشُورَةِ مَعَ أَهْلِهَا مَثَلُ التَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَفَنَائِهِمَا وَهُمَا غَنِيَانِ عَنِ العِمْدِ لِأَنَّهُ كَلَّمَا تَفَكَّرَ فِيهَا غَاصَ فِي بُحُورِ نُورِ
المَعْرِفَةِ وَازْدَادَ بِهِمَا اعْتِبَارًا وَيَقِينًا.

وَلَا تُشَاوِرْ مَنْ لَا يُصَدِّقُ عَقْلَكَ وَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا بِالْعَقْلِ وَالْوَرَعِ وَإِذَا
شَاوَرْتَ مَنْ يُصَدِّقُ قَلْبَكَ فَلَا تُخَالِفْهُ فِيمَا يُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ بِخِلَافِ
مُرَادِكَ فَإِنَّ النَّفْسَ تَجَمَّحُ مِنْ قَبُولِ الحَقِّ، وَخِلَافُهَا عِنْدَ الحَقَائِقِ أَيْبِنُ، قَالَ
اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾^١، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى

بَيْنَهُمْ﴾^٢.

١- آل عمران ٣: ١٥٩.

٢- الشورى ٤٢: ٣٨.

«شاورَ في أموركِ مما يقتضي الدينُ من فيه خمسُ خصال: عقلٌ وعلمٌ
وتجربةٌ ونصحٌ وتقوى فإن لم تجدْ فاستعملِ الخمسةَ وأعزمْ وتوكلْ على
اللهِ فإنَّ ذلكَ يُؤدِّيكَ إلى الصَّوابِ».

المشورة في الاسلام:

يشير الامام الصادق عليه السلام في هذا الباب الى أحد المسائل المهمة التي يعتمد
عليها أحيانا خير دنيا الانسان وآخرته؛ أي مسألة المشورة مع أهل العلم والخبرة
والكفاءة.

يبين الامام عليه السلام:

عليك التشاور في أمورك مما يقتضيه دينك وأمر آخرتك مع الانسان الذي
تتوفر فيه خمس خصال هي:

- ١- يمتلك العقل والفكر الصحيح الواضح.
- ٢- أن يكون من أهل العلم والمعرفة.
- ٣- أن يكون من أهل الخبرة والتجربة في جميع الأمور.
- ٤- يتحلّى بروح النصيحة وحب الخير والارشاد الى الحق.
- ٥- يتحلّى بالتقوى والورع وتجنب المحرمات والنواهي.

أما إذا كان فكر الانسان وعقله محيطاً بجميع الأمور والحقائق اللازمة خاصة عواقب الأمور والأفعال، فلا يحتاج الى المشورة، لكن عقل الانسان لا يمكنه ادراك العواقب الحقيقية للأمور، لأن نور العقل ليس قويا بالمقدار الكافي وقابلية ادراك الانسان وفهمه ورؤيته تكون محدودة وضعيفة جداً.

فاذا ما أراد الانسان أن يعتمد على عقله فقط في تحليل الأمور والاقدام عليها، سيعرض نفسه بلا شك الى الضرر والخسارة أكثر من نفعه وفائدته.

ان تاريخ البشر يبين بما هو أوضح من الشمس أن الحركة في مسيرة الحياة بالاعتماد على العقل فقط، ستجلب للانسان خسائر جمة لا يمكن تعويضها وتلافيها. والقسم الأعظم من مصائب البشر ومآسيهم طيلة المراحل التاريخية كان يعود الى هذه الأسباب.

أما الذين تكبروا على الاستعانة بالعقول العليا والأفكار الالهية خاصة عقول سفراء الحق والأئمة المعصومين عليهم السلام، قد سقطوا في وادي الذلة والهلاك.

ان اقامة المؤتمرات والجلسات، ومجالس تشريع القوانين، ومجالس الشورى، تعد جميعها أدلة قاطعة وبراهين ساطعة على حقيقة أن عقل الانسان وعلمه مهما علا فانه يحتاج الى المشورة.

وتؤيد الكثير من الآيات والروايات الاسلامية المهمة هذا المعنى، وتحفز الانسان على التشاور مع العقول العالية في أمر الدين والدنيا وما تقتضيه متطلبات الحاضر والمستقبل.

وقد قال موسى بن جعفر عليه السلام الى هشام:

«يا هشام! إِنَّ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحُجَّةٌ

بَاطِنَةٌ فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ عليهم السلام وَأَمَّا الْبَاطِنَةُ
فَالْعُقُولُ»^١.

ويمكن الاستفادة من هذه الرواية أن الانسان اذا لم يكن يمتلك العقل الواعي، فسيفلق أمامه طريق الاستفادة من آراء الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام، واذا ما عاش الانسان حياته بعيداً عن رؤية الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فإنه لن يكون مصاناً من الضرر والخسارة؛ لأن العقل لا يمكنه بمفرده القيام بمهمة ارشاد الانسان بل يحتاج الى الاستعانة بالعقول العالية وهي حاجة طبيعية وفطرية وضرورية؛ لذا ينبغي على الانسان عدم التكبر على الاستعانة بالعقول الالهية.

وينبغي التوجه الى هذه النقطة أن الانسان اذا ما كان طالباً للخير والسعادة في أمور الدين والدنيا والآخرة يجب عليه الاستعانة أولاً بكتاب الله وثانياً بالأنبياء خاصة خاتم الرسل (ص) والأئمة الطاهرين عليهم السلام ثم التشاور معهم لما يمتلكونه من عقل كبير وعلم وتجربة وتقوى وروح النصيحة والارشاد، بحيث يؤدي تحرك الانسان في هذا الطريق الى وصوله الى مقام القرب الالهي وعالم الملكوت وكسب رضا الحق تعالى.

ان المشورة مع الله تعالى تعني كسب المعرفة والعلم بكتاب الله والاستعانة بتعاليم آيات القرآن الكريم لتنظيم شؤون حياته.

أما المشورة مع الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فتعني العودة الى الروايات الصحيحة المعتمدة الصادرة عنهم وتنظيم حياة الانسان بما ينسجم مع أوامره وتوصياتهم.

١- الكافي: ١٥/١، كتاب العقل والجهل، الحديث ١٢؛ وسائل الشيعة: ٢٠٦/١٥، الباب ٨، الحديث

في حين تعني المشورة مع أصحاب الصفات والخصال الخمس، أن يطرح الانسان مشاكله وأموره عليهم، ويطلب المساعدة منهم في ابداء النصح والمشورة.

فلو لم يكن الانسان عارفاً بالقرآن والروايات، عليه الاستعانة بالعلماء الربانيين للاستفادة من علمهم ومعرفتهم في تفسير الآيات وشرح الروايات للوقوف على تعاليمها.

وعلى كل حال، يكون طريق الخير والسعادة مفتوحا في كافة شؤون الحياة أمام كل انسان محب للخير والسعادة، لكنه سيتعرض للضرر والخسارة اذا ما سار في هذا الطريق بمفرده.

وإذا ما سار الانسان في طريق التكامل والقرب الى الله مستعينا بكتاب الله وتعاليم الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأفكار ورؤى أهل العلم والعقل، فانه سيصل بلا شك الى السعادة الأبدية.

القرآن والمشورة:

قبل تأكيد القرآن المجيد على مسألة المشورة والتشاور، لم يكن الناس يولونها أي أهمية تذكر بحيث كان الانسان يتصرف منفردا دون الاستعانة بآراء الآخرين أو تقييم المنافع والأضرار التي يمكن أن تنتج عن أفعاله.

وقد أحيا القرآن المجيد هذه المسألة المهمة بين الناس، وحفز المسلمين على الاستعانة بهذا الأمر المهم والضروري.

قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ
لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ
فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^١.

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى
بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^٢.

وبعد هذه الآيات تم احياء مسألة المشورة بين المسلمين، بحيث من التزم بتطبيقها والاعتماد عليها في تنظيم أموره، قلل من حجم أضراره وخسارته الى أدنى حد ممكن.

الروايات والمشورة:

قال عليٌّ عليه السلام: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْيَمَنِ فَقَالَ وَهُوَ
يُوصِينِي: يَا عَلِيُّ مَا حَارَ مِنْ اسْتِخَارَ وَلَا نَدِمَ مَنْ اسْتَشَارَ»^٣.
وقال عليه السلام: «مَنْ شَاوَرَ ذَوِي الْعُقُولِ اسْتِضَاءَ بِنَوَارِ الْعُقُولِ»^٤.

١- آل عمران ٣: ١٥٩.

٢- الشورى ٤٢: ٣٨.

٣- الأمالي، الشيخ الطوسي: ١٣٦، المجلس الخامس، الحديث ٢٢٠؛ بحار الأنوار: ١٠٠/٧٢، الباب ٤٨، الحديث ١٣.

٤- غرر الحكم: ٤٤٢، الحديث ١٠٠٨٠.

وقال عليه السلام: «الْمُسْتَشِيرُ عَلَى طَرْفِ النَّجَاحِ»^١.

وقال عليه السلام: «الْأَسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَفَنَى بِرَأْيِهِ»^٢.

وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ رَجُلٌ يُشَاوِرُ أَحَدًا إِلَّا هُدِيَ إِلَى الرَّشْدِ»^٣.

قال عليه السلام:

«حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُضِيفَ إِلَى رَأْيِهِ رَأْيَ الْعُقَلَاءِ وَيَضُمَّ إِلَى عِلْمِهِ عُلُومَ الْحُكَمَاءِ»^٤.

قال رسول الله ﷺ:

«يا علي لا تشاور جبانا فإنه يضيق عليك المخرج، ولا تشاور البخيل فإنه يقصر بك عن غايتك، ولا تشاور حريصا فإنه يزين لك شرهما، واعلم يا علي أن الجبن والبخل والحرص غريزة واحدة يجمعها سوء الظن»^٥.

وقال عليه السلام:

«لا تشاور أحمق، ولا تستعن بكذاب، ولا تثق بمودة ملول، فإن الكذاب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب...»^٦

١- غرر الحكم: ٤٤٢، الحديث ١٠٠٦٩.

٢- نهج البلاغة: الحكمة ٢١١؛ بحار الأنوار: ١٠٤/٧٢، الباب ٤٨، الحديث ٣٨.

٣- نور الثقلين: ٥٨٤/٤.

٤- غرر الحكم: ٥٥، الحديث ٤٩٦.

٥- علل الشرايع: ٥٥٩/٢، الباب ٣٥٠، الحديث ١؛ بحار الأنوار: ٩٩/٧٢، الباب ٤٨، الحديث ١١.

٦- غرر الحكم: ٤٤٢، حديث ١٠٠٩٢.

قال امير المؤمنين عليه السلام:

«شاور في حديثك الذين يخافون الله»^١.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مشاورة العاقل الناصح رشد ويمن، وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فأياك والخلاف فان في ذلك العطب»^٢.

قال الامام زين العابدين عليه السلام:

«ارشاد المستشار قضاء لحق النعمة»^٣.

قال الامام الصادق عليه السلام:

«اعلم أن ضارب علي بالسيف وقاتله لو ائتمني واستنصحتني واستشارني ثم قبلت ذلك منه لأديت إليه الأمانة»^٤.

قال علي عليه السلام:

«من غش المسلمين في مشورة فقد برئت منه»^٥.

وقال الإمام علي عليه السلام: «خيانة المستسلم والمستشير من أفضع الأمور، وأعظم الشرور، وموجب عذاب السعير»^٦.

١- المحاسن: ٦٠١/٢، الباب ٣، الحديث ١٩؛ بحار الأنوار: ٩٨/٧٢، الباب ٤٨، الحديث ٤.

٢- المحاسن: ٦٠٢/٢، الباب ٣، الحديث ٢٥؛ بحار الأنوار: ١٠٢/٧٢، الباب ٤٨، الحديث ٢٧.

٣- تحف العقول: ٢٨٣؛ بحار الأنوار: ١٤١/٧٥، الباب ٢١، الحديث ٣.

٤- الكافي: ١٣٣/٥، باب أداء الأمانة، الحديث ٥؛ وسائل الشيعة: ٧٤/١٩، الباب ٢، الحديث ٢٤١٨٣.

٥- عيون اخبار الرضا: ٦٦/٢، الباب ٣١، الحديث ٢٩٦؛ بحار الأنوار: ٩٩/٧٢، الباب ٤٨، الحديث ٨.

٦- غرر الحكم: ٤٤٣، الحديث ١٠١٠٢.

«وَمَا كَانَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ غَيْرُ عَائِدَةٍ إِلَى الدِّينِ فَارْفُضْهَا وَلَا تَتَفَكَّرْ فِيهَا فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَصَبْتَ بَرَكَةَ الْعَيْشِ وَحَلَاوَةَ الطَّاعَةِ».

المشورة في أمور الدنيا:

يقول الامام الصادق عليه السلام:

ان كنت في شك وترديد في نتيجة أو عاقبة أمر من أمور الدنيا، فاتركه ولا تشغل فكرك فيه، فانك ان فعلت ذلك ستحضى ببركة العيش وتذوق حلاوة الطاعة.

ولو راجعتم التاريخ ولا حظتم العواقب التي سجلها لنا في مسألة المشورة بأمور الدنيا خاصة تلك التي تنتهي بخسارة الآخرة، لأدرتكم فداحة الخسارة التي يمكن أن يتعرض لها الانسان أزاء ذلك، كما حصل مع معاوية ومشورته مع عمرو بن العاص، ومشورة الزبير مع ابنه عبد الله، ومشورة عمر بن سعد مع أحد أبنائه.

فقد شوه معاوية بن سفيان وجه الاسلام في الأفعال والأقوال نتيجة لمشورته مع عمرو بن العاص، اذ يمكنكم الاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع بمراجعة الكتب المهمة في هذا المجال مثل كتاب الغدير، وجميع مؤلفات

العلامة العسكري.

كما أدت مشورة الزبير مع ابنه عبد الله الى دفعه للمشاركة في حرب الجمل وهلاكه الأبدى مع الكثير من أهل البصرة.

أما عمر بن سعد فقد آلت به الأمور لأن يرتكب أبشع جريمة في التاريخ ويلطخ يديه بالدماء الطاهرة للامام الحسين وعترته الطاهرة، ويرتكب في أرض كربلاء أشد الفجائع التي قل نظيرها في تاريخ البشرية بما لا يمكن مقارنتها مع أي جريمة أخرى، وليظهر مدى حقه واجرامه في هذه المعركة غير المتكافئة.

«وَفِي الْمَشُورَةِ اكْتِسَابُ الْعِلْمِ، وَالْعَاقِلُ مَنْ يَسْتَفِيدُ مِنْهَا عِلْمًا جَدِيدًا وَيَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى الْمَحْصُولِ مِنَ الْمَرَادِ. وَمَثَلُ الْمَشُورَةِ مَعَ أَهْلِهَا مَثَلُ التَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفَنَائِهِمَا وَهُمَا غَنِيَانِ عَنِ الْعَمَدِ لِأَنَّهُ كَلَّمَا تَفَكَّرَ فِيهَا غَاصَ فِي بُحُورِ نُورِ الْمَعْرِفَةِ وَازْدَادَ بِهِمَا اعْتِبَارًا وَيَقِينًا».

نتيجة المشورة:

ان المشورة مع أهل الايمان ومن استنارت قلوبهم بنور التقوى والمعرفة تفضي الى كسب العلم، والعاقل من يستفيد منها لكسب علم جديد يستدل به على معرفة مقصده والحصول على مراده.

فالمشورة مع أهل العلم والحكمة تشبه التفكير في خلق السماوات والأرض وفنائهما، وكيف أنهما غنيان عن العمدة التي ترفعهما وتثبتهما في هذا الفضاء اللامتناهي لتسير بأمر ربها، لأن التفكير فيهما يدفع الانسان للغوص في بحور نور المعرفة وكسب اليقين في معرفة حضرة الحق تعالى، وهذا هو عين ما يحصل عليه الانسان من المشورة مع أهل العلم والايمان.

«وَلَا تُشَاوِرْ مَنْ لَا يُصَدِّقُ عَقْلَكَ وَإِنْ كَانَ مَشْهُورًا بِالْعَقْلِ وَالْوَرَعِ وَإِذَا
شَاوَرْتَ مَنْ يُصَدِّقُ قَلْبَكَ فَلَا تُخَالِفْهُ فِيمَا يُشِيرُ بِهِ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ بِخِلَافِ
مُرَادِكَ فَإِنَّ النَّفْسَ تَجْمَعُ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَخِلَافُهَا عِنْدَ الْحَقَائِقِ أَيْبُنُ».

لما كان قلب المؤمن كالمرآة الصافية التي تستطيع أن تعكس جزءا من
الحقائق، لذلك نجد الامام الصادق عليه السلام يقول:
لا تشاور من لا يصدق عقلك حتى لو كان مشهورا بين الناس بالعقل والورع،
وإذا ما شاورت شخصا يصدق قلبك فاقبل مشورته ولا تخالفه حتى لو كان
بخلاف مرادك وما ترغبه نفسك؛ لأن النفس ترفض قبول الحق وتجمع عنه،
فقبول الحق مرّ لكن ينبغي أن تدرك أن كمال الانسان مرتبط بمخالفة النفس
وأهوائها، وهو أمر بين وواضح عند أهل العلم، وقد أثبتته التجارب الكثيرة.

الباب

(٥٧)

في مدح الحلم

قال الصادق عليه السلام:

الْحِلْمُ سِرَاجُ اللَّهِ يَسْتَضِيءُ بِهِ صَاحِبُهُ إِلَى جِوَارِهِ، وَلَا يَكُونُ حَلِيمًا إِلَّا
الْمُؤَيَّدُ بِأَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ.

وَالْحِلْمُ يَدُورُ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ:

أَنْ يَكُونَ عَزِيزًا فَيَذَلُّ، أَوْ يَكُونَ صَادِقًا فَيُتَّهَمَ، أَوْ يَدْعُو إِلَى الْحَقِّ
فَيُسْتَخَفَّ بِهِ، أَوْ أَنْ يُؤْذَى بِلا جُرْمٍ، أَوْ أَنْ يُطَالَبَ بِالْحَقِّ فَيُخَالِفُوهُ فِيهِ، فَإِنْ
أَتَيْتَ كَلًّا مِنْهَا حَقَّهُ فَقَدْ أَصَبْتَ.

وقابل السقيفة بالأعراض عنه وترك الجواب يكن الناس أنصارك لأنه
من جواب السقيفة فكأنه قد وضع الحطب على النار.

قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن كمثل الأرض كمثل الأرض منافعهم منها وأذاهم
عليها.

ومن لا يصبر على جفاء الخلق لا يصل إلى رضى الله تعالى لأن
رضى الله تعالى مشوب بجفاء الخلق.

وحكي أن رجلاً قال للأخنف بن قيس: اياك أعني، قال: أنا عنك
أحلم.

قال النبي ﷺ: بُعِثْتُ لِلْحِلْمِ مَرَكَزًا وَلِلْعِلْمِ مَعْدِنًا وَلِلصَّبْرِ مَسْكَنًا بُعِثْتُ
لِاتِّمَامِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

وَحَقِيقَةُ الْحِلْمِ أَنْ تَعْفُو عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَخَالَفَكَ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى
الْإِتِّتِقَامِ مِنْهُ كَمَا وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ:

إِلَهِي أَنْتَ أَوْسَعُ فَضْلًا وَأَوْسَعُ حِلْمًا مِنْ أَنْ تُؤَاخِذَنِي بِعَمَلِي وَتَسْتَدْلِنِي بِخَطِيئَتِي.

«الْحَلْمُ سِرَاجُ اللَّهِ يَسْتَضِيءُ بِهِ صَاحِبُهُ إِلَى جِوَارِهِ، وَلَا يَكُونُ حَلِيمًا إِلَّا
الْمُؤَيَّدُ بِأَنْوَارِ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّوْحِيدِ».

حقيقة الحلم والأناة:

يتحدث الامام الصادق عليه السلام في هذا الفصل عن واحدة من أهم الصفات
الممدوحة والفضائل الحميدة وهي الحلم والأناة والتحمل.
وفي بداية الرواية، يقول الامام:

«الحلم مصباح وسراج الهي يستضيئ الانسان به ويستدل
بفضله على طريق الهداية نحو الحق تعالى ليستفيض بسببه
من الفيوضات الالهية اللامتناهية. ولا يتيسر الحلم والأناة إلا
لمن كان مؤيداً بأنوار المعرفة والتوحيد».

نعم، الحق أن الانسان اذا ما كان عارفاً بآيات القرآن المجيد وعالماً بأخلاق
الأنبياء والأولياء ومطلعاً على حقائق الروايات، و متمسكاً بأصل التوحيد أي
الارتباط القلبي والعملي مع حضرة الحق تعالى ليكتسب من حضرته نور المعرفة
والعلم في مسألة الأوصاف والصفات النفسية، فانه بلا شك سيتصف بصفة الحلم
والأناة، ليكون في مأمن من الوقوع في كثير من الذنوب، وسيوفق في كسب

الكثير من الوقائع والحقائق الالهية.

ان الحلم هو أولا من صفات حضرة الحق تعالى، وثانيا من خصائص الأنبياء والأئمة وأولياء الله. فمن تنور بنور الحلم أصبح في الواقع متصفا بصفات حضرة الحق ومنسجماً مع أخلاق الأنبياء والأولياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام.

فعلَيْكُمْ أن تتحلوا دائما بالحلم والأناة والصبر والتحمل؛ لأن الانسان لا يستغني عن العيش في الاجتماع متصلا بالناس؛ لأنه خلق اجتماعي ومدني الطبع لا يمكنه العيش والبقاء في ظلمات الوحدة.

فالانسان في حياته الأسرية والاجتماعية يجب عليه أن يعي أن الذين يرتبطون به لا يمكن أن يتحلوا جميعهم بالعلم والمعرفة والأمانة والصدق وسعة الصدر والحقيقة والايمان والاسلام الكامل والأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لذا يمكن أن يرتكبوا بسبب هذه النقائص والعيوب الكثير من الأخطاء والاشتباهات بحق الآخرين، أو يمكن أن يفقد الانسان السيطرة على أعصابه وحلمه وهدوءه وتعتريه حالة من الغضب والعصبية بسبب جهل الآخرين وبساطتهم، مما قد يؤدي الى وقوعه أسيرا لحالات من الشر والظلم وارتكاب الذنوب والمعاصي، ليحرم من رَبِّهِ الواسعة.

لكن هذا الانسان لو تحلى بالحلم والأناة وسعة الصدر والتحمل لتمكن أولا من افهام الطرف المقابل واعطائه درساً في الحق والحقيقة، وثانيا يدفعه للندم على عمله ثم يهديه الى طريق الفضيلة.

ان وجود الحلم في شخصية الانسان تضيء عليه نوعا من الجاذبية واستقطاب الناس نحو الحق تعالى، وقد تجلت هذه الحقيقة في شخصية الأنبياء والأئمة

الطاهرين عليه السلام فحفزت الناس على الهداية نحو طريق الحق والحقيقة والتحلي بالايمان والعمل الصالح.

وفي الآية ١٥٩ من سورة آل عمران، علل القرآن المجيد دخول الناس في الاسلام الى صفات الحلم والأناة والصبر والأخلاق الفاضلة التي تحلى بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

فلولا حلم رسول الله صلى الله عليه وآله وصبره على جميع هذه الحوادث والمصائب والأمواج المتلاطمة المؤلمة، لما تحركت عجلة الاسلام ولما سارت في طريق الحق ولما انتشرت في كافة أرجاء المعمورة.

ولولا حلم الأنبياء في قبال الحوادث الواقعة للامم والشعوب، وصبر الأئمة عليهم السلام وتحملهم لسلوك الناس وجهلهم، لما بقي في هذا العالم أثر لدين الله وفضائل الأخلاق والحقائق الملكوتية.

وعلى هذا الاساس، تعد مسألة تحلي المؤمن بصفة الحلم والأناة من الواجبات الاسلامية التي لا يمكن اكتسابها الا من خلال التمرين على الصبر والتحمل في قبال الحوادث الواقعة وتجنب الغضب عند التعامل مع الآخرين.

وسنشير هنا الى مسألة الحلم والغضب في الآيات والروايات، لما فيه من فائدة دنيوية وأخروية لجميع القراء الكرام.

الحلم في القرآن المجيد:

اعتبر القرآن المجيد الحلم من صفات حضرة الحق تعالى، ووصف الأنبياء بصفة الحلم، لكي يتعض الناس ويستلهموا العبر من حضرة الحق وأنبيائه ورسله، مما يحفزهم للاتصاف بصفة الحلم والأناة حتى يسيروا في طريق النجاة بما

ينسجم مع تعاليم الله والأنبياء.

قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^١.

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^٢.

قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا
أُذَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾^٣.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ
الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ﴾^٤.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^٥.

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^٦.

١- البقرة: ٢: ٢٣٥.

٢- البقرة: ٢: ٢٢٥.

٣- البقرة: ٢: ٢٦٣.

٤- آل عمران: ٣: ١٥٥.

٥- التوبة: ٩: ١١٤.

٦- هود: ١١: ٧٥.

قال تعالى:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا
أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ
الرَّشِيدُ﴾^١.

قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ﴾^٢.

ولو أمتعتم النظر في هذه الآيات لأدرتكم القيمة السامية لصفة الحلم، وأنها
من أخلاق حضرة الحق ومن الصفات الحميدة للأنبياء.

فلولا حلم الله تعالى في قبال سلوك الناس وجهلهم ومعاصيهم، ولولا حلم
الأنبياء وتحملهم، لسرعان ما تعرض جميع المذنبين لعذاب الله، ولما بقي للتوبة
من أثر في غفران الذنوب، ولتعرض الكثير من الصالحين الذين كانوا سابقاً من
المذنبين للعذاب الالهي، ولما قبلت توبتهم، لكن حلم الله والأنبياء قد وفق الكثير
من العاصين بالتوبة من الذنوب، ليصبحوا من أهل الصلاح والايمان.

فالحلم يكون مانعا لمؤاخذة الحق تعالى ورافعا للجنة الأنبياء بحق العاصين،
ومحفظا للعاصين والمذنبين في التوفيق لكسب عفو الله ومغفرته ليكون علة
لظهور الصالحين.

فقد أظهر الله تعالى حلمه في قبال الذنب العظيم الذي أقدم عليه أولاد

١- هود: ١١: ٨٧

٢- الصافات: ٣٧: ١٠٠ - ١٠١.

يعقوب عليه السلام، كما امتنع النبي يعقوب من الدعاء على أولاده، فأدى هذا الحلم الذي أظهره الله تعالى ويعقوب عليه السلام لأن يوفق أولاد يعقوب بالتوبة عما ارتكبه من ذنب ليكونوا علة لظهور جيل الصالحين من الأنبياء بعد يعقوب، بحيث خرج جميع أنبياء بني اسرائيل الى عيسى عليه السلام من نسل أولاد يعقوب، ولم يحصل ذلك الا بسبب حلم حضرة الحق تعالى وحلم يعقوب عليه السلام في قبال الذنب الذي ارتكبه أولاد يعقوب عليه السلام.

فما أجمل أن تتحلى بالحلم والأناة في قبال السلوك الخاطي لأبائنا وزوجاتنا وأولادنا وأقربائنا وجميع الناس الذين تتعامل معهم، كما فعل حضرة الحق والأنبياء مع الناس، وأن تتجنب الغضب والانفعال لما يسببه من خسائر وأضرار كبيرة لا يمكن تلافيتها، ولما يمكن أن نجنيه من منافع وفوائد جمة نتيجة الحلم والصبر والأناة.

ان أولئك الذين يتحلون بالحلم والأناة والصبر وسعة الصدر، تكون بواطنهم منيرة بنور الأمن، وقلوبهم متصفة بصفات الهدوء والطمأنينة، والأهم من ذلك تهون عليهم جميع مصائب الأرض والسماء وجميع المشاكل الاجتماعية والأسرية ويسهل عليهم تحملها.

وبسبب تحليهم بصفة الحلم والأناة ينالوا الثواب العظيم والأجر الجزيل من قبل حضرة الحق تعالى، ويصلوا الى مرتبة محبة الله والأنبياء والأئمة العظام.

الحلم في الروايات:

ذكر الأئمة المعصومين عليهم السلام روايات كثيرة في هذا المجال، حيث يقول

الامام علي عليه السلام:

«الْحِلْمُ سَجِيَّةٌ فَاضِلَةٌ»^١.

وقال: «الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ وَالْعَقْلُ حُسَامٌ بَاتِرٌ فَاسْتُرْ خَلَلَ

خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ»^٢.

وقال: «الْحِلْمُ حِجَابٌ مِنَ الْأَفَاتِ»^٣.

وقال: «الْحِلْمُ رَأْسُ الرِّيَاسَةِ»^٤.

وقال: «الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ»^٥.

وقال: «الْحِلْمُ نِظَامٌ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ»^٦.

وقال: «لَا عِزَّ أَنْفَعُ مِنَ الْحِلْمِ»^٧.

وقال علي عليه السلام: «وَجَدْتُ الْحِلْمَ وَالْإِحْتِمَالَ أَنْصَرَ لِي مِنْ شُجْعَانِ

الرِّجَالِ»^٨.

سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام: «أَيُّ الْخَلْقِ أَقْوَى، قَالَ: الْحَلِيمُ»^٩.

١- كنز الفوائد: ٣١٩/١؛ بحار الأنوار: ٤٢٨/٦٨، الباب ٩٣، الحديث ٧٨.

٢- نهج البلاغة: الحكمة ٤٢٤؛ بحار الأنوار: ٤٢٨/٦٨، الباب ٩٣، الحديث ٧٦.

٣- غرر الحكم: ٦٤، الحديث ٧٩٤.

٤- غرر الحكم: ٣٤٢، الحديث ٧٨١٤.

٥- نهج البلاغة: الحكمة ٤١٨.

٦- غرر الحكم: ٢٨٥، الحديث ٦٣٨٢.

٧- تحف العقول: ٩٢؛ بحار الأنوار: ٤٢٨/٦٨، الباب ٩٣، الحديث ٧٨.

٨- غرر الحكم: ٢٨٧، الحديث ٦٤٦٧.

٩- بحار الأنوار: ٤٢٠/٦٨، الباب ٩٣، الحديث ٥٢.

- وقال: «إِنَّمَا الْحِلْمُ كَظْمِ الْغَيْظِ وَمِلْكِ النَّفْسِ».^١
- سُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «عَنْ أَحْلَمِ النَّاسِ فَقَالَ: الَّذِي لَا يَغْضَبُ».^٢
- قالَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحِلْمُ زِينَةٌ».^٣
- قالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كَفَى بِالْحِلْمِ نَاصِرًا».^٤
- قالَ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا يَكُونُ الرَّجُلُ عَابِدًا حَتَّى يَكُونَ حَلِيمًا».^٥

القرآن والغضب:

أكد القرآن الكريم كثيرا على صفة كظم الغيظ والسيطرة على الغضب، فاعتبرها من صفات المحسنين وأهل الايمان والمتمسكين بتعاليم حضرة الحق تعالى. كما اعتبر القرآن المجيد صفة كظم الغيظ والغضب من أخلاق الأنبياء وصفات الأولياء وعباد الله الصالحين. كذلك رفض القرآن المجيد أن يتعامل المؤمنون بانفعال وغضب مع الحوادث الواقعة وعند تعاملهم مع الآخرين.

قال تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ

١- غرر الحكم: ٢٨٦، الحديث ٦٤٠٧.

٢- من لا يحضره الفقيه: ٣٨٣/٤، الحديث ٥٨٣٣؛ بحار الأنوار: ٤٢٠/٦٨، الباب ٩٣، الحديث ٥٢.

٣- بحار الأنوار: ١٢٢/٧٥، الباب ٢٠، الحديث ٥.

٤- الكافي: ١١٢/٢، باب الحلم، الحديث ٦؛ وسائل الشيعة: ٢٦٦/١٥، الباب ٢٦، الحديث ٢٠٤٦٩.

٥- الكافي: ١١١/٢، باب الحلم، الحديث ٤١؛ بحار الأنوار: ٤٠٣/٦٨، الباب ٩٣، الحديث ١٢.

وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾

وقال تعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ
كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمًا ﴿٢﴾﴾

وحسب تفسير علماء الدين لهذه الآية الشريفة، قد ذم الله تعالى الكفار بسبب حميتهم
وعصيتهم وغضبهم، ومدح رسول الله والمؤمنين بسبب وقارهم وحلمهم وسكيتهم.

الروايات والغضب:

قال الصادق عليه السلام: «الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ»^٣.

عن عبد الاعلى قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: علمني عظة أتعظ بها، فقال: إن
رسول الله صلى الله عليه وآله أتاه رجل فقال له: يا رسول الله علمني عظة أتعظ بها، فقال له:
انطلق ولا تغضب، ثم أعاد إليه فقال له: انطلق ولا تغضب - ثلاث مرات -^٤.

١- آل عمران ٣: ١٣٣ - ١٣٤.

٢- الفتح ٤٨: ٢٦.

٣- الكافي: ٣٠٣/٢، باب الغضب، الحديث ٥٣؛ وسائل الشيعة: ٣٥٨/١٥، الباب ٥٣، الحديث ٢٠٧٣٣.

٤- الكافي: ٣٠٣/٢، باب الغضب، الحديث ٥.

وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْغَضَبُ مَمْحَقَةٌ لِقَلْبِ الْحَكِيمِ»^١.

وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ لَمْ يَمْلِكْ غَضَبَهُ لَمْ يَمْلِكْ عَقْلَهُ»^٢.

نعم، الانسان الذي يفقد السيطرة على أعصابه يفقد القدرة على التفكير الصحيح، مما يعرضه لارتكاب الكثير من الأفعال الخطيرة والتصرفات الخاطئة.

قال الامام الصادق عليه السلام: إنما المؤمن، الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من

حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له.^٣

قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْغَضَبُ يُثِيرُ كَوَامِنَ الْحِقْدِ»^٤.

وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْغَضَبُ شَرٌّ إِنْ أَطَعْتَهُ دَمَّرَ»^٥.

وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْغَضَبُ مَرَكَبُ الطَّيْسِ»^٦.

وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بِئْسَ الْقَرِينُ الْغَضَبُ، يُبْذِي الْمَعَائِبَ وَيُذْنِي الشَّرَّ،

وَيُبَاعِدُ الْخَيْرَ»^٧.

وَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مِنْ طَبَايِعِ الْجُهَالِ التَّسَرُّعُ إِلَى الْغَضَبِ فِي كُلِّ حَالٍ»^٨.

١- الكافي: ٣٠٥/٢، باب الغضب، الحديث ١٣؛ بحار الأنوار: ٢٧٨/٧٠، الباب ١٣٢، الحديث ٣٣.

٢- الكافي: ٣٠٥/٢، باب الغضب، الحديث ١٣؛ وسائل الشيعة: ٣٦٠/١٥، الباب ٥٣، الحديث ٢٠٧٤١.

٣- الكافي: ٢٣٣/٢، باب المؤمن وعلاماته، الحديث ١١؛ وسائل الشيعة: ٣٥٨/١٥، الباب ٥٣، الحديث ٢٠٧٣٩.

٤- غرر الحكم: ٣٠٣، الحديث ٦٨٩٧.

٥- غرر الحكم: ٣٠٢، الحديث ٦٨٩١؛ مستدرک الوسائل: ١١/١٢، الباب ٥٣، الحديث ١٣٣٧٦.

٦- غرر الحكم: ٣٠٢، الحديث ٦٨٨٨.

٧- غرر الحكم: ٣٠٢، الحديث ٦٨٩٣؛ مستدرک الوسائل: ١٣/١٢، الباب ٥٣، الحديث ١٣٣٧٦.

٨- غرر الحكم: ٣٠٢، الحديث ٦٨٧٥.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْغَضَبُ نَارُ الْقُلُوبِ».^١

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَأَوَّلُهُ جُنُونٌ وَآخِرُهُ نَدَمٌ».^٢

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «شِدَّةُ الْغَضَبِ تُغَيِّرُ الْمَنْطِقَ وَتَقَطِّعُ مَادَّةَ الْحُبَّةِ وَتُفَرِّقُ الْفَهْمَ».^٣

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَعْظَمُ النَّاسِ سُلْطَانًا عَلَى نَفْسِهِ مَنْ قَمَعَ غَضَبَهُ وَأَمَاتَ شَهْوَتَهُ».^٤

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْغَضَبُ جَمْرَةٌ الشَّيْطَانِ».^٥

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَحَبَّ السَّبِيلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ جُرْعَتَانِ:

جُرْعَةٌ غَيْظٌ تَرُدُّهَا بِحِلْمٍ وَجُرْعَةٌ مُصِيبَةٌ تَرُدُّهَا بِصَبْرٍ».^٦

مِنْ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «إِلَى الْحَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ: وَأَكْظِمُ

الْغَيْظَ وَتَجَاوَزَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ وَاحْتَلَمَ الْغَضَبَ وَأَصْنَحَ مَعَ الدَّوْلَةِ

تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ».^٧

١- غرر الحكم: ٣٠١، الحديث ٦٨٥٩.

٢- غرر الحكم: ٣٠٣، الحديث ٦٨٩٨؛ مستدرک الوسائل: ١٢/١٢، الباب ٥٣، الحديث ١٣٣٧٦.

٣- كنز الفوائد: ٣١٩/١؛ بحار الأنوار: ٤٢٨/٦٨، الحديث ٧٨.

٤- غرر الحكم: ٣٠٢، الحديث ٦٨٦٦؛ مستدرک الوسائل: ١٢/١٢، الباب ٥٣، الحديث ١٣٣٧٦.

٥- جامع الأخبار: ١٦٠، فصل ١٢٤؛ بحار الأنوار: ٢٦٥/٧٠، الباب ١٣٢، الحديث ١٥.

٦- الكافي: ١١٠/٢، باب كظم الغيظ، الحديث ٩؛ وسائل الشيعة: ١٢/١٧٦، الباب ١١٤، الحديث

١٦٠٠٥.

٧- نهج البلاغة: الرسالة ٦٩.

قال الحواريون لعيسى عليه السلام: أي الأشياء أشد؟ قال: أشد الأشياء غضب الله عز وجل، قالوا، بما نتقي غضب الله؟ قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب؟ قال، الكبر والتجبر ومحقرة الناس.^١

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام:

يا علي لا تغضب فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم وإذا قيل لك اتق الله فانبد غضبك وراجع حلمك.^٢
وقال سليمان عليه السلام لابنه:

«يا بني إياك و كثرة الغضب فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الرجل الحليم».^٣
و عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾^٤، قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب.^٥

وقال أبو الدرداء: قلت: «يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة، قال:

لا تغضب».^٦

وقال صلى الله عليه وآله: «ما غضب أحد إلا أسفى على جهنم».^٧

عن أبي جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

١- مشكاة الأنوار: ٢١٩، فصل ١١، في الحلم؛ وسائل الشيعة: ٣٦٢/١٥، الباب ٥٣، الحديث ٢٠٧٤٥.

٢- تحف العقول: ١٣؛ بحار الأنوار: ٦٨/٧٤، الباب، الحديث ٦.

٣- محجة البيضاء: ٢٩١/٥، كتاب آفة الغضب...

٤- آل عمران ٣: ٣٩.

٥- منية المرید: ٣١٩، الفصل الثاني؛ المحجة البيضاء: ٢٩١/٥، كتاب آفة الغضب...

٦- المحجة البيضاء: ٢٩١/٥، كتاب آفة الغضب؛ بحار الأنوار: ٢٦٧/٧٠، الباب ١٣٢، الحديث ٢١.

٧- منية المرید: ٣٢٠، الفصل الثاني؛ بحار الأنوار: ٢٦٧/٧٠، الباب ١٣٢، الحديث ٢١.

«مَنْ كَفَّ نَفْسَهُ عَنِ أَعْرَاضِ النَّاسِ قَالَ اللَّهُ نَفْسَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ عَنِ النَّاسِ كَفَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهُ عَذَابَ
يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^١.

قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله علمني قال: اذهب ولا تغضب.

فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفا ولبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم، ثم ذكر قول رسول الله ﷺ: لا تغضب، فرمى السلاح ثم جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدو قومه، فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه اثر فعلي في مالي أنا أوفيكموه، فقال القوم: فما كان فهو لكم، نحن أولى بذلك منكم، قال: فاصطح القوم، وذهب الغضب.^٢

كلام الخواجة الطوسي في الغضب:

الخواجة نصير الطوسي في كتاب «اخلاق ناصري»، يقول:

الغضب حالة ترد على النفس مبدؤها الشهوة والانتقام، ولما كانت هذه الحالة مصحوبة بالعنف فانها ستزيد من جذوة الانفعال، وغليان دم الانسان وامتلاء الدماغ والشرابين بدخان مظلم يحجب التفكير عن العقل ويضعف فعله وتأثيره، وقد قال الحكماء عن ذلك:

ان الطبيعية الانسانية تشبه غاراً في جبل ممتلئ بالنار واللهب والدخان، بحيث لا يرى فيه سوى سعي النار وكثافة الدخان وجذوة الاشتعال، ويصعب جداً اطفاء

١- الكافي: ٣٠٥/٢، باب الغضب، الحديث ١٤؛ وسائل الشيعة: ٣٥٩/١٥، الباب ٥٣، الحديث ٢٠٧٣٦.

٢- الكافي: ٣٠٤/٢، باب الغضب، الحديث ١١؛ بحار الأنوار: ٢٧٧/٧٠، الباب ١٣٢، الحديث ٣١.

هذا الحريق والسيطرة على شدة النار، وكلما سعوا لاطفائها ازدادت شدة وسعيراً، وإذا ما لجأوا للموعظة ازداد الغضب وطفى، وإذا ما حاولوا السيطرة عليها وتسكينها واخمادها زادت شعلتها ولهبها، لكن هذه الحالة والطبيعة تختلف باختلاف حال الأشخاص واختلاف أمزجتهم، وكان تركيب الكبريت الذي سرعان ما يشتعل بمجرد الاحتكاك البسيط، في حين يحتاج الزيت الى سبب أكبر لاشتعاله، أو تركيب الخشب الجاف والرطب، حتى يصل الى تركيب يصعب اشتعاله جداً، ويختلف ترتيبها باختلاف حالة الغضب في عنفوان مبدأ حركتها.

وعندما تتواتر الأسباب تتساوى حينها أصناف المراتب، فما ان يشتعل الحريق ويحصل نتيجة الاحتكاك البسيط بين الخشب الجاف، فانه سيطلق جميع الأشجار ويحرق الأخضر واليابس منها، وينبغي التأمل في حال الصواعق وكيف يحصل الاشتعال نتيجة الاحتكاك ووجود البخار الرطب واليابس مع بعضهما، وكيف يحصل البرق وقذف الصواعق على الجبال والصخور الصلبة، وينطبق نفس هذا الحال على تهيج الغضب الذي يحصل أحيانا بسبب أدنى كلمة أو حادثة.

ويقول بقراطيس الحكيم:

ان ألمي بسلامة السفينة التي تبحر في أمواج البحر المتلاطمة وامكان ارتطامها بالجبال والصخور الشديدة، أكثر من ألمي بسلامة انسان اشتد غضبه وهاجت أعصابه؛ لأن السفينة قد يتمكن بحارتها وملاحها من التوصل بمختلف الوسائل والحيل لأنقاذها وتخليصها من خطر هذه الأمواج المتلاطمة، لكن يصعب أن تجد وسيلة ناجعة لتسكين غضب الانسان الذي اشتدت جذوته، بل كلما توسلت بالوعظ والنصح والتضرع والخضوع كلما ازدادت شدة الغضب أكثر، كأنها نار تزداد شعلتها كلما القيت فيها قطعاً من الحطب الجاف.

أسباب الغضب:

وللغضب أسباب عشرة:

الأول: العجب، الثاني: الافتخار، الثالث: المرء، الرابع: اللجاج، الخامس: المزاج، السادس: التكبر، السابع: الاستهزاء، الثامن: الغدر، التاسع: الضيم، العاشر: طلب النفائس التي توجب الجدل والنزاع. وغاية هذه الأسباب الشوق للانتقام وتشترك في لواحق الغضب الذي تعد من أعراض هذا المرض، حيث تظهر في أصناف سبعة:

الأول: الندم، الثاني: توقع الجزاء العاجل والآجل، الثالث: مشقة الأصدقاء، الرابع: استهزاء الأراذل، الخامس: شماتة الأعداء، السادس: تغيير المزاج، السابع: تألم الأبدان في وقت الغضب لأنه ضرب من الجنون، كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه:

«الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ».

ويؤدي أحيانا الى حالة من الاختناق وحرقة القلب، وهو من الأمراض الخطيرة التي تؤدي الى عواقب جسيمة، وعلاج هذه الأسباب هو علاج الغضب لأن ارتفاعها يوجب ارتفاع مسببها، وازالتها تعني ازالة مرض الغضب، فاذا ما وفق الانسان في علاج هذه الأسباب، ثم اتفق أن عاد شئ من هذا المرض مرة أخرى، فحينئذ يسهل رفعه وازالته بتدبير العقل.

علاج أسباب الغضب:

ويمكن معالجة أسباب الغضب كالتالي:

أما العجب وهو الظن الكاذب الذي يرد النفس بحيث تعطي لنفسها منزلة أكثر مما تستحق، فيمكن علاجه بان يقف الانسان على عيوب نفسه ونقائصها ويدرك ان الفضيلة صفة مشتركة بين الخلق، فاذا ما رأى الانسان كماله في الآخرين يكون قد ابتعد عن العجب.

أما الافتخار، وهو المباهاة بالأشياء الخارجية الآيلة للزوال والتي لا يمكن الاطمئنان بثباتها وبقائها، فلو افتخر بماله لما أمكنه الاطمئنان ببقائه بعيدا عن الغضب والنهب، ولو افتخر بالنسب فأصدقها اذا ما كان صادرا عن شخص اشتهر أبواه بالفضل، لكن لو قدر لأبيه الفاضل أن يكون حاضراً ويقول له ان هذا الشرف الذي تدعيه انما هو نوع من الاستبداد لانه عائد لي وليس لك، فماهي فضيلتك في ذلك بحيث تتفاخر به، لبقني عاجزا عن الجواب.

ويحكى أن:

أحد رؤساء اليونان افتخر على غلام حكيم، فقال الغلام: ان كان ما تفتخر به علي هو هذه الملابس الجميلة والثمينة التي تزين جسمك، فالحسن والجمال في الملابس وليس فيك، وان كنت تفتخر علي بهذا الحصان الأصيل الذي تركبه، فالأصالة والقوة والجمال للحصان وليس لك، وان كنت تفتخر بفضل آبائك فالفضل لهم وليس لك، فاذن لا حق لك في أي من هذه الفضائل، ولو قدر لكل واحد منهم أن يأخذ فضيلته لما انتقلت لك أي واحدة منها، لذا فلا فضيلة لك حتى تفتخر بها علي.

وقالوا أيضاً:

كان أحد الحكماء حاضرا عند أحد الأغنياء، وكان هذا الغني شديد الفخر بكثرة ماله وثروته وزينته وعدته، وأثناء الكلام والحوار أراد الحكيم أن يبصق

الماء الذي تجمع في فمه، فنظر يمينا ويسارا فلم يجد مكانا يبصق فيه، فبصق في وجه صاحب الدار، فعاتبه الحاضرون ولاموه بشدة، فقال الحكيم: ان الأدب يقتضي أن أبصق في أخس المواضع وأقبحها، لكنني لما نظرت يمينا ويساراً لم أجد موضعاً أخس وأقبح من هذا الشخص الجاهل.

وأما المرء واللجاج، الموجب لازالة الألفة وحصول الاختلاف والبغضاء والنزاع والخصام، وقوام العالم بالألفة والمحبة كما سيأتي شرحه. اذن المرء واللجاج من المفاسد التي تقتضي رفع نظام العالم، ويعد هذا الأمر من أقبح صفات الرذائل.

وأما المزاح، فهو محمود اذا ما استعمل على نحو الاعتدال ولم يتجاوز حدود الأدب، حتى ان رسول الله ﷺ كان يمازح قليلا دون أن يصل الى حد الهزل.

لكن الوقوف على حد الاعتدال صعب جداً، حتى ان معظم الناس يقصدون الاعتدال لكنهم ما أن يبدأوا في المزاح حتى يتجاوزوا هذا الحد مما يثير في النفس الوحشة والنضب الكامن فيرسخ في القلب، لهذا يكون المزاح محظورا على من لا يتمكن من الاعتدال، حتى قالوا: رب حديث يؤدي للألم والبكاء.

أما التكبر فهو أقرب للعجب، ويفرق عنه أن المعجب يكذب على نفسه ويظن أنه يصدق معها، في حين يكذب المتكبر على الآخرين رغم أن هذا الظن هو ظن واهي لا أساس له، وعلاج التكبر شبيه تقريبا بعلاج العجب.

وأما الاستهزاء، فهو من أفعال أهل الجنون والسخرية، ومن يقدم عليه لا يبالي بعواقبه ويجلب لنفسه المذلة والصغار وارتكاب الرذائل الاخرى التي توجب ضحك أصحاب الثروة والرفاهية ويجعل منها وسيلة لمعيشته، لكن أهل

الحرية و الفضل يترفعون عن جعل أنفسهم وأعراضهم موضع سخرية وسفاهة السفهاء حتى لو أعطوهم ما في خزائن الملوك في قبال ذلك.

وأما الغدر، فله وجوه كثيرة، اذ يستعمل في المال والجاه والمودة، وجميع وجوه الغدر مذمومة بالنسبة للانسان الذي يحمل أدنى معاني الانسانية، ولهذا لا تجد أحد يقبل أو يرضى به.

وأما الضيم، وهو تحمل ظلم الغير على وجه الانتقام، وقبحه شبيه بقبح الظلم، لذا ينبغي على العاقل تجنب الانتقام وعدم الاقدام عليه، لأنه اذا ما رجع الى عقله واستشار الآخرين لعلم أنه لن يجلب لنفسه بالانتقام سوى ضرر أكبر منه، ويمكن أن تحصل هذه الحالة بعد حصول فضيلة الحلم.

وأما طلب النفائس، التي توجب الجدل والنزاع فهي تظهر في الأخطاء العظيمة التي تظهر عند أصحاب السعة والقدرة والسلطة أكثر مما تظهر عند عامة الناس^١.

وعلى كل حال، ما يمكن أن نستفيدة من آيات القرآن المجيد والروايات والأخبار ووصايا أولياء الحق والحكماء أن الغضب هو مرض مهلك ورذيلة ابليسية وصفة شيطانية، وهذه الرذيلة تظهر عند كل محروم من رحمة الحق وفاقدا للاعتبار بين خلق الله. فما أحسن وأجمل أن يتحلى الانسان بالحلم والأناة ويتجنب الغضب، لأن الحلم يجلب نورانية القلب بينما يؤدي الغضب الى ظلمة الباطن واشاعة الظلم والجور بين الناس.

ان أولياء الله الغارقين في معرفة الله وقلوبهم مستبيرة بنور عشق حضرة الحق، فانهم مصانون من هذه الرذائل و الآثام والصفات الشيطانية. وهم لا يرومون ولا

يطلبون سوى وصال حضرة الحق ولقائه وهم متطهرون من جميع الرذائل والصفات الشيطانية ومترينون بالحسنات الالهية.

حلم الخواجة نصير الدين الطوسي:

المحدث القمي قي كتابه القيم «سفينة البحار»، يقول:

أفضل الحكماء والمتكلمين سلطان العلماء والمحققين، الوزير الأعظم الخواجة نصير الملة والدين قدس الله روحه كان في أخلاقه وصبره وحلمه يقتدي بحضرة باقر العلوم عليه السلام، عندما جاءه نصراني، فقال له:

أنت بقر؟ قال: لا أنا باقر، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال: ذاك حرفتها قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذية؟ قال: إن كنت صدقت غفر الله لها وإن كنت كذبت غفر الله لك، قال فأسلم النصراني.^١

واقترء بهذا الحلم وفي فترة سلطة الخواجة ووزارته، ينقل: إن ورقة حضرت إليه من شخص من جملة ما فيها، يا كلب بن كلب، فكان الجواب: أما قوله يا كذا فليس بصحيح لأن الكلب من ذوات الأربع، وهو نابح طويل الأظفار، وأما أنا فمنتصب القامة، بادي البشرة، عريض الأظفار ناطق ضاحك، فهذه الفصول والخواص غير تلك الفصول والخواص، وأطال في نقض كل ما قاله، هكذا رد عليه بحسن طوية وتأن غير منزعج، ولم يقل في الجواب كلمة قبيحة.

قلت: ليس هذا ببدع ممن قال في حقه العلامة في اجازته الكبيرة، وكان هذا الشيخ أفضل أهل عصره في العلوم العقلية والنقلية، وله مصنفات كثيرة في العلوم الحكمية، والأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، وكان أشرف من شاهدناه في

١- المناقب: ٢٠٧/٤؛ بحار الأنوار: ٢٨٩/٤٦، الباب ٦؛ الحديث ١٢.

الأخلاق، نور الله مضجعه، قرأت عليه إلهيات الشفاء لأبي علي بن سينا، وبعض التذكرة في الهيئة تصنيفه، ثم أدركه الموت المحتوم قدس الله روحه، انتهى^١.

حلم آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني:

كان آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني أحد مراجع التقليد العظام المقيمين في النجف الأشرف، وقد نقل تلامذته ثلاثة قصص عن حلمه وأناته وكرامة نفسه، لا يخلو ذكرها من فائدة للجميع:

١- طلب شيعة الهند آنذاك من سماحته أن يرسل لهم عالماً فقيهاً ورجلاً بصيراً ينظم أمورهم المذهبية والاجتماعية، فاستدعى سماحته أحد فضلاء النجف وكتب له اجازة مفصلة في العلم والفقه ورؤيته في تنظيم الأمور وإدارتها، وطلب منه السعي لإدارة أمور الشيعة في ذلك البلد، وبعد أن قرأ هذا العالم نص الاجازة، نظر الى السيد نظرة جدية وقال: أعلم اني سأسافر الى الهند بطلب منك، لكن ان سألتني أهلها عن مرجع التقليد فسأعرف لهم عالماً غيرك، لأنني لا أعتقد أنك الأعلم!

فأجابه السيد بوقار تام وحلم كبير، اني انما أرسلك لتبليغ الاسلام وتعريف حلال الله وحرامه وليس للتبليغ لاسمي ومرجعيتي.

٢- جاء أحد الطلاب الفقراء الى السيد وطلب منه قليلاً من المساعدة لرفع حاجته، فوعده السيد خيراً، وبين صلاتي المغرب والعشاء في تلك الليلة، هجم أحد المجرمين الجناة بخنجر على ابن السيد حتى قطع رأسه فانتقل الى رحمة ربه، وفي اليوم التالي تعطلت الحياة في مدينة النجف واجتمع الناس للمشاركة

في تشييع الجنازة، وكان السيد يسير خلف جنازة ولده، وينقل هذا الطالب: كنت اشارك في التشييع بحيث نسيت مشكلتي حتى مرت الجنازة عبر طريق ضيق لم يكن يسع لمرور أكثر من شخصين أو ثلاثة بحيث أصبحت فجأة في مواجهة السيد وهو في تلك الحالة من الألم الشديد لكنه رغم ذلك ودون أن يشعر أحد قدم لي تلك المساعدة، فتعجبت لشدة صبره وتحمله وأناته، وكيف تمكن من المحافظة على رباطة جأشه وحلمه رغم هذه المصيبة؟!

٣- جاء شخص جاهل الى سماحة السيد وطلب منه بشدة وبكلام جاف أن يقدم له المساعدة، فقال السيد بوقار تام: الآن لا أملك شيئاً أستطيع مساعدتك به، فغضب هذا الشخص الجاهل وتكلم بكلام مستهجن وترك بيت السيد غاضباً.

وبعد مرور عدة أيام على هذه الحادثة، وفي احدى الليالي الظلماء ذهب السيد الى بيت هذا الرجل ودق الباب، فخرجت زوجته وقالت من خلف الباب: من الطارق؟ فرد السيد: أبو الحسن، ان كان زوجك في البيت قل لي له أنني أريده في حاجة، فلما أخبرت المرأة زوجها خرج الى السيد وقابله بجفاء، فاستأذن السيد منه الدخول، فسمح له على مضض، وبعد لحظات قدم له السيد مساعدة لا بأس بها واعتذر له لعدم تمكنه من مساعدته في المرة السابقة، فاسيقظ هذا الرجل من غفلته، وأخرج خنجراً وقال للسيد: اما أن تضع نعلك على وجهي أو أغمد هذا الخنجر في صدري، ورغم اصرار السيد وامتناعه لكن الرجل لم يتراجع عن طلبه، وحفاظاً على حياته وضع السيد قدمه على وجه الرجل!!

نعم، اولياء الله لا يعيشون في هذه الدنيا إلا بذكر الله والتمسك بتعاليمه والعمل

بأوامره، ولا يوجد سبب يحول بينهم وبين محبوبهم.

حلم العلامة كاشف الغطاء:

العلامة كاشف الغطاء من أعظم فقهاء الشيعة ومن علماء الاسلام المتميزين، وكان يعد فقيها متبحرا وعالماً كبيراً قل نظيره، وقد تمكن خلال فترة حياته العلمية من تربية الكثير من الفقهاء والعلماء العظام.

وفي يوم عيد الفطر أقام صلاة العيد مع آلاف من المصلين في الصحن المطهر لمولى الموحدين الامام علي عليه السلام، وفي هذه الأثناء تقدم اليه أحد الفقراء المستضعفين وطلب منه المساعدة، قائلاً: أنا محتاج جداً فاعطني من زكاة الفطرة التي جلبها الناس لك.

فاجابه العلامة: لقد أوصلت مبلغ زكاة الفطرة الي مستحقيها ولا أملك شيئاً منها الآن، فاستشاط هذا المحتاج غضباً حتى بصق بوجه هذا المرجع الكبير، وقال: اذا كنت عاجزا عن مساعدة من هم مثلي، فلماذا تصديت لهذا المقام!؟

مسح العلامة كاشف الغطاء البصاق من على وجهه، ثم نهض من مكانه وبسط عباءته متجها نحو المصلين وقال: من يحبني فليضع ما يستطيعه من مال في هذه العباءة، وتحرك بنفسه بين المصلين حتى جمع لهذا الفقير مبلغاً لا بأس به من المال!! نعم، تستحق مثل هذه الموارد أن تطلق عليها اسم المعاجز الأخلاقية بدلا من الحلم، ومثل هذه الأخلاق لا تصدر إلا عن الأولياء والأنبياء.

حلم الملا مهدي النراقي:

بعد أن انتهى الملا مهدي النراقي من كتابه القيم «جامع السعادات» في الأخلاق وانتشر هذا الكتاب في البلاد الاسلامية، وصلت نسخة منه الى العالم والفقير الكبير جامع الفضائل والكمال السيد مهدي بحر العلوم في النجف الأشرف،

حيث كان محور العلم والتقوى والزهد والعبادة والكياسة والمرجعية.
وقد أعجب السيد كثيرا بهذا الكتاب وتمنى أن يحظى يوما ما بلقاء مؤلف
هذا الكتاب القيم.

وفي المقابل كان الملا مهدي النراقي يتحرق شوقاً لزيارة الأئمة الطاهرين عليهم السلام
وسأل الله تعالى ان يوفقه لزيارة العتبات المقدسة في العراق حتى نال أخيراً ما
أراد وتشرف بزيارتها.

ولما وصل هذا العالم الكبير الى مدينة النجف الأشرف، وكما كان متعارفاً
قام بزيارته جميع المراجع والعلماء والفضلاء والطلاب وتوجه هو أيضاً لزيارة
الجميع، وكان السيد مهدي بحر العلوم هو الوحيد الذي لم يقم بزيارة هذا
العلامة الفاضل!!

فتعجب الجميع من هذا الأمر وكانوا يتساءلون عن سبب عدم زيارة السيد
مهدي بحر العلوم للعلامة النراقي؟!
فسأل العلامة عن حال السيد وأحواله وطلب عنوان بيته، ثم قال: ينبغي علينا
زيارة هذا العالم والفقير الكبير.

فتعجب الجميع من رغبة الملا النراقي لزيارة السيد بحر العلوم، ولما وصل
العلامة الى بيت السيد استقبله بحرارة جميع الحضور من العلماء والفضلاء، لكن
السيد بحر العلوم لم يكثر لقدمه ولم يقم من مكانه، ولم يراع معه أصول
الاحترام والتقدير طيلة المجلس!!

واحتراماً للمجلس لم يبدِ الملا النراقي أي امتعاض أو ضجر من هذا الموقف،
وبعد فترة قام مودعاً السيد وخرج من بيته. وفي اليوم التالي انتشرت في النجف

حادثة تعامل السيد بحر العلوم مع الملا النراقي، مما أثار تعجب الكثير من العلماء والفضلاء وكان هذا الأمر ثقيلًا على الجميع؛ لأنه لم يسبق حدوثه بينهم، لكن الوحيد الذي لم يتأثر بهذا الأمر هو الملا النراقي.

وبعد مضي عدة أيام، وحيث لم يرد السيد بحر العلوم الزيارة للملا النراقي، قام الملا مرة أخرى بزيارة السيد بحر العلوم في بيته لكنه أيضاً لم يستقبله بشكل جيد، بل لعل استقباله هذه المرة كان أقل من سابقه، وهكذا انتهى المجلس الثاني دون أن يتأثر الملا النراقي بهذا التعامل، ولم يرد السيد الزيارة للملا.

ولما شارف سفر الملا النراقي على الانتهاء، كانت مدينة النجف تعيش في حالة من التعجب والحيرة لموقف السيد بحر العلوم من الملا النراقي، لكن الملا كرر زيارته للسيد للمرة الثالثة وما أن دخل البيت حتى رأى العلماء والفضلاء كيف نهض السيد بحر العلوم مستقبلاً الملا النراقي بحفاوة كبيرة وعانقه بشدة متخضعا له كحالة المولى والعبد، وأبدى له الكثير من الاحترام والتقدير حتى أدخله المنزل، وجلس السيد أمامه كالتلميذ مقابل الاستاذ مراعيًا أصول و آداب الضيافة والتقدير.

وبعد انتهاء المجلس، استفسر العلماء والفضلاء من السيد عن علة تعامله مع الملا في المرتين السابقتين واستقبله له في المرة الأخيرة، فاجاب السيد بحر العلوم: عندما قرأت كتاب «جامع السعادات» اعجبت به كثيرا ورأيت فريدا من نوعه، فتمنيت أن أحظى بلقاء مؤلفه واختبره لأرى هل يمتلك من الفضائل الأخلاقية مثل ما جاء في كتابه، وقد اختبرته في المرتين السابقتين فرأيت ما فيه من حسن ايمان وأخلاق وحلم وتواضع وصبر وحسن تدبير وتفكير؛ لذلك أبديت له في اللقاء الأخير ما يستحقه من احترام وأدب وخشوع وخضوع لأنه

عَلَيْهِ السَّلَامُ كان رمزا للدين والأخلاق ومثالا للعمل الصالح.

«وَالْحِلْمُ يَدُورُ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجِهٍ: أَنْ يَكُونَ عَزِيْزاً فَيَذِلُّ، أَوْ يَكُونَ صَادِقاً فَيُكْذِبُ، أَوْ يَدْعُوَ إِلَى الْحَقِّ فَيَسْتَخَفَّ بِهِ، أَوْ أَنْ يُؤْذِيَ بِلَا جُرْمٍ، أَوْ أَنْ يُطَالِبَ بِالْحَقِّ فَيُخَالِفُوهُ فِيهِ، فَإِنْ أَتَيْتَ كُلَّ مِنْهَا حَقَّهُ فَقَدْ أَصَبْتَ. وَقَابِلِ السَّفِيهَ بِالْأَعْرَاضِ عَنْهُ وَتَرَكِ الْجَوَابَ يَكُنِ النَّاسُ أَنْصَارَكَ لِأَنَّهُ مَنْ جَاوَبَ السَّفِيهَ فَكَأَنَّهُ قَدْ وَضَعَ الْحَطَبَ عَلَى النَّارِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْأَرْضِ مَنَافِعُهُمْ مِنْهَا وَأَذَاهُمْ عَلَيْهَا».

أوجه الحلم:

في هذا المقطع من رواية باب الحلم يقول الامام الصادق عليه السلام:
يدور الحلم على خمسة أوجه: أن يكون عزيزاً فيذل، أو يكون صادقاً فيتهم بالكذب، أو يدعو الى الحق فيها ويستخف به، أو يعذب ويؤذى من قبل الناس بلا جرم ارتكبه، أو أن يُطالب بالحق فيخالفه فيه، وفي هذه الموارد الخمسة التي تدفع الانسان نحو الغضب وشدته، يكون الحلم والأناة فيها أمراً ممدوحاً ومستحسناً. وييدي الشخص الحليم فيها قدراً كبيراً من التحمل والأناة والصبر ولا يظهر عليه شيء من الامتعاض والضجر، وفيها يظهر حلمه وصبره ومدى تحمله. والأولى بالشخص الحليم أن يقابل السفيه بالاعراض عنه وترك الجواب أو

الرد عليه، لأن تجنب الجاهل والاعراض يقرب الناس منك ويناصرك ويؤيدوك عليه، أما الرد على السفیه وجداله، فهو شبيه بوضع الحطب على النار حيث يزيد من اشتعالها وشدة لهيبها.

وقد قال رسول الله ﷺ:

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْأَرْضِ مَنَافِعُهُمْ مِنْهَا وَأَذَاهُمْ عَلَيْهَا».

تقابل الحلم والغضب:

جاء في «شرح مصطفوى»:

ان صفة الحلم تقابل صفة الغضب، حيث يؤدي الصبر الى ظهور التواضع والخضوع، ولا يحصل الخضوع والتواضع ما لم تتحقق حقيقة التوحيد ومعرفة عظمة الله تعالى وجلاله وقدرته، واذا ما أدرك الانسان أن الله القادر هو المؤثر والمحيط والحاكم المطلق والسلطان الحقيقي على جميع الموجودات، فانه سيبعد حتما عن العجب والأنانية والتكبر والتفاخر وسيعيش دائما في حالة من العبودية والخضوع والخشوع والطاعة والذلة والتسليم والتفويض والرضا والصبر، وقد ذكرت الروايات الشريفة العلم التوأم مع الحلم؛ أي العلم التوأم مع الخضوع والخشوع والبعيد عن العجب والأنانية والتفاخر.

«وَمَنْ لَا يَصْبِرْ عَلَى جَفَاءِ الْخَلْقِ لَا يَصِلُ إِلَى رِضَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ رِضَى اللَّهِ تَعَالَى مَشُوبٌ بِجَفَاءِ الْخَلْقِ. وَحَكِي أَنْ رَجُلًا قَالَ لِلأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: أَيَاكَ أَعْنِي، قَالَ: أَنَا عَنْكَ أَحْلَمُ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بُعِثْتُ لِلْجِلْمِ مَرْكَزًا وَلِلْعِلْمِ مَعْدِنًا وَلِلصَّبْرِ مَسْكِنًا بُعِثْتُ لِاتِّمِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَحَقِيقَةُ الْجِلْمِ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَخَالَفَكَ وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْهُ كَمَا وَرَدَ فِي الدُّعَاءِ: إِلَهِي أَنْتَ أَوْسَعُ فَضْلًا وَأَوْسَعُ حِلْمًا مِنْ أَنْ تُوَاخِذَنِي بِعَمَلِي وَتَسْتَذِلَّنِي بِخَطِيئَتِي».

وفي نهاية هذه الرواية يقول الصادق عليه السلام:

ان من لا يصبر على جفاء الخلق ولا يتحمل اذاهم لا يمكنه ان يصل الى رضا الله ومحبه؛ لأن رضا الله مشوب بجفاء الخلق.

وقد أن رجلا قال للأحنف بن قيس: اياك أعني بكلامي، لكن الأحنف رد عليه: وانا عنك أحلم.

وقد قال رسول الله ﷺ:

«بُعِثْتُ لِلْجِلْمِ مَرْكَزًا وَلِلْعِلْمِ مَعْدِنًا وَلِلصَّبْرِ مَسْكِنًا بُعِثْتُ لِاتِّمِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ».

وحقيقة الحلم أن تتحمل أذى من أساء اليك وخالفك وتعفو عنه وأنت القادر

على الانتقام منه، كما ورد في الدعاء:

«الهي أنتَ أَوْسَعُ فَضْلاً وَأَوْسَعُ حِلْماً مِنْ أَنْ تُؤَاخِذَنِي بِعَمَلِي

وَتَسْتَدِلَّنِي بِخَطِيئَتِي».

الباب

(٥٨)

في التواضع

قال الصادق عليه السلام:

التَّوَاضِعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ نَفِيسٍ وَمَرْتَبَةٌ رَفِيقَةٌ وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَاضِعِ لُغَةٌ
يَفْهَمُهَا الْخَلْقُ لَنَطَقَ عَنْ حَقَائِقِ مَا فِي مَخْفِيَاتِ الْعَوَاقِبِ.

والتَّوَاضِعُ مَا يَكُونُ فِي اللَّهِ وَاللَّهُ، وَمَا سِوَاهُ فَكَبِيرٌ، وَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ شَرَفَهُ
اللَّهُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْأَهْلُ التَّوَاضِعِ سِيْمَاءٌ يَعْرِفُهَا أَهْلُ السَّمَاءِ مِنَ
الْمَلَائِكَةِ، وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنَ الْعَارِفِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ
رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيْمَاهُمْ﴾.

قال رسول الله ﷺ: إِنْ اللَّهُ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ
عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ، وَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ عَلَى الصَّبِيَّانِ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ لِكَمَالِ تَوَاضِعِهِ، وَأَصْلُ
التَّوَاضِعِ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَهَيْبَتِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَلَيْسَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَةٌ
يَقْبَلُهَا وَيَرْضَاهَا إِلَّا وَبَابَهَا التَّوَاضِعُ، وَلَا يَعْرِفُ مَا فِي حَقِيقَةِ التَّوَاضِعِ إِلَّا
الْمُقَرَّبُونَ مِنْ عِبَادِهِ، الِّمُتَّصِلُونَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ
الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا﴾.

وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَعَزَّ خَلْقِهِ وَسَيِّدَ بَرِيَّتِهِ مُحَمَّدًا ﷺ بِالتَّوَاضِعِ،
فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
والتَّوَاضِعُ مَزْرَعَةُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَشْيَةِ وَالْحَيَاءِ؛ وَالَّذِينَ لَا يَنْبَتْنَ إِلَّا
مِنْهَا وَفِيهَا، وَلَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ النَّامُ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا بِالتَّوَاضِعِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

«التَّوَّاضِعُ أَصْلُ كُلِّ شَرَفٍ نَفِيسٍ وَمَرْتَبَةٌ رَفِيقَةٌ وَلَوْ كَانَ لِلتَّوَّاضِعِ لُغَةٌ
يَفْهَمُهَا الْخَلْقُ لَنَطَقَ عَنْ حَقَائِقِهِ مَا فِي مَخْفِيَّاتِ الْعَوَاقِبِ».

حقيقة التواضع:

في هذا الفصل يتحدث الامام الصادق عليه السلام عن مسألة مهمة جداً وصفة
ممدوحة الا وهي صفة التواضع التي تمثل أصل كل شرف نفيس ومرتبة رفيعة
عالية عند حضرة الحق تعالى، وتجلب هذه الصفة الممدوحة لصاحبها سعادة
الدنيا والآخرة ولو كانت تعبر عن نفسها لنطقت باستمرار عن فوائدها العظيمة
ومنافعها الكثيرة! ولقالت يا أيها الناس اذا ما ظهرت في وجود أي انسان لجلبت
له السعادة ورضا الحق وتكامل النفس وتعاليتها في جميع الأمور، وبفضلي
يحصل الناس على حسن العاقبة في الدنيا والآخرة!

ان التواضع حالة انسانية وروحية ونفسية سامية تظهر ببركة معرفة الانسان
بالحق تعالى وبنفسه وبالخلق وبالدينا.

نعم، عندما يدرك الانسان حقيقة أن الحق تعالى خالق كل شيء ورب العالم
والرازق لجميع الموجودات والحافظ لجميع الوجود والبصير الخبير بكافة الأمور
والسميع بكافة الأصوات والقادر على كل شيء، فبلا شك سيتواضع ويخضع في
قبال عظمة الله وهيبته وجلاله وكماله، ويتبع عن هذا التواضع اطاعته لأوامر الله

تعالى وتعاليمه، وتحركه ضمن دائرة العبودية وما تجلبه من منافع وبركات للإنسان، فينجذب نحو الكمال المطلق لحضرة الحق والفناء في ذاته ووجوده المقدس فيصبح عبداً مطيعاً لله تعالى في جميع الأمور، وهذا هو المعنى الحقيقي لصفة التواضع.

فلا يحصل التواضع لمجرد القول أو الادعاء بالاعتقاد بالله وحبه، بل التواضع الحقيقي في قبال الحق يمثل المعرفة الحقيقية به واتباع جميع أوامره وتعاليمه. وهذا يمثل أيضاً معنى العبادة والعبودية، فالعبد يعني معرفة المولى واطاعة أوامر سيده وتعاليم ربه.

وأولئك الذين يدعون محبة الله والاعتقاد به، لكنهم لا يعملون بالقرآن ولا يمثلون لأوامر حضرة الحق التي جاء بها الأنبياء والأئمة والأولياء الصالحين، فهم من المتكبرين والله لا يحب المتكبرين.

إن التواضع يجلب للإنسان سعادة الدنيا والآخرة ويبعده عن عذاب النار ويقربه من ثواب الجنة ودار القرار.

والتواضع يدفع الإنسان للتحلي بالحسنات والابتعاد عن السيئات والرزائل والآثام.

والتواضع، هو الشمس التي تشرق في روح الإنسان، والحياة التي تملأ نفسه، وهو مصدر الخلود، والباعث لتكامل الإنسان وترقيه مراتب الكمال في طريق القرب من الله الحق المنان.

والتواضع، هو مقدمة المعرفة، وعلاج الكسل، والابتعاد عن الشقاء، والجالب للسعادة والذي يزين الإنسان بالكرامة.

التكبر في قبال هوى النفس:

يعد التكبر في قبال حضرة الحق من أعظم الذنوب وأساء المفسد وعلّة خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وعلي كل حال، اذا ما تمكنت بفضل الآيات الالهية سواء الآيات الآفاقية أو الآيات الأنفسية أو الآيات القرآنية، أن تعرف الله تعالى وتعرف ربك وخالقك، وتدرك منزلتك ومكانتك والعالم الذي تعيش فيه، وتصل الى هذه النتيجة أن المعرفة هي السبيل الوحيد للوصول الى السعادة ومراتب الكمال العالية، ستصل الى مرتبة عالية من التواضع فتخضع لأوامر الله وتعاليمه، وستتمكن من السيطرة تدريجيا على خطر هوى النفس وشهواتها الذي يمثل أشد أعداء النفس في مملكة وجود الانسان، فتنتهي بذلك حكومتها الباطلة لتسلمها الى الحق مما يجعل وجودك في هذه المرحلة مرآة لتجلي الأسماء والصفات فتصل الى المعنى الحقيقي للعبد والعبودية، وتحرر من كافة قيود الأسر، وتنال رضا الحق تعالى، وتصبح نفسك وحواسك مثالا للعبودية ومظهرا لعبادة الحق تعالى، فيتحقق في وجودك المعنى الحقيقي لصفة التواضع.

واذا ما وفقنا في كبح جماح هوى النفس وتكبرها، وتمكنا بفضل الامثال لأوامر الحق من السيطرة على غرائزها وشهواتها وميولها وخيالاتها ورغباتها، لتمكنا من السير في طريق التواضع، حيث تعني حقيقة التواضع التكبر في قبال هوى النفس والشياطين، كما ان التكبر في قبال الحق ناتج عن تواضع النفس وخضوعها في قبال الهوى والشياطين، وهذا التواضع في قبال الهوى والتكبر في قبال الحق لا ينتهي إلا بضرر الانسان.

يقول شارح كتاب «مثنوى»:

بعد أن يبين جلال الدين أن أغلب الصراعات والنزاعات في هذه الدنيا تنشأ من العجب المفرط وعبادة النفس، بحيث اذا ما تمكن الانسان من السيطرة على نفسه فانه لن يعادي أحدا ولن يدخل في نزاع أو خصومة مع أي أحد، لكنه مع ذلك ينبه الى هذا الاعتراض: أن هذا الأصل اذا ما كان صحيحاً فلماذا كان للأنبياء أعداء كثر رغم طهارة نفوسهم ونقاها وسيطرتهم التامة على أهوائها ورغباتها؟.

ويجيب جلال الدين على هذا الاعتراض جوابا ممتازا جدا، فيقول:

لا تظنوا أن خصومة البعض مع الأنبياء كانت بمثابة عداء معهم، وبأنها مثلا كانت ناشئة عن كون الأنبياء يمثلون موانع أساسية لحياة هؤلاء الأفراد، أو لأنهم كانوا السبب في فقدانهم الملذات التي كانوا يتمتعون بها، أو لأنهم كانوا السبب في اراقة الدماء البريئة، أو بسبب شكلهم وهيتهم القبيحة، لكن جميع هذه الأسباب لم تكن العلة الحقيقية لعداء البعض للأنبياء؛ بل ينبغي أن نبحث عن السبب الحقيقي في ماهية الرسالة التي كان يطرحها هؤلاء الأنبياء؟

فقد كان الأنبياء يقولون: أن وجود الانسان لا يتلخص في الأكل والشرب والنوم والغضب والشهوة.

وكانوا يقولون: ان غاية وجود الانسان لا تنتهي في التنفس والرغبات الحيوانية.

وكانوا يقولون: ان هذا الموجود العظيم يمتلك جوهرأ روحياً يمكنه أن يسمو به لما هنر فوق الطبيعة وجميع ظواهرها المادية، ويوصله الى مقام عظيم يجعله جزءا من الأبدية، ويجعله عند الله أسمى من جميع الماديات.

ولكي يتحقق مثل هذا الوجود الالهي ينبغي على الانسان كبح جماح النفس والسيطرة على شهواتها وغرائزها، وينبغي تطبيق العدالة في تنظيم العلاقة بين الأفراد مع بعضهم الآخر، كما ينبغي اقامة علاقة العبودية بين الانسان وربّه. ولما كانت هذه التعاليم والوصايا تخالف هوى النفس وغرائزها الحيوانية، وتعارض الحياة الواهية عديمة الفائدة، لذا أقدم الناس على معاداة الأنبياء مما يعني أن هذا العداء في حقيقته لم يكن مع شخصية النبي في حد ذاتها، بل لم يكن هؤلاء الناس مستعدين للتخلي عن شهواتهم وملذاتهم الزائلة؛ أي ان هؤلاء الجهلة الغافلين لم يرغبوا في التخلي عما في أيديهم من أجل شئ يوعدون به، فكانوا في صراع مع تكاملهم والسير نحو أبتهم وسعادتهم المطلقة. ونجد شبيها لهذا الرأي في كلام أمير المؤمنين عليه السلام مع علاء الدين بن زياد الحارثي، حيث قال له ذات يوم لما رأى سعة داره:

«مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هَذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا، أَنْتَ إِلَيْهَا فِي
 الْأُخْرَةِ كُنْتَ أَحْوَجُ؟ وَبَلَىٰ إِنَّ شَيْئًا بَلَغْتَ بِهَا الْأُخْرَةَ، تَقْرِي
 فِيهَا الضَّيْفَ، وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا،
 فَإِذَا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْأُخْرَةَ.»

فقال له العلاء: يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد.

قال: وما له؟

قال: لبس العباءة وتخلّى من الدنيا.

قال: عليّ به.

فلما جاء قال:

«يَا عُدَىٰ نَفْسِهِ لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ! أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ
وَوَلَدَكَ! أَتَرَىٰ اللَّهُ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ، وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا!
أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَيَّ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ!».

حيث نجد في هذا الكلام أن أمير المؤمنين عليه السلام، قد اعتبر تخلف عاصم عن
أوامر الله وتعاليمه معادة للنفس وسببا في ايدائها، وتوجد آيات وروايات كثيرة
تحمل هذا المضمون.

ويتضح من هذا الأصل أن مسألة التوجه لله والعمل بأوامره تعود بالنفع
والفائدة للانسان نفسه، في حين يوجب التخلف عن أوامره أذى هذا الانسان
وضرره.

فاذا ما خالف الانسان أحكامه العقلية والوجدانية نتيجة التساهل واللامبالاة أو
لاشباع أهوائه ورغباته النفسية، فان هذه المخالفة لا تؤثر في الآخرين فلا
تضرهم ولا تنفعهم؛ بل يعود ضررها على الانسان المخالف للقانون.

عبودية النفس:

اذا ما تجلت حالة التواضع في النفس، فانها ستؤدي بلا شك الى زيادة حالة
العشق للحق تعالى، وتجعل من هذه النفس خاضعة تماما بالعبودية وفتخر بهذا
الخضوع والعبودية، وتتحرك في أفعالها نحو كسب رضا الحق تعالى بحيث
لا تعرف غير الحق ولا ترى سواه ولا ترغب في سواه ولا تمتثل لأوامر غيره.

ان التركيب الطبيعي لأعضاء جسم الانسان جعلت من حواسنا الظاهرية
الوسيلة الوحيدة للتعرف على العالم المحيط بنا، لكن على نحو محدود وبسيط.

كما ان هذا التركيب جعل من لذائذنا وملذاتنا مقتصرة أيضا على هذا المقدار المحدود الذي تسمح به غرائزنا.

اذن، نستنتج من هذا الأصل البديهي أننا تابعون لحواسنا وغرائزنا؛ أي أننا سوف نتبع ونستفيد من كل ما تسمح به هذه الحواس والغرائز لنا؛ لكن اذا ما تعالت شخصيتنا الانسانية وتسامت صفاتنا الروحية والنفسية الى الدرجة المطلوبة فانها ستجعل من هذا الحواس تابعة لها وتسير وفق مرادها.

فماذا يعني أن تصبح الحواس تابعة لنا؟

من الممكن الى حد ما أن لا يتقبل الأفراد البسطاء هذا الموضوع، لكننا يمكن أن نستفيد من أوضح الظواهر لاثبات هذه الحقيقة.

ان الاحتياجات التي نراها في الأطفال والتي يستفيدون منها للارتباط بالعالم الخارجي ومظاهر الحياة المحيطة بهم، لا يمكن أن نشاهدها عند الأفراد البالغين؛ لأن العالم الخارجي يتظاهر للطفل تدريجيا حتى تتكامل فيه شخصيته وذاكرته وتفكيره فيبدأ بالتعامل المنطقي مع الحوادث الواقعة وتحليلها لاتخاذ النتائج المنطقية المناسبة لها.

وبعد أن يتكامل عقل الانسان ويبلغ قدرته الطبيعية المطلوبة في التجريد والانتزاع الكلي وغير ذلك، من البديهي أن يستغني عن رؤية جميع الحوادث والمواضيع التي يريد الحكم حولها، وهذا التكامل في عقل الانسان يتطور تدريجيا حتى يصل الى درجة كأنك ترى الانسان والعالم فيه، لكن اللانهاية في فعالية الروح وحركتها تجعله لا يقتنع بالعثور على الانسان والعالم في ذاته؛ لعدم محدودية العالم وعدم تعين الانسان الذي يتواجد فيه، مما يدفعه للسعي

والتحرك نحو اللانهاية.

وهنا يصل الى حالة الذوبان في الحق تعالى بحيث لا يبالي ولا يهتم بالحوادث الواقعة حتى يشعر أنه «ليس في الدار غيره ديار».

وقد لا حظنا جميعاً، اننا في حالة تمرکز قوى العقل نغفل عن الحوادث التي تجري حولنا، بحيث لا نشعر أصلاً بوقوعها. وقد تصل حالة التمرکز هذه أحيانا الى درجة من الشدة بحيث لا يشعر الانسان حتى بالحوادث التي تؤثر في بدنه.

وعندما نتذوق أفضل انواع اللذة، تجلب انتباهنا نقطة معينة بحيث تصل شدة هذا الجلب الى درجة تزول فيها هذه اللذة تدريجياً عن ادراكنا، بل قد يملأ الألم أحيانا كل وجودنا، لكن حادثة معينة قد تشغل انتباهنا أحيانا الى درجة تجعلنا ننسى تماماً جميع الألم.

وفي حالات العشق، عندما يمتلأ باطن العاشق بحب المعشوق وينشغل به، قد تصل هذه المشغولية الى درجة لا يمكن أن تبعده عنها أشد الحوادث تأثيراً عليه حتى لو كانت تشغل كل وجوده.

وعلى ضوء ما تقدم، يمكن أن نجسم حالة التسليم الى الله تعالى، فعندما يصل العاشق الى مرحلة العشق الحقيقي يفقد حينها هذا الانسان العاشق الاحساس بموجوديته، حتى يصبح كما يقول العارف الرومي كجبل تتداخل فيه آلاف الأصوات ثم يعكسها لكنه لا يشعر بأدنى شئ من هذه الأحداث أو ردود الأفعال.

لقد تعرفنا في السطور السابقة على هذه الحقائق القرآنية والعينية العظيمة بان الله تعالى هو الخالق، الربّ، الرزاق، الحافظ، القادر، البصير، الخبير، والسميع

وذااته المقدسة مطلعة على جميع أمور الوجود في الظاهر والباطن والغيب والشهادة، ولا يخرج أي شيء عن دائرة حكمته وعنايته، كما ان الوقوف على هذا الحقائق ومعرفتها عن طريق القرآن والأنبياء والأولياء والأئمة عليهم السلام ستخلق في النفس حالة التواضع التي تعني التسليم للحق تعالى واطاعة قوانينه وأوامره ونواهيه، وفي الحقيقة يكمن أصل التواضع الحالي والعملي أو القلبي والعيني في معرفة وجوده المقدس وذاته غير المتناهية، لذا نجد من اللازم هنا أن نذكر الآيات القرآنية التي بحثت هذا الموضوع.

التواضع أمام الله تعالى:

يعتبر القرآن الكريم مصدرا لجميع الحقائق والمعارف الالهية وكتاب الحسنات والمبين لجميع الوقائع والأحداث، لذا عدم الاهتمام بكتاب الله يعد في الحقيقة بمثابة عدم الاهتمام بالله تعالى وغفلة عن عوامل نمو الانسان وتكامله. ان القرآن المجيد يبين الوقائع والحقائق التي تدفع الانسان نحو ارتقاء أفضل الحالات الملكوتية في نفسه وقلبه، مما يجعله يتحلى بجميع الأعمال الصالحة والصفات الحميدة والفضائل الأخلاقية.

وقد اهتم قسم من القرآن الكريم ببيان الصفات والأسماء الالهية التي تمثل الوسيلة المثلى لمعرفة حضرة الحق، فاذا ما وصلنا الى المعرفة الحقيقية بآيات القرآن ستنمو في نفوسنا حالة من التواضع القلبي الذي يمثل حالة التسليم أمام الله تعالى، وينتج عن هذا التواضع القلبي تواضع البدن والجسد الذي يمثل حالة العبودية للحق تعالى، وبعد أن تصل النفس والقلب الى حالة التواضع ستبعتها في ذلك كافة أعضاء البدن الأخرى كالعين والأذن واللسان واليد والقدم والبطن

والشهوة وتصبح جميعها مطيعة لأوامر الحق وملتزمة بكافة أحكامه العبادية والفقهية والأخلاقية والاجتماعية والأخروية والمعنوية.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^١.

أما أولئك الذين أنكروا وجود حضرة الحق وأغمضوا عيونهم عن رؤية هذه الحقيقة الواضحة، وملأوا قلوبهم وعقولهم لآلاف السنين بالأباطيل والخرافات، لماذا لم يتمكنوا حتى الآن من إقامة دليل وبرهان مقنع على ادعائهم، وإذا ما كانوا قد أقاموا مثل هذا الدليل فبأي كتاب أو مجلة علمية ذكروه؟ لقد أطلعت بنفسني على الكتب المهمة لهؤلاء المنكرين سواء تلك التي دونوها في داخل البلاد الإسلامية أو خارجها، فوجدت أن جميع الادعاءات التي ذكروها حول مبدأ العالم لا تعدوا أكثر من ادعاءات محضة ولم يتمكنوا حتى الآن من اثباتها ولو بدليل واحد فقط، ولا تجد في كلمات الكثير منهم سوى الجدال واللجاج والعيان الفارغ، ولم يتحدثوا بكلام يقبله العقل والوجدان ويطمأن به القلب، فبدى لهم العقل علة والمرض سلامة والظلمة نوراً والموت حياة فعرضوا أنفسهم وأتباعهم للضرر الشديد والخسارة الجسيمة، وكانوا يقولون: ان مبدأ المادة أزلي أو الطبيعة أو الصدفة، لكنهم لم يقيموا حتى الآن أي حكمة وبرهان واستدلال منطقي يثبت هذا الادعاء ولن يتمكنوا من ذلك، لذا ينبغي أن نقول لهم: إذا كنتم تؤمنون بوجود المبدأ فلماذا لاتذكروا في كتاباتكم اسمه الحقيقي وهو الله، وماذا سينفعكم القول بأنه مادة أزلية أو الطبيعة أو الصدفة وما هي المشكلة التي

يمكن أن يحلها لكم؟

ان هروبكم من حضرة الحق، لا علة له سوى هوى النفس والميول والغرائز والشهوات المطلقة بلا قيود، فانتم انما ترغبون العيش بحرية تامة دون حدود أو قيود وتخشون من تقييد هذه الحرية الشيطانية أو تُمنعوا من الزنا والربا والظلم والتجاوز على حقوق الآخرين والتسلط عليهم والتوقف تماما عن جميع شهواتكم الجنسية المحرمة، وأن ينعم الناس بالراحة والهدوء من شروركم؛ لهذا تحاولون دائما الهروب من هذا الجو الطاهر النقي، وللتغطية على هذا الهروب تصرون على انكار الحق وترتدون لباس الكفر والشرك، وبكل وقاحة تعتبرون هذا السلوك المخجل حرية من الخرافات القديمة وتطلقون على ما أنتجه عقلكم المريض اصطلاح المادية أو الشيوعية أو تعبروا عنه بكلمات فارغة المحتوى ثم تروجوا له بين جميع شعوب الأرض بمساعدة اليهودية الصهيونية والمسيحية الغربية حتى تدفعوا هذه الشعوب نحو الفساد والأوهام ومختلف الرذائل والويلات، لماذا؟ لأنكم اتبعتم شهواتكم فلم ترغبوا بالتواضع أمام الحق تعالى الذي يعد أوضح الحقائق، فانكرتم وجوده ولم تعترفوا به رغم أنكم بعلمكم ومعرفتكم تدركون تماما وجود هذه الحقيقة الساطعة.

وبعد أن أدركتم حقيقة أن وجوده المقدس هو خالق السماوات والأرض ومصدر النور والظلمة، وهو خالق عالم الوجود المتميز بنظمه وعدله وعلمه وحكمته وكل ذرة من ذراته تحير العقول وتأسر الأبواب بنظمها ودقتها وموقعها، أفلا يقتضي هذا الأمر التواضع والخضوع والخشوع أمام عظمته وكماله، وتمريغ الجباه بالتراب اذلالا وعبودية لحضرتة والاعتراف بالتقصير والذلة والحقارة في

قبال كبريائه، والدخول الى جنان السعادة وخير الدنيا والآخرة من باب التواضع والخشوع لحضرتة!؟

الهي! اسألك أن تأخذ بأيدينا وتنقذنا من وادي الجهل والغرور والعجب وتحررنا من قيود أسر أهواء النفس وتفتح لنا أبواب سعادة الدارين.

الربوبية في القرآن:

كثيرا ما نجد في آيات القرآن الكريم والروايات والأدعية الاسلامية التعبير عن حضرة الحق تعالى باسم الربّ أكثر من بقية أسمائه. وتعني كلمة الربّ المالك، وفي حق الله جل وعلا تأتي بمفهوم المالك العادل والعالم والحكيم والمتصرف في جميع الموجودات حسب ما تقتضيه مصلحتها الحقيقية، بحيث يؤدي هذا التصرف الى ظهور قابليات هذه الموجودات وقدراتها ويكون علة لظهور أنواع الكمال في جميع أجزاء الوجود. ان مقام الربوبية لحضرة الحق تقتضي أن يرشد الموجود الذي يخلقه نحو طريق تربيته وتكامله حتى يصل الى مكانته المطلوبة في عالم الوجود، ليتمكن من اظهار المنفعة التي ينبغي عليه اظهاره.

﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^١.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾^٢.

﴿يَا مُوسَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾^٣.

١- طه ٢٠: ٥٠.

٢- النمل ٢٧: ٢٦.

٣- القصص ٢٨: ٣٠.

﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾^١

﴿قُلْ أَغْيِرَ اللَّهُ أُمَّي رِبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^٢

نعم، ان وجوده المقدس مالك جميع الوجود ومربي جميع الموجودات، وتحضى جميع الموجودات الغيبية والشهودية باستمرار بعنايته ولطفه وكرمه، ولا شى يمكنه أن يستغني عن ربوبيته. فهو وكما يقول القرآن:

«رب العالمين، رب السماوات و الأرض، رب العرش العظيم، رب البلد الحرام، رب الآباء الأولين، رب المشرق و المغرب و رب كل شىء».

فكروا بهذه الحقائق وأمعنوا النظر فيها بدقة ثم أجيئوا: هل يجوز التكبر على الوجود الحق المدبر لأمر جميع الموجودات والحاكم المطلق والمربي والمالك لجميع الخلق؟

أو ليس التواضع والخضوع أمام حضرة الحق واطاعة أوامره وتعاليمه يعد الوسيلة المثلى لكسب الكمال والتعالى في مراتب القرب الالهى؟ ان أولئك الغافلين عن الحقيقة هم مساكين وقعوا في ظلمات الجهل والغفلة وغطوا في نوم عميق ليقضوا بذلك على جميع أمالهم في العودة الى الحق وكسب رضاه!.

١- المؤمنون ٢٣: ٢٩.

٢- الأنعام ٦: ١٦٤.

الربوبية في دعاء عرفة:

هل قرأتهم ولاحظتم الجمل العرفانية والنورانية التي تضمنها دعاء حضرة سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام والتي كان يقرأها ويتروم بها في صحراء عرفات، لتنهيم الدموع من عينيه وتسيل على خديه الشريفين.

«رَبِّ بِمَا بَرَّاتَنِي فَعَدَلْتَ فِطْرَتِي، رَبِّ بِمَا أَنشَأْتَنِي فَأَحْسَنْتَ صَوْرَتِي، رَبِّ بِمَا أَحْسَنْتَ إِلَيَّ وَفِي نَفْسِي عَافَيْتَنِي، رَبِّ بِمَا كَلَأْتَنِي وَوَقَفْتَنِي، رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَهَدَيْتَنِي، رَبِّ بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَعْطَيْتَنِي، رَبِّ بِمَا أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي، رَبِّ بِمَا أَعْنَيْتَنِي وَأَقْنَيْتَنِي، رَبِّ بِمَا أَعْتَنِي وَأَعَزَّرْتَنِي، رَبِّ بِمَا أَلْبَسْتَنِي مِنْ سِتْرِكَ الصَّافِي وَيَسَّرْتَ لِي مِنْ صُنْعِكَ الْكَافِي»^١

وبعد النظر في هذه الحقائق التي يذكرها أفضل الناس وأطهرهم وأصدقهم، كيف يمكن أن يتسلل الى نفوسنا التكبر أمام حضرة الحق الذي ملأت ربوبيته أرجاء كل شئ لتشمل جميع الذرات الظاهرة والخفية في عالم الوجود؟!

فمن الأولى هنا ان نمد يد الحاجة لحضرة الحق ونتضرع اليه في حالة من الفقر والذلة والعيول والفاقة والحاجة، ونسأله تعالى أن يأخذ بأيدينا وينقذنا من شرور أنفسنا ويطهرنا من جميع أمراضنا الباطنية ويرشدنا نحو الخشوع والخضوع والتواضع في جميع مجالات الحياة.

نعم، هو خالق جميع الموجودات وربّها ومصدر رزقها الأوحد، وهو الذي

شمل بقدرته التامة ولطفه وعنايته ومحبه ورحمته جميع الموجودات وبسط لها مائدة رزقه مزينة بمختلف الطيبات ليأخذ كل واحد منها ما يحتاجه من خزائن رحمته؛ أي ان جميع الموجودات تأكل من رزقه وتتعمق بنعمه، لكننا وللأسف نجد بعض الناس يأكلون من رزقه ونعمه دون أن يحترموا هذه النعم، ويكسبون القوة والقدرة من بركات مائدته لكنهم يستخدمون هذه القدرة بالضد من تعاليمه وأوامره، وبعبارة أخرى يأكلون ما يستطيعون من مصادر رزقه لكنهم ما أن يشبعوا حتى يديروا ظهورهم ويتمردوا نحو الطغيان والعصيان وتعالى أصوات ضحكاتهم الخبيثة مع كل ذنب ومعصية، فلا أعلم هل هم في غفلة أم يفتخرون بذنوبهم ومعصيتهم؟

التفكر في آيات التوحيد يعد الوسيلة المثلى للتواضع:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ
الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ *
فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى
تُصْرَفُونَ﴾^١.

وليس من الانصاف والمروءة أن يقرأ الانسان العاقل مثل هذه الآيات العجيبة في القرآن الكريم ولا يخضع أو يتواضع أمام حضرة الحق تعالى، وطيلة قراءتي ومطالعتي وجدت أن أفضل وسيلة للوصول الى حالة التواضع هي التفكير

والتدبر في آيات التوحيد والدقة في الروايات والأدعية التي تبين المعارف الالهية.

مصدر الرزق:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ﴾^١.

ان مصدر رزق الكائنات الحية وخاصة الانسان من السماء هي: المطر، الثلوج، نور الشمس، الضوء وغيرها من الأمور الكثيرة التي ذكرتها الكتب العلمية أو الأمور التي يمكن أن يكتشفها العلماء في المستقبل القريب أو البعيد. أما مصدر رزقها من الأرض فهي: المعادن، النباتات، الحيوانات البحرية والبرية والجوية، وفي توضيح هذه المصادر ألف العلماء حتى الآن آلاف الكتب العلمية القيّمة.

التفكر في الأذن والعين:

﴿أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾^٢.

في توضيح هذه الآية الشريفة، يمكن الإشارة الى أربعة نقاط مهمة حول الأذن والعين:

١- ماهي القوة العظيمة التي تحرك رزقكم وما تحتاجونه من مأكّل ومشرب وتجعله يمر عبر آلاف المراحل والطرق حتى يصل الى مرحلة الكمال التي تتمثل بالسمع والابصار؟ وهل توجد قدرة سوى قدرة الحق تعالى قادرة على

١- يونس ١٠: ٣١.

٢- يونس ١٠: ٣١.

القيام بهذه التحولات العظيمة وهذه المسائل العجيبة؟ أو ليس هذا الأمر يثير الحيرة والاعجاب أن يتحول الماء والخبز والفاكهة والخضروات والحبوب الى سمع وبصر بعد أن تمر عبر المرئ والمعدة والأمعاء وغيرها.

٢- ان الأذن والعين عضوان دقيقان جداً، حيث تتألف الأذن من غشاء رقيق جداً، في حين تتألف العين من حدة صغيرة جداً، وهذا الغشاء والحدة رقيقتان جدا وتعرضان للاصابة والتلف بسرعة مع أدنى حادثة أو ضرر بحيث تتعطلان عن العمل فيصاب الانسان بالصمم والعمى، فمن يحفظ هذه الأذن والعين من الأخطار المحدقة بها من الحوادث المختلفة التي تقع على الكرة الأرضية ومن الحشرات المؤذية والضوضاء والأصوات والمناظر العجيبة والغريبة، ومن يحفظهما من النور الشديد والضميف والحرارة والبرودة الشديدين؟ أليس من الأولى في قبال هذا اللطف والنهاية أن ننحي أجاجلاً وخصوعاً لحضرة الحق وتمتلاً قلوبنا بمحبته ونتبع أوامره ونعاليمه التي تجلب لنا السعادة في الدنيا والآخرة؟

٣- تعد الأذن والعين وسيلتين مهمتين جداً لكسب العلم والمعرفة والرؤية الصحيحة، فلماذا لا نستفيد من هذين العضوين لسماع الحقائق ورؤية العجائب، أو لماذا نتظاهر بالصمم والعمى رغم سلامة آذاننا وأعيننا، فإنتم تسمعون وتبصرون لكنكم لا تستفيدون من هذا السمع والبصر في معرفة الحق؟

إذا يمكنكم أن تستفيدوا من الأذن والعين في معرفة الصراط المستقيم الذي يوصلكم الى مقام القرب واللقاء والوصول مع حضرة المحبوب، فما هي القدرة التي منحكم الأذن التي تسمعون بها، ولماذا لا تخصصوا وتتواضعوا أمامه، ولماذا

لا تعبدوه حق عبادته مع ابداء الفقر والذلة والحاجة له؟

٤- الانسان مسؤول عن جميع ما يسمعه ويراه، وسيحاسب يوم القيامة حساباً عسيراً ودقيقاً عن كل ما سمعه وراه، اذ لا يحق للانسان أن يسمع أو يرى كل ما تشتهي نفسه؛ بل يخضع السمع والبصر لضوابط دقيقة وضعت من قبل الحق تعالى يجلب الالتزام بها رضا رب الأرباب، فقد خلق الأذن لسماع الحق وخلق العين لرؤية آثار الحق، فسماعكم للحق سيفتح عندكم أذن القلب وتسمع صوت الحق، ورؤيتكم آثار الحق ستفتح عندكم عين القلب، فان سمعتم ما نهى الله عنه ستصم أذانكم عن سماع صوت الحق، وان رأيتم ما نهى الله عنه ستعمى عيونكم عن رؤية الحق، فالوسيلة المثلى لفتح أذن القلب وعين القلب هو سماع الحق ورؤية الحق.

فتجنبوا البضعة أيام سماع النبوة والتهمة والكذب والباطل والافو والموسيقى، وتجنبوا رؤية ما حرم الله حتى تدركوا كيف تفتح عندكم أذن الروح وعين القلب.

مصدر الحياة:

﴿وَمَنْ يُخْرِجِ الْحَيَّ﴾

فأي قدرة يمكنها اخراج الحي من النطفة والبيضة والبذرة، أو تخرج من الحي النطفة الميتة والبيضة والبذرة، وبعبارة أخرى قدرة يمكنها أن تخرج انساناً عاقلاً متديناً حياً من أبوين كافرين ومشركين، وأي ارادة يمكنها أن تخرج

المشرك والكافر من المؤمن وتمنحه الحياة! ومن هو الخالق والمدبر لجميع أمور هذا العالم؟ جميعكم تدركون وتعرفون أنه الله الواحد الأحد، فلماذا لا تلتزموا بتقواه وتخروا تعظيماً واجلالاً وتواضعاً لقدرته؟

فالله تعالى هو الخالق لجميع الموجودات والمدبر لكافة أمورها، فماذا بعد الحق غير الضلال، ولماذا تصرون على اتباع الباطل بعد أن عرفتم الحق؟

﴿أَمَّنْ يَبْدُوَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ أَعْلَهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
صَادِقِينَ﴾!

ويمكنكم في مسألة الرزق مراجعة الآيات: ٢٤ من سورة سبأ، و ٣ من سورة فاطر، و ٢١ من سورة الملك، و ٧٠ من سورة الاسراء، و ١٦ من سورة الجاثية، و ٢٧ من سورة آل عمران، و ٣ من سورة الطلاق، و ٤٠ من سورة الروم، فقد تضمنت معاني عظيمة سيؤدي التدقيق فيها بلا شك الى ايجاد روح التواضع والخشوع في النفس.

التواضع أمام خلق الله:

بعد أن يؤدي الانسان آداب التواضع والخضوع أمام الله تعالى، تصل النوبة الى ضرورة أداء التواضع والخضوع أمام عباده، وهو ليس بالأمر الصعب اذ يمكن أن يصل الانسان الى هذا التواضع من خلال التدبر في الروايات المنقولة عن الامام السجاد عليه السلام في هذا المجال.

فاذا ما راعيت مصالح عباد الرحمن، وأبديت الاحترام والتواضع لمن هو أكبر أو أصغر منك سنًا؛ لأن من المحتمل أن يكون الأصغر منك سنًا أقل ذنوبًا ومعصية منك لقلّة الفترة التي عاشها، مما يعني أنه أفضل منك منزلة، فيستحق الاحترام والتواضع لهذه الأفضلية، أما من كان سنه أكبر منك فمن المحتمل أن تكون طاعته أكثر لطول الفترة التي عاشها وربما تفوق عليك بقول «لا اله الا الله» واحدة، وهذا يعني أنه أفضل منك منزلة مما يفرض عليك ابداء الاحترام والتواضع له.

ويتضح هنا ضرورة أن يراعي الانسان حق الوالدين والأقارب والأصدقاء والزوجة والأبن وجميع الناس في مجتمعه، ويدرك الانسان أنه مكلف من قبل الحق تعالى بإبداء الاحترام والتواضع للجميع من الله تعالى الى عباده. فنحن لا نملك حياتنا ولا موتنا ولا نملك تدبير أمورنا ومصائرنا، فلماذا نتكبر على الله وعباده، وعلة هذا التكبر ليست في ظاهرها وباطنها؛ بل تكمن في عدم التواضع والخضوع والخشوع.

روايات التواضع:

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا حَسَبَ إِلَّا بِتَوَاضُعٍ»^١.
وقال: «مالي لا أرى عَلَيْكُمْ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ؟ قَالُوا: وَمَا حَلَاوَةُ
الْعِبَادَةِ؟ قَالَ التَّوَاضُعُ»^٢.

١- الأمامي، الشيخ الطوسي: ٥٩٠، المجلس السادس عشر، الحديث ١٢٢٣؛ وسائل الشيعة: ٤٨/١،

الباب ٥، الحديث ٩١.

٢- مجموعة ورام: ٢٠١/١، بيان فضيلة التواضع.

قال عليٌّ عليه السلام: «عَلَيْكَ بِالتَّوَاضُّعِ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَادَةِ».

وقال عليه السلام في وصف الأنبياء:

«وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّةً إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ، وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُّعُ،
فَالصَّقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَقَرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ،
وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ».

وجاء في الحديث:

ولقد ورد عليٌّ أمير المؤمنين أخوان له مؤمنان: أبو وابن فقام إليهما وأكرمهما وأجلسهما في صدر مجلسه وجلس بين يديهما، ثم أمر بطعام فاحضر فأكل منه، ثم جاء قنبر بطست وإبريق خشب ومنديل ليبس وجاء ليصب عليٌّ يد الرجل، فوثب أمير المؤمنين عليه السلام وأخذ الإبريق ليصب عليٌّ يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب وقال: يا أمير المؤمنين الله يراني وأنت تصب عليّ يدي؟

قال: افعد واغسل فإن الله عز وجل يراك وأخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يخدمك، يريد بذلك في خدمته في الجنة، مثل عشرة أضعاف عدد أهل الدنيا، وعلى حسب ذلك في ممالئكه فيها فقعد الرجل.

فقال له عليٌّ عليه السلام: أقسمت عليك بعظم حقي الذي عرفته وبجلته وتواضعك لله حتى جازاك عنه، بأن ندبني لما شرفك به من خدمتي لك، لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر، ففعل الرجل ذلك فلما فرغ ناول الإبريق محمد بن الحنفية وقال: يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون أبيه لصيبت عليٌّ يده، ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوي بين ابن وأبيه إذا جمعهما مكان، لكن قد

صب الأب على الأب فليصب الابن على الابن، فصب محمد بن الحنفية على الابن.
ثم قال الحسن بن علي العسكري عليه السلام: فمن اتبع علياً عليه السلام على ذلك فهو
الشيوعي حقاً.^١

عَنْ ابْنِ الْجَهْمِ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَاءَ عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: «مَا حَدُّ
التَّوَاضُّعِ؟»

قال: «أَنْ تُعْطِيَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ مَا تُحِبُّ أَنْ يُعْطُوكَ مِثْلَهُ».^٢

وقال ابن الجهم أيضاً:

سأله عليه السلام: ما حد التواضع الذي إذا فعله العبد كان متواضعاً؟ فقال: التواضع
درجات منها أن يعرف المرء قدر نفسه، فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن
يأتي إلى أحد إلا مثل ما يؤتي إليه إن رأى سيئة درأها بالحسنة، كاظم الغيظ،
عاف عن الناس، والله يحب المحسنين.^٣

قال الصادق عليه السلام: «التَّوَاضُّعُ أَنْ تَرْضَى مِنَ الْمَجْلِسِ بِدُونِ
شَرَفِكَ وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ مَنْ لَاقَيْتَ وَأَنْ تَتْرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كُنْتَ
مُحِقّاً، وَرَأْسُ الْخَيْرِ التَّوَاضُّعُ».^٤

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ».^٥

١- تفسير الامام العسكري عليه السلام: ٣٢٥، الحديث ١٧٣؛ بحار الأنوار: ١١٧/٧٢، الباب ٥١، الحديث ١١

٢- روضة الواعظين: ٣٨٢/٢؛ مشكاة الأنوار: ٢٢٦، الفصل الثاني، في التواضع.

٣- الكافي: ١٢٤/٢، باب التواضع، الحديث ١٣؛ بحار الأنوار: ١٢٥/٧٢، باب ٥١، الحديث ٣٦.

٤- بحار الأنوار: ١٢٣/٧٢، الباب ٥١، الحديث ٢١.

٥- أعلام الدين: ٣٣٧، الحديث ١٥؛ مجموعة ورام: ١٧/٢.

وقال الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام:

يا هشام إن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا، فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الجبار، لان الله تعالى جعل المتواضع آلة العقل، وجعل التكبر من آلة الجهل...^١

وفي هذا الفصل ينبغي أن نلتفت الى أن المتواضع لا يجوز في جميع الموارد، اذ يجب المتواضع أمام حضرة الحق والمؤمنين، لكن لا يجوز المتواضع في قبال المتكبرين والمتجبرين وأعداء الله، كما يحرم المتواضع امام ثروة الأغنياء اذ أنها تؤدي الى هدم الدين وفناء شخصية الانسان المسلم.

نعم، ان صفة المتواضع والخشوع أمام عظمة الحق تعالى وأولياء الله، تعد أفضل الصفات وأجملها؛ لأن المتواضع يمثل سلم الشرف ووسيلة الكمال التي تقود الانسان نحو خير الدنيا والآخرة.

ان المتواضع وبساطة العيش وانكار النفس ومجالسة المساكين والفقراء وتفقد حال المؤمنين والمستضعفين، والاقرار بأفضلية الجميع على نفسه، والخضوع والخشوع أمام الحق تعالى والسعي للتقرب اليه، والأمل برحمته؛ وابداء الاحترام ورعاية الأدب أمام أولياء الله، تؤدي جميعها الى زيادة قيمة الانسان المعنوية وزيادة محبة الله تعالى ورحمته.

سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ «فَقَالَ: أَيُّ حَسَنَةٍ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ؟»

١- مستدرك الوسائل: ٢٩٩/١١، الباب ٢٨؛ ذيل الحديث ١٣٠٨٨.

قال: «حُسْنُ الْخُلُقِ وَالتَّوَّاضُعُ وَالصَّبْرُ عَلَى الْبَلِيَّةِ وَالرِّضَاءُ بِالْقَضَاءِ. قَالَ: أَيُّ سَيِّئَةٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: سُوءُ الْخُلُقِ وَالشُّحُّ الْمَطَاعُ».

رسول الله ﷺ والتواضع:

يصف القرآن الكريم رسول الاسلام النبي محمد ﷺ بأنه على خلق عظيم ويحمل جميع الصفات الحسنة والفضائل الأخلاقية، وكان يطبق هذه الأخلاق الحسنة في سلوكه وتعامله مع الناس، لذا سنشير هنا الى نماذج من تواضعه ﷺ.

المرأة العجوز وقربة الماء:

ينقل الملا فتح الله الكاشاني في «تفسير منهج الصادقين» في ذيل الآية الشريفة:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

كانت امرأة عجوز من أهل البادية تعيش بعيداً عن المدينة المنورة، وتحمل في قلبها حبا عظيماً للرسول الأكرم ﷺ.

وكانت قد طلبت من أولادها مرات عديدة أن يأخذوها الى المدينة المنورة لتحضى بشرف لقاء الرسول الأكرم وزيارته، لكنهم لم يوفقوا حتى الآن في السفر الى المدينة، لهذا ظلت هذه العجوز تتحرق شوقاً للقاء رسول الله ﷺ وتتألم من شدة فراقه يملأها الحزن والحسرة والهم.

وكان لقاء رسول الله ﷺ يمثل لها أفضل جنة وزيارته ورؤيته أفضل عبادة، لذا كان قلبها لا يهدأ أبداً من شدة القلق والاضطراب وتزايد جذوة نار العشق فيه يوماً بعد يوم.

وكان من عادة أولادها أن يذهبوا يوماً إلى الصحراء لجمع وسائل العيش من ماء وكلاً وغذاء، وهم يحملون في قلوبهم الأمل في التوفيق للسفر إلى المدينة وزيارة حبيب الله ﷺ.

وذات يوم أرادت العجوز أن تجلب ماء من بئر قريب في الصحراء، فحملت قربة الماء وذهبت إلى البئر لملئها بالماء، ومن لطف الله اتفق أن كان رسول الله يمر مع ثلاثة من أصحابه في هذه المنطقة، فما أن رأى هذه العجوز تريد ملأ القربة بالماء من البئر حتى عرض عليها المساعدة، قائلاً: إن هذا الأمر صعب عليك، دعيني أساعدك في ملأ القربة بالماء، فقالت العجوز: جزاك الله خيراً.

فأخذ الرسول ﷺ القربة وملأها بالماء، ثم حملها على كتفه الشريف ونقلها إلى خيمة العجوز حتى كان جبينه المبارك يتصبب عرقاً من شدة الحر وثقل الماء، فطلب أصحابه مساعدته في حملها لكن أبي الأ أن يحملها بنفسه، قائلاً: أحب أن أحمل ثقل أمتي على كفتي!!

فلما وصل الخيمة وضع الماء على الأرض، ثم ودع المرأة العجوز واكمل طريقه، ولما جاء أولاد العجوز أخبرتهم أن رجلاً بهذه الصفات قد ساعدني في ملأ القربة بالماء وحملها إلى الخيمة فاذهبوا إليه واشكروه على مساعدتي، فأسرع أبناؤها إليه حتى تشرفوا برؤية جمال الرسول الأكرم ﷺ، فقالوا له: يا رسول الله إن أمنا كانت منذ زمن طويل تتحرق شوقاً للقائك وزيارتك، فعاد الرسول الكريم

اليها، وأسرع أبنائها نحوها ليسروها أن الرجل الذي ساعدها في ملاء القربة بالماء وحملها الى الخيمة انما هو رسول الله ﷺ، فكاد ان يغمى على هذه العجوز من شدة الفرح والسرور، فجاءت الى الرسول الكريم وشكرت الله تعالى على هذه النعمة السماوية والمعنوية والملكوئية!

توبة الشاب اليهودي:

قال الامام الباقر عليه السلام:

كان غلام من اليهود يأتي النبي ﷺ كثيرا حتى استخفه وربما أرسله في حاجته، وربما كتب له الكتاب إلى قومه.

فافتقده أياما، فسأل عنه فقال له قائل: تركته في آخر يوم من أيام الدنيا، فأتاه النبي ﷺ في أناس من أصحابه - وكان له عليه السلام بركة لا يكلم أحدا إلا أجابه - فقال: يا فلان ففتح عينه وقال: لبيك يا أبا القاسم! قال: قل: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله.

فنظر الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئا، ثم ناداه رسول الله ﷺ ثانية وقال له مثل قوله الأول، فالتفت الغلام إلى أبيه فلم يقل له شيئا، ثم ناداه رسول الله ﷺ الثالثة فالتفت الغلام إلى أبيه، فقال: إن شئت فقل وإن شئت فلا، فقال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنتك رسول الله، ومات مكانه. فقال رسول الله ﷺ لأبيه: أخرج عنا، ثم قال عليه السلام لأصحابه: اغسلوه وكفنوه، وآتوني به أصلي عليه، ثم خرج وهو يقول: الحمد لله الذي أنجى بي اليوم نسمة من النار.^١

١- الأمامي، الصدوق: ٣٩٧، المجلس الثاني والستون، الحديث ١٠؛ بحار الأنوار: ٦/ ٢٦، الباب ٢٠،

بكاء الجارية:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلي ثوبه، فحمل إليه عشر درهما، فقال: يا علي خذ هذه الدراهم فاشتر لي ثوبا ألبسه، قال علي عليه السلام: فجئت إلى السوق فاشترت له قميصا باثني عشر درهما، وجئت به إلى رسول الله ﷺ، فنظر إليه فقال: يا علي غير هذا أحب إلي، أترى صاحبه يقبلنا؟ فقلت: لا أدري، فقال: انظر، فجئت إلى صاحبه فقلت: إن رسول الله ﷺ قد كره هذا يريد ثوبا دونه فأقلنا فيه، فرد علي الدراهم، وجئت به إلى رسول الله ﷺ فمشى معي إلى السوق لبتاع قميصا، فنظر إلى جارية قاعدة على الطريق تبكي، فقال لها رسول الله ﷺ: ما شأنك؟ قالت: يا رسول الله إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم، فأعطاه رسول الله ﷺ أربعة دراهم، وقال: ارجعي إلى أهلك، ومضى رسول الله ﷺ إلى السوق فاشترى قميصا بأربعة دراهم، ولبسه وحمد الله، وخرج فرأى رجلا عريانا يقول: من كساني كساه الله من ثياب الجنة، فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل، ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصا آخر، فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله، وإذا الجارية قاعدة على الطريق، فقال لها رسول الله ﷺ: ما لك لا تأتين أهلك؟ قالت: يا رسول الله إنني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني، فقال رسول الله ﷺ: مري بين يدي ودليني على أهلك، فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم، ثم قال: السلام عليكم يا أهل الدار، فلم يجيبوه، فأعاد السلام فلم يجيبوه، فأعاد السلام فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فقال لهم: ما لكم تركتم إجابتي في أول السلام والثاني؟ قالوا: يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن تستكثر منه، فقال

رسول الله ﷺ: إن هذه الجارية أبطأت عليكم فلا تؤاخذوها، فقالوا: يا رسول الله هي حرة لممشاك، فقال رسول الله ﷺ: الحمد لله، ما رأيت اثني عشر درهما أعظم بركة من هذه، كسى الله بها عريانين، وأعتق بها نسمة.^١

ان الأخلاق الجامعة والكاملة لرسول الله ﷺ قد انتقلت الى الأئمة الطاهرين عليهم السلام، فكانوا يتعاملون مع الناس كما كان يفعل جدهم العظيم، وستاتي الإشارة الى قسم من سلوك الأئمة عليهم السلام في فصل معرفة الأئمة عليهم السلام في شرح الباب التاسع والستين من «مصباح الشريعة».

تواضع آية الله البروجردي رحمته الله:

يعد آية الله العظمى البروجردي من كبار مراجع الدين وأحد العلماء العظام في العصر الأخير.

وقد بلغ في عصره درجة الأعلمية في الفقه والأصول والرجال والفلسفة، وترك آثارا علمية مهمة له ولغيره من العلماء اضافة الى الباقيات الصالحات من وقف بعض المشاريع الخيرية كالمستشفى والمسجد والمدرسة.

وعلى رغم ما كان يتميز به سماحته من قدرة وسلطة وتصديه لمقام المرجعية، كان يتميز أيضا بأسمى الصفات الأخلاقية ومراتب الكمال والتواضع والخشوع.

وفي أحد الأيام وعندما كان يسير في طريقه الى مكان درسه، التقى به احد

١- الخصال: ٤٩٠/٢، الحديث ٦٩؛ مستدرک الوسائل: ٢٥٥/٣، الباب ١٦، الحديث ٣٥٢٢؛ بحار

الأنوار: ٢١٤/١٦، الباب ٩، الحديث ١.

الطلاب وأبلغه بما يواجهه من مشاكل اقتصادية وضيق في حالته المعيشية، فقال له سماحته: مرّ علي بعد الدرس حتى أجد حلا لمشكلتك.

وبعد أن جلس سماحته على كرسي الدرس، وبدأ بالدرس والمباحثة، ووفقا لما هو متعارف في هذا الدروس قام الطلاب بطرح الأسئلة والاشكالات على الدرس وكان سماحته يجيب على أسئلتهم ويرد على اشكالاتهم، وفي هذه الأثناء قام هذا الطالب صاحب المشكلة وطرح اشكالا على الدرس، لكن وبسبب ضعف سمع آية الله البروجردي ظن أن هذا الطالب كان يذكره بمشكلته، فرد عليه بامتعاض: قلت بعد الدرس، فتعجب الطلاب من رد الاستاذ، فأخبره أحد الطلاب الجالسين في المقدمة: لقد طرح اشكالا علميا وجوابه في الدرس وليس بعده، فانتبه سماحته الى ما وقع فيه من اشتباه، وبعد انتهاء الدرس ذهب بين الطلاب حتى وصل الى هذا الطالب ومد يده لمصافحته، فمد الطالب يده لمصافحة الاستاذ، فاذا بالطلاب يرون سماحته ينحني ويقبل يد هذا الطالب، ثم يعتذر منه، ويصطحبه معه الى بيته ليحل مشكلته بعيدا عن أعين الآخرين!!

«والتواضع ما يكون في الله والله، وما سواه فكبير، ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عبادِهِ، ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماء من الملائكة، وأهل الأرض من العارفين، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَابِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾!»

واستمرار لرواية باب التواضع، يقول الامام الصادق عليه السلام:

لو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنتق عن حقائق ما في مخفيات العواقب، وما يحمله التواضع من فوائد وبركات جمّة، ولأخبرهم ما في التواضع من فوائد عظيمة ومنافع كثيرة، وكيف يمكن أن تجلب هذه الصفة النورانية رضا الحق تعالى وتدفع النفس نحو الكمال والتعالى، وتفتح أمام الانسان أبواب الجنة وتغلق أبواب جهنم!

سيماء المؤمنين والمؤمنات:

ينبغي في التواضع أن يكون لله تعالى وفي سبيله، وما سواه لا يكون إلا كبراً. ولأهل التواضع سيماء يعرفها أهل السماء من الملائكة وأهل الأرض من العرفاء

والحكماء والأولياء الصالحين.

والحقيقة ان الصفات الحميدة والفضائل الممدوحة والملكات الفاضلة لها أصول في ملكوت العالم وظل من شجرة طوبى، أما أسماء الله وصفاته فليست سوى نور وضوء ساطع ونموذج للحق والحقيقة وتعبير عن الواقع، وقد بين الآيات الالهية والمعارف الملكوتي هذا المعنى وتم اثباته من قبل الفلاسفة الموحدين والعرفاء العاشقين وأولياء الله والكاملين من الأصفياء، حيث نقرأ في سورة الأنعام:

﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^١.

وبالطبع هذا النور المذكور في الآية الشريفة وحسب توضيح الروايات وتفسير أهل الحال هو عبارة عن الايمان والمعرفة والأخلاق الحسنة والعمل الصالح التي تمنح جميعها الانسان الحياة المعنوية، وتنقذه من ظلمة الموت الروحي والنفسي والقلبي، واذا ما أشرقت في باطن الانسان فان شدة نورها سيظهر على سلوك الانسان وحركاته وتصرفاته، وبواسطة هذا النور ستتعرف الملائكة في السماء والأولياء في الأرض على هذا الانسان، وتشاهد باطنه وظاهره بلون الملكوت، وحسب آيات القرآن والروايات سيتجلى هذا النور أكثر بعد الموت، ويكون أنيسا للانسان في البرزخ والقيامة الى درجة أن

الملائكة والجن والأنس ستشاهد هذا الانسان يوم القيامة غارقا في هذا النور.

قال تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^١.

وقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ
وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^٢.

ويقول تعالى:

﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾^٣.

وعلى الأعراف وهو المكان المشرف على الجنة والنار رجال يعرفون أهل الجنة والنار كلا بسيماهم، حيث تبيض وجوه أهل الجنة وتسود وجوه أهل النار. وأطلقوا على هذا الموضع اسم الأعراف لأن ساكنيه هم العارفون بجميع ما يحدث يوم القيامة وهم الأنبياء والشهداء والأفاضل من المؤمنين، حيث يرون مقاماتهم ومنازلهم في الجنة فيستمتعون بذلك، ويشاهدون عذاب النار فيفرحون بخلاصهم منه.

١- الحديد ٥٧: ١٢.

٢- الحديد ٥٧: ١٩.

٣- الأعراف ٧: ٤٦.

المؤمنون والمحبون لأمير المؤمنين:

وجاء في الرواية عن الحارث الهمداني وكان من محبي أمير المؤمنين ومريديه ويكثر من ملازمته، قال:

دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: ما جاء بك؟ فقلت: حبي لك يا أمير المؤمنين، فقال: يا حارث أتجني؟ قلت: نعم والله يا أمير المؤمنين، قال: أما لو بلغت نفسك الحلقوم رأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا أذود الرجال عن الحوض ذود غريبة الإبل لرأيتني حيث تحب، ولو رأيتني وأنا مار على الصراط بلواء الحمد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرأيتني حيث تحب.^١

أحد على آخر، ولا تجعلوا الزيادة في الأصل والنسب والحسب هي الأساس في اعتبار الناس ومنزلتهم، فلا يقل بعضكم للآخر أنا أفضل منك لأنني من هذه القبيلة أو تلك وأبن فلان وامتلك من القابليات والامكانيات ما ليس عندك، لأنها أمور لا تحصى عند الله بأي قيمة مهمة، إذ لا ينظر الله سوى للتواضع والعبودية والطاعة والعبادة له تعالى، كما لا ينبغي أن يظلم أحدكم الآخر، لأن الظلم والبغي منافيان للتواضع، وما تواضع أحد الأرفعه الله مرتبة في الدنيا والآخرة.

وكان رسول الله ﷺ إذا مرّ على الصبيان سلم عليهم لكامل تواضعه وشدته.

وان أصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته، فكل من يوفق لفهم هذه الحقيقة وادراكها سيتزين بالتواضع ويسلم نفسه للحق تعالى، إذ لا تقبل عبادته عند الحق تعالى ما لم تتزين بالتواضع والخشوع، فليس لله عز وجل عبادة يقبلها إلا وبابها التواضع، ولا يعرف ما في حقيقة التواضع إلا المقربون من عباده، المتصلون بوحدانيته، الذين طهروا قلوبهم بعشق حضرته، لأن السبيل للوصول الى هذا الاتصال والخلوص هو المعرفة الناتجة عن الأنس بالقرآن والدقة في المعارف الالهية.

وفي بيان التواضع قال الله تعالى في القرآن المجيد:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾!

وقد أمر الله عز وجل أعز خلقه وسيد بريته محمد ﷺ بالتواضع، فقال تعالى:

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

«والتَّوَّاضِعُ مَزْرَعَةُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَشْيَةِ وَالْحَيَاءِ; وَأَنْهَنُ لَا يَنْبُتَنَّ إِلَّا مِنْهَا وَفِيهَا، وَلَا يَسْلَمُ الشَّرْفُ التَّامُّ الْحَقِيقِيُّ إِلَّا بِالتَّوَّاضِعِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى».

التواضع منشأ الخشوع:

وفي ختام هذه الرواية يقول الامام الصادق عليه السلام:
التواضع مزرعة الخشوع والخضوع والخشية والحياء ولا تظهر هذه الصفات في الانسان الا بالتواضع والخشوع أمام الحق تعالى.
ولا يسلم الشرف التام الحقيقي ولا يحصل الا بالتواضع والخشوع في ذات الله تعالى، حتى يدرك الانسان حقارة نفسه وعدم اعتبارها في قبال ذات الحق المستجمعة لجميع صفات الكمال.

الباب

(٥٩)

في الاقتداء

قال الصادق عليه السلام:

لا يَصِحُّ الأَقْتِدَاءُ إِلا بِصِحَّةِ قِسْمَةِ الأَرْواحِ فِي الأَزَلِ وَامْتِزاجِ نُورِ
الْوَقْتِ بِنُورِ الأَوَّلِ. وَلَيْسَ الأَقْتِدَاءُ بِالتَّرَسُّمِ بِحَرَكَاتِ الظَّاهِرِ وَالتَّنَسُّبِ إِلى
أَوْلِياءِ الدِّينِ مِنَ الحُكَماءِ وَالأَئِمَّةِ.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾^١، أَي مَنْ كانَ اقْتدى
بِمُحِقِّ قَبْلِ وَزُكِيِّ.

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا
يَتَسَاءَلُونَ﴾^٢.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: الأرواحُ جُنودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْها ائْتَلَفَ
وَمَا تَناکَرَ مِنْها ائْتَلَفَ.

وقيلَ لِ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنفِيَّةِ عليه السلام: مَنْ أَدَبَكَ؟ قالَ أَدَبَنِي رَبِّي فِي نَفْسِي
فَمَا اسْتَحْسَنْتُهُ مِنْ أَوْلِي الأَلْبابِ وَالبَصِيرَةِ تَبِعْتُهُمْ بِهِ وَاسْتَعَمَلْتُهُ وَمَا
اسْتَفْبَحْتُهُ مِنْ الجُهالِ اجْتَنَبْتُهُ وَتَرَكْتُهُ مُسْتَنْفِراً فَأَوْصَلَنِي ذَلِكَ إِلى كُنُوزِ
العِلْمِ.

ولا طَريقَ لِلأَكياسِ مِنَ المُؤمِنينَ اسْلَمَ مِنَ الأَقْتِداءِ لِأنَّهُ المَنْهَجُ الأَوْضَحُ
والمَقْصَدُ الأَصَحُّ.

١- الأَسراءِ: ١٧: ٧١.

٢- المُؤمِنونَ ٢٣: ١٠١.

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَعَزِّ خَلْقِهِ مُحَمَّدًا ﷺ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَاهُمْ﴾^١.

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾^٢.
فَلَوْ كَانَ لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى مَسْلَكٌ أَقْوَمَ مِنَ الْأَقْتِدَاءِ لَنَدَبَ أَوْلِيَاءَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ
إِلَيْهِ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: فِي الْقَلْبِ نُورٌ لَا يُضِيءُ إِلَّا فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَقَصْدِ
السَّبِيلِ وَهُوَ مِنْ نُورِ الْأَنْبِيَاءِ مُودَعٌ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.

١- الأنعام: ٦: ٩٠.

٢- النحل: ١٦: ١٢٣.

لا يَصِحُّ الاِقتِداءُ الاَ بِصِحَّةِ فِئِمَّةِ الأرواحِ فى الأزلِ وَاِمْتِزاجِ نُورِ الوَقْتِ
بِنُورِ الأوَّلِ. وَلَيْسَ الاِقتِداءُ بِالترسُّمِ بِحَرَكَاتِ الظَاهِرِ وَالتَّنَسُّبِ إِلَى أَوْلِيَاءِ
الدِّينِ مِنَ الحُكَمَاءِ وَالأئِمَّةِ.

قالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُناسٍ بِإِمامِهِمْ﴾، أَي مَنْ كانَ اقْتدى
بِمُحِقِّ قَبْلِ وَزُكِّيَّ.

حقيقة الاقتداء:

فى هذه الرواية البالغة الأهمية التى يجلب الالتزام بمضامينها خير الدنيا والآخرة
للإنسان، فى حين يؤدى إهمالها الى وقوعه فى جميع شرور الدنيا والآخرة، يشير
الإمام الصادق عليه السلام الى حقيقة الاقتداء وما هى صفات الشخص الذى يستحق
الاقتداء به وصفات الشخص الذى ينبغى الابتعاد عنه وعدم الاقتداء به.
يقول الإمام عليه السلام:

لا يصح الاقتداء الأ بصحة قسمة الأرواح فى الأزل، وبما يوافق قانون حضرة
الحق الذى أراده فى علمه الأزل من آدم الى خاتم الأنبياء، فاذا تم الاقتداء على
هذا النحو كان صحيحاً والأ كان باطلاً باعثاً للضرر والخسران.

والأوضح من ذلك ان الله الحكيم قد جعل منذ الأزل لعباده أشخاصا يحملون صفات الكمال وفضائل الأخلاق يقتدون بهم حتى يتمكنوا بفضلهم ارتقاء مراتب الكمال وتأمين سلامة دنياهم وآخرتهم. ومع خلق الانسان وظهور البشر بدأ الحق تعالى باظهاره الى العن تدريجياً وهم: الأنبياء والأئمة والأولياء وأهل العلم والمعرفة ممن يحملون أفضل الصفات الايمانية والمعنوية والأعمال الصالحة.

فاذا ما اقتدى الانسان بهم في جميع أمور حياته، لتمكن من تحسين قابلياته والارتقاء تدريجياً في مراتب الكمال حتى يقترب من الحق والحقيقة ويحضى بشرف اللقاء والوصال والقرب من مقام الأحدية والاتصال بالعظمة الالهية اللامتناهية، أما اذا ابتعد عن هؤلاء العظام وغفل عن اتباعهم والافتداء بهم لأوقع نفسه في الذل والخسران وهدم أسس سعادته في الدنيا والآخرة.

ان الانسان موجود عجيب حمل ثقل الأمانة الالهية، وهو مخلوق حسب الارادة الأزلية لحضرة الحق تعالى، وهو مصدر علم الأسماء الالهية، وهو وعاء الهداية ومتقبل الالهام ومستقبل الوحي وصاحب الكرامة والمتحقق بحقيقة الشرف والكرامة، وهو مستودع الكمالات الالهية والكنوز الربانية كالعقل والفضرة والوجدان والنفس الملهمة، وهو أفضل المخلوقات على الأرض ومستقبل الفيض الالهي، بل هو فيض مقدس والمظهر العيني للفيض الالهي الأقدس.

ومن جهة القابليات والكمالات، فان الانسان يحمل قدرة تفوق قدرة الجن والملائكة وذو حيثة تفوق جميع الحيثيات. ولا يوجد مثل له في جميع عالم

الوجود، والأبواب المشرعة له لبلوغ مراتب الكمال لم يحضى بها أي موجود آخر على وجه الأرض.

لكن الانسان لا يمكنه تنمية هذه القابليات الظاهرة والباطنة وتطويرها بمفرده؛ بل يحتاج حسب ارادة حضرة الحق الى من يرشده الى الطريق الصحيح لبلوغ الكمال والفوز بخير الدنيا والآخرة، وهؤلاء المرشدين الذي يحملون المعرفة الكاملة بالله تعالى والعالم والانسان يستطيعون هداية الانسان نحو الاستفادة من قابلياته ومن المواهب الالهية المادية والمعنوية لسلوك الطريق الصحيح نحو الوصول الى مقام القرب واللقاء والوصال من حضرة الحق تعالى، وهؤلاء المرشدين هم الأنبياء والأئمة عليهم السلام وتلامذتهم الحقيقيين من الفقهاء والحكماء والعرفاء الذين يعبر عنهم بأولياء الله، فاذا ما اقتدى الانسان بهؤلاء المرشدين يكون قد أمثل للاقتداء الصحيح، أما اذا ما ابتعد عنهم فانه سيقع بلا شك أسيرا لأهواء النفس ومكاند شياطين الداخل والخارج مما يعرض نفسه والآخريين لضربة موجعة وخسارة فادحة لا يمكن تعويضها.

حقيقة الانسان والانسانية في الروايات:

للوصل الى المقام الحقيقي للانسان ينبغي أولاً الرجوع الى كتاب الله خاصة الآيات المتعلقة بخلق الانسان والآيات التي تبين كرامة الانسان ومنزلته، ثم ينبغي مطالعة الروايات والمعارف الالهية في الكتب المعتمدة. ولما كان القرآن الكريم موجودا في متناول الجميع وبعض آياته المتعلقة بالانسان تعد من محكمات الكتاب، لذا تجنبنا ذكر المئات من الآيات في هذا المجال، اذ ينبغي التوجه الى كتاب الله بطهارة وعشق وأنس وقراءة آياته بدقة وتمعن حتى ندرك مقام

الانسان والانسانية في هذا المصدر الالهي العظيم، أما كتب الحديث وخاصة الكتب الأصلية فنظرا لعدم توفرها جميعا في متناول الجميع لذا أرتأينا ان نذكر هنا بعض الروايات المهمة والقيمة في هذا المجال.

قال الصادق عليه السلام: «الصورة الانسانية هي أكبر حجة الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه الله بيده»^١.

عن الصادق عليه السلام: «إن الصورة الانسانية هي الطريق المستقيم إلى كل خير والجسر الممدود بين الجنة والنار»^٢.

نعم، الطبيعة والفطرة والنفس والروح والعقل والوجدان وجميع أعضاء الانسان وجوارحه تستغيث بصوت عال لقد خلقنا لخير الانسان ولعمل الخير، ووجودنا يهدف لتجنب نار جهنم والفوز بالجنة، لكن هذا الأمر لا يحدث إلا بفضل هداية القادة الالهيين وارشادهم والافتداء بهم.

وفي توضيحه للآية ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ يقول الامام الصادق عليه السلام:

«يعني أرشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلغ إلى جنتك والمانع من أن نتبع أهواءنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك»^٣.

عندما يستهلك الانسان قواه ويستفيد منها بما ينسجم مع تعاليم الحق وأوامره،

١- شرح الاسماء الحسنى : ١٢/١ .

٢- تفسير الصافي : ٧٣/١ .

٣- عيون اخبار الرضا: ٣٠٥/١، الباب ٢٨، الحديث ٦٥؛ تفسير الصافي: ١/٨٥١ وسانل الشيعة: ٤٩/٢٧،

الباب ٦، الحديث ٣٣١٧٩.

سيصل الى مقام عبرت عنه المعارف الالهية بمقام القرب والجدب، وهو مقام لا يناله الا ذو حظ عظيم، وقد طلب الامام الحسين عليه السلام هذين المقامين من الله تعالى في دعائه في صحراء عرفات:

«الهي حَقَّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَأَسْأَلُكَ بِي مَسَلِّكَ أَهْلِ الْجَدْبِ»^١.

فانتم تعلمون أن جميع المؤمنين يرغبون بالأجر والثواب على عبادتهم أي الفوز بالجنة، لكن عظمة خلق الانسان وسمو منزلته قد جعلته يغفل حتى عن الجنة ويفرق. في عشق حضرة الحق، مما يجعل الجنة تعشق هذا الانسان فتضطرب وتتحرق شوقا للقائه واستقباله.

«إِنَّ الْجَنَّةَ لَأَعْشَقُ لِسُلْمَانَ مِنْ سُلْمَانَ لِلْجَنَّةِ»^٢.

وينقل الشيخ الصدوق قده:

إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اشْتَأَقْتُ الْجَنَّةَ إِلَى أَرْبَعٍ مِنَ النِّسَاءِ: مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَأَسِيَةَ بِنْتِ مُزَاحِمٍ زَوْجَةَ فِرْعَوْنَ وَخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ زَوْجَةَ النَّبِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَفَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ»^٣.

ان عظمة الانسان وسمو منزلته ورفعة كرامة بني آدم وأصالة هذا الموجود وشرفه، قد بلغت درجة قال فيها يعسوب الدين ومولى الموحدين وأسوة العاشقين أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام:

١- الاقبال: ٣٤٩؛ مفاتيح الجنان دعاء عرفه).

٢- روضة الواعظين: ٢٨٢/٢؛ بحار الأنوار: ٣٤١/٢٢، الباب ١٠، الحديث ٥٢.

٣- كشف الغمة: ٤٦٦/١؛ بحار الأنوار: ٥٣/٤٣، الباب ٣، الحديث ٤٨.

«الْعَارِفُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْهُ السَّائِقُ وَالشَّهِيدُ فِي
الْقِيَامَةِ وَلَا رِضْوَانُ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا مَالِكُ النَّارِ فِي النَّارِ.
قِيلَ: وَأَيْنَ يَقْعُدُ الْعَارِفُ قَالَ عليه السلام: فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ
مُقْتَدِرٍ»^١.

وفي الصحيفة الثانية من مناجاة العارفين، يطلب الامام زين العابدين عليه السلام طلبا
عجيبا من حضرة الحق تعالى للوصول الى مقام اهل اللقاء والقرب والوصول:

«الْهِيَ فَاجْعَلْنَا مِنْ الَّذِينَ تَوَشَّحَتْ أَشْجَارُ الشُّوقِ إِلَيْكَ فِي
حَدَائِقِ صُدُورِهِمْ، وَأَخَذَتْ لَوْعَةً مَحَبَّتِكَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ فَهَمُّ
إِلَى أَوْكَارِ الْأَفْكَارِ يَأْوُونَ وَفِي رِيَاضِ الْقُرْبِ وَالْمُكَاشَفَةِ
يَرْتَعُونَ وَمِنْ حِيَاضِ الْمَحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلَاطَفَةِ يَكْرَعُونَ»^٢.

نعم، هذا هو الانسان اللائق بالخلافة، والهداية، والأصالة، والشرف،
والكرامة، والقربة، والمحبة، والعناية، والعافية، والسلامة، والسعادة، والفهم،
والشهادة والجنة، لكن لا يمكن تحقيق جميع هذه الصفات الا في ظل الاتصال
بالأنبياء والقرآن والأئمة عليهم السلام والمعارف الالهية. لذا عليك أيها القارئ الكريم أن
تعرف نفسك وتستمع لوصايا القادة الالهيين وتتمسك بتعاليمهم وتتبع ارشاداتهم،
وعليك الاقتداء بهم لسلك طريق الكمال وبلوغ الدرجات الالهية ومقام القرب
والوصول الالهي، والانتقال من هذا العالم الى العالم الآخر، ومت موتك
الاختياري لأن قيمة هذا الموت كما قال رسول الله لا تقل عن قيمة الشهادة في

١- القمر ٥٤ : ٥٥ .

٢- بحار الأنوار: ١٥٠/٩١، باب ٣٢ .

ميدان المعركة.

فيا لعظمة هذا الانسان الذي امتدت اليه قدرة الحق وارادة حضرة الرب، وجعلت منه موجوداً يحمل الكثير من القابليات والقدرات المتميزة التي لو استثمرت على النحو الصحيح بما ينسجم مع تعاليم الأنبياء والأئمة عليهم السلام وأولياء القرآن، لخلقت منه موجوداً عرشياً وعنصراً ملكوتياً ومخلوقاً من الجنة ونوراً أبدياً والهيأ وروحاً حية وحياة دائمة خالدة.

فاذا ما غفل الانسان في هذا الصراع ونشر راية الجهل والغفلة والسفاهة والتهور، وقال: نحن لسنا بحاجة الى ارشاد القادة السماويين وهداية أولياء الله، يكون قد قطع شجرة كماله من جذورها وهدم أسس وجوده وفتح أمامه جميع أبواب الشقاء والبلاء.

هدف الرسالة وأدواتها في القرآن:

حسب قول شارح «نهج البلاغة» أن الآية ١٥٧ من سورة الأعراف تبين هدف الرسالة وأدواتها، والتدقيق في هذه الأدوات والأهداف تجعل صاحب العقل والأنصاف يصل الى هذه النتيجة أن الحاجة الى الأنبياء والأولياء هي حاجة أساسية وضرورية وطبيعية وعقلية وانكارها يعادل انكار حاجة الانسان للماء والهواء والنور.

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ

وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾

ان هدف الرسالة وأدواتها في القرآن هي:

- ١- دعوة الناس الى اقامة العدل.
- ٢- بيان الآيات الالهية.
- ٣- تعليم الكتاب الذي يتضمن حقائق الوجود وأسس الحياة الانسانية.
- ٤- تعليم الحكمة التي تنقي أنواع العلوم من مختلف الشوائب والمسائل غير المنطقية.
- ٥- الأمر بالمعروف وعمل الخير والنهي عن المنكر وعمل الشر.
- ٦- رفع الأغلال والمسؤوليات الثقيلة عن كاهل الانسان والتي تنشأ عن عوامل مختلفة.
- ٧- نارة حياة الانسان بما يساعد على بيان الأهداف السامية في حياة الناس والعمل على تحقيقها.

القائد الحقيقي للانسان:

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«فَبَعَثَ فِيهِمْ رَسُولَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ

وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ وَيَحْتَجُّوْا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ وَيُشِيرُوا لَهُمْ
دَفَائِنَ الْعُقُولِ وَيُرُوهُمْ الْآيَاتِ الْمَقْدِرَةَ مِنْ سَفْهِ فَوْقَهُمْ
مَرْفُوعٍ وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ وَمَعَايِشَ تَحْيِيهِمْ»^١

نظرا لما حملته خطبة أمير المؤمنين علي عليه السلام من معاني دقيقة ومفاهيم بليغة، هل يمكن لأحد أن يتجرأ ويقول: يمكن لشجرة الانسان ان تنمو وتكبر دون الحاجة لعناية الأنبياء والأولياء؟

وعلى هذا الاساس يجب علينا التوسل بمعنى الكرامة والحقيقة، حضرة خاتم الأنبياء وخلاصة جميع الأنبياء وعصارة جميع الكتب السماوية وتجلي الملكوت الالهي وعلم ما تضمنته المعارف السماوية، والسعي الى معرفة كنه حقيقته واتباع جميع أوامره ووصاياه والاقتداء به في كافة شؤون الحياة التزاما بأمر حضرة الحق في وجوب اتباعه والاقتداء به، حيث جعله قائدا لجميع الخلق وأوجب عليهم عينا اتباعه، فجعل اتباع الرسول الأكرم بمعنى اتباع الله واتباع جميع الأنبياء والقرآن الكريم، وكذلك جعل من اتباع الرسول هاديا لنا نحو اتباع الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، أولهم علي عليه السلام وآخرهم المهدي صاحب العصر والزمان عليه السلام، مما يفتح أمامنا جميع أبواب سعادة الدنيا والآخرة.

ونظرا لجميع المقدمات التي مرت في هذا الفصل، نستنبط هذه النتيجة أن قادتنا الحقيقيين هم الله والأنبياء والقرآن والأئمة الطاهرين عليهم السلام وتلامذتهم من الفقهاء الجامعي الشرائط، وأنهم الصراط المستقيم الذي يؤكد القرآن عليه كثيرا، ويتجلى هذا الأمر في ظل رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، حيث يجعلنا اتباع

الرسول الأكرم نهتدي الى اتباع الله والأنبياء والقرآن والأئمة عليهم السلام والفقهاء الجامعي الشرائط، ويجلب لنا رضا الله تعالى وكسب خير الدنيا والآخرة وتأمين حاضرنا ومستقبلنا وبلوغ كمالنا المعنوي والروحي.

الافتداء بنبي الاسلام صلى الله عليه وآله:

ان اتباع نبي الاسلام صلى الله عليه وآله والافتداء به يمثل محور جميع المسائل المادية والمعنوية والدينية والأخروية والظاهرية والباطنية والقلبية، وهو الوسيلة لمعرفة الله والافتداء به ومعرفة الأنبياء والافتداء بهم ومعرفة القرآن والافتداء بهذا الكتاب السماوي ومعرفة الأئمة عليهم السلام والافتداء بهم.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١

فبدون معرفة حقيقة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أيمن معرفة الله، وبدون الافتداء به أيمن معرفة تعاليم الله وأوامره، وبدون التوسل القلبي بحضرتة وفهم أوامره والعمل بها أيمن فهم أوامر الله والعمل بها؛ ان الوسيلة لمعرفة الله وعبادته الحققة هي معرفة رسول الله صلى الله عليه وآله واطاعة أوامره.

اذن، اتباع رسول الله، هو السبيل لمعرفة الله تعالى والافتداء به، والوسيلة المثلى للسير على طريق العشق الحقيقي لحضرة الحق.

وقد اعتبر القرآن المجيد اتباع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله اتباعا لجميع الأنبياء والملائكة، حيث جاء في سورة التوبة:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ *
 وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ
 اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
 قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ * اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ
 أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا
 إِلَهًا وَاحِدًا لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * يُرِيدُونَ
 أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ
 كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^١.

بعد هذه المقدمات التي جاءت في هذه الآيات، يقول تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
 الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^٢.

فقد وجهت هذه الآيات خطابها في البداية الى المسلمين والمؤمنين وبينت
 لهم وظائفهم مع المشركين خاصة اليهود والنصارى، ثم تحدثت لليهود
 والنصارى وبينت خطأ سلوكهم وخطأ دينهم وما فيه من نقص، وبينت فساد
 قادتهم وضلالهم وأن اتباعهم والاقتداء بهم سيوقعهم في التيه والضلالة، وأنهم

١- التوبة ٩: ٢٩-٣٢.

٢- التوبة ٩: ٣٣.

في الواقع ليسوا من اتباع نبي الله موسى وعيسى وعزير وسائر الأنبياء عليهم السلام. واعتبرت هذه الآيات أن الدين الحق ودين الهداية اليوم هو دين محمد المصطفى ﷺ فاذا ما أرتم أن تكونوا حقا من اتباع موسى وعيسى ﷺ عليكم اتباع دين رسول الله وخاتم الأنبياء ﷺ لأنه أفضل دين والناسخ لجميع الأديان الأخرى، وأن اتباع الرسول يمثل في الواقع اتباعا حقيقيا لموسى وعيسى وجميع الأنبياء ﷺ، وكما يقول القرآن الكريم نقلا عن قول المؤمنين:

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾!

نعم، ان حقيقة عدم التفريق بين الأنبياء تتجلى في معرفة النبي الأكرم ﷺ واطاعته، وقد تم اثبات هذه الحقيقة في المعارف الالهية سواء القرآن الكريم أو الروايات أو المباحث العقلية والفلسفية، لأن حضرة الرسول له مقام جمع الجمع ويحمل وحده جميع الصفات التي حملها أهل الخير والمؤمنين، مما يعني أن اطاعته تمثل اطاعة لمئة وأربعة وعشرين ألف نبي.

الحقيقة المحمدية:

حسب آيات القرآن المجيد يتفق جميع الأئمة والأولياء والحكماء والعرفاء على هذه الحقيقة أن:

الحقيقة المحمدية التي أطلقوا عليها برزخ البرازخ الأزلية وحقيقة الانسانية الأزلية الأبدية، تتجلى في مظاهر وأعيان جميع الأنبياء والأولياء وقد تجلى ظهورها الأول في الشكل والهيكل البشري والجلبات الانسانية لآدم أبو البشر،

وكمال هذه الحقيقة في مقام الظهور في مشكاة الأنبياء قد ظهرت في الهيئة الشخصية للحقيقة الكمالية الجامعة المحمدية، ثم تدور هذه الحقيقة بعد ختم النبوة في الأولياء المحمديين لتظهر في عالم البشر باسم العدل الالهي في خاتم الأولياء المهدي الموعود عليه السلام، وتصل الولاية الى كمالها في وجود المهدي عليه السلام ^١.

الاقتداء بالأئمة المعصومين عليهم السلام:

ومن هذه المقالة نستنبط أيضاً مرحلة وجوب الاستمرار في اتباع الولاية، وان كل من يريد أن يكون تابعا حقيقياً للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ويقتدي به حسب أمر الله تعالى، يجب عليه الالتزام بولاية علي وأولاده الأحد عشر من بعده واطاعتهم؛ لأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وبشهادة الروايات الكثيرة التي نقلها الفريقان، قد أبلغ امته طيلة الثلاثة وعشرين سنة من فترة نبوته بوجوب اتباع الأئمة عليهم السلام وصرح باسمائهم جميعاً، حيث أن الاقتداء بهم جميعاً من علي عليه السلام الى الامام المهدي أرواحنا فداءه يمثل غاية الرسالة الالهية التي صرح بها القرآن الكريم.

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ^٢.

ولم يشك أحد أبداً في تفسير كلمة القربى على أن تشير الى علي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعده.

١- مقدمة شامل قيصري: ١٤٣.

٢- الشورى ٤٢: ٢٣.

وقد صرح الشيخ الأكبر وغيره من أكابر العرفاء أن جميع مقامات الرسول الأكرم ﷺ تنتقل بالوراثة الى عترته وأهل بيته عليهم السلام وانهم وارثوا حاله ومقامه وعلومه وأسراره، وأن ولايته الخاصة تنتقل الى الامام المهدي عليه السلام، ثم تنقل هذه الولاية منه بهيئة الولاية العامة الى الفقهاء العظام، وقد تم اثبات هذه الحقيقة في محلها بالبراهين المحكمة والاستدلالات القوية بما لا يبقى أي مجال للشك فيها عند المنصف.

ومن هنا يتضح أن فهم حقيقة القرآن كالتوحيد والمعاد والولاية يرتبط بالتعلق القلبي والعملي مع الرسول الأكرم ﷺ، وان المقتدى الحقيقي للناس الثابت في العلم الأزلي هم الله والأنبياء والأئمة والقرآن والفقهاء الجامعون للشرائط، ولا يدرك الانسان هذا المعنى إلا بمعرفة الرسول الأكرم ﷺ واتباعه واطاعته.

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^١، أَي مَنْ كَانَ أَقْتَدَى بِمُحِقِّ قَبْلِ وَزُكِّيَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^٢.

المقتدى في الدنيا والآخرة:

يشير القرآن الكريم الى هذه النقطة المهمة أن مقتداكم وامامكم يوم القيامة هو نفس مقتداكم وامامكم في الدنيا، فان كان مقتداكم في الدنيا امام هداية فانه سيبقى معكم في الآخرة حتى دخول الجنة والوصول الى مقام الرضوان الالهي، وان كان مقتداكم امام ضلالة وكفر فسيبقى معكم أيضا في الآخرة حتى ورودكم العذاب الالهي وبئس المصير!

* * *

وفي نهاية القسم الأول من الرواية يشير الامام الصادق عليه السلام الى هذه النقطة المهمة جدا:

ان الاقتداء لا يعني التعلق الظاهري بالمقتدى وتقليد مجموعة من الحركات

١- الاسراء ١٧ : ٧١ .

٢- المؤمنون ٢٣ : ١٠١ .

والتصرفات؛ بل يعني الاتباع الكامل في الأعمال والأخلاق والعقائد للمقتدى
الالهي.

وحول هذا الموضوع، واستنادا لآيات القرآن الكريم والروايات الواردة عن
أهل بيت العصمة عليهم السلام، يقول الطريحي في كتابه «مجمع البحرين»: **«الْوَالِيَةُ مَحَبَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَاتِّبَاعُهُمْ فِي الدِّينِ وَأَمْتَالُ أَوْامِرِهِمْ
وَنَوَاهِيهِمْ وَالتَّاسِّي بِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ»** .^١

وعلى كل حال، الاقتداء بهذا الشكل هو اقتداء عقلائي ووجداني وطبيعي
وشرعي، ويحقق سعادة الانسان في الدنيا والآخرة، وبدونه تصبح الحياة والعمل
والسعي مورثة للندم والحسرة والشقاء والهلاك الأبدي؛ لأن الله تعالى قال:
«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ»، أي من اقتدى بمحق قبل في جميع
المجالات، ومن اقتدى بباطل فهو مردود ومرفوض.

وفي الآية الشريفة التي ذكرها الامام الصادق عليه السلام في نهاية الرواية، يقول
تعالى:

«فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ»، أي
عندما ينفخ في الصور للاعلان عن يوم القيامة لا يفيد الانسان سوى عمله
الصالح وأخلاقه وإيمانه، ولا أهميه للانساب والمقامات وما كان عليه آباؤهم
وأجدادهم أو قبائلهم.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدَةٌ فما تعارفَ منها اتَّلفَ وما تناكرَ منها اختلفَ. وقيلَ لمحمدِ بنِ الحنفية عليه السلام: من أدبكَ؟ قال أدبني ربي في نفسي فما استحسنته من أولي الألبابِ والبصيرةِ تبعتهُم به واستعملتهُ وما استقبحتهُ من الجهالِ اجتنبتهُ وتركتهُ مستنقراً فأوصلني ذلك إلى كنوزِ العلمِ».

الافتداء بالأولياء:

يتابع الامام الصادق عليه السلام رواية باب الافتداء، فيقول:
يول أمير المؤمنين عليه السلام: الأرواح قبل الأجساد جنود مجندة، فما تعارف منها في عالم الشهود ائتلف واجتمع حول محور الحق، وما تناكر منها اختلف وابتعد عن الحق.

وقد قيل لمحمد بن الحنفية: من أدبكَ؟ قال أدبني ربي، حيث منحني قوة في العقل والروح مكنتني من التمييز بين الحق والباطل فما استحسنه من أولي الألباب والبصيرة تبعته واقتديت به واستعملته، وما استقبحته من الجهال اجتنبته وتركته مستنقراً، فأوصلني ذلك إلى كنوز العلم.

«وَلَا طَرِيقَ لِلْأَكْيَاسِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْلَمَ مِنَ الْإِقْتِدَاءِ لِأَنَّهُ الْمَنْهَجُ الْأَوْضَحُ
وَالْمَقْصَدُ الْأَصَحُّ. قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِأَعَزُّ خَلْقِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ: ﴿أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهَدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾».

الاقْتِدَاءُ الصَّحِيحُ أَفْضَلُ طَرِيقٍ لِلْهُدَايَةِ:

في هذا المقطع من الرواية يقول الامام الصادق عليه السلام:

لا طريق للأكياس من المؤمنين أسلم من الاقتداء الصحيح والالهي؛ لأن
الاقْتِدَاءَ بِالْحَقِّ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالْأئِمَّةِ وَالْقُرْآنِ وَالْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ هُوَ الْمَنْهَجُ الْأَوْضَحُ
وَالْمَقْصَدُ الْأَصَحُّ وَأَفْضَلُ الطَّرِيقِ وَأَنْجَعُهَا وَأَكْثَرُهَا فَائِدَةً، إِذْ أَنْ طَرِيقَ الْعَقْلِ لَا
يَفِي بِجَمِيعِ الْحَقَائِقِ لِأَنَّهُ عَقْلٌ جَزْئِي يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْإِحَاطَةُ بِجَمِيعِ الْأَحْكَامِ
وَالْوَقَائِعِ فَمَنْ بَابٍ أَوْلَى تَكُونُ الطَّرِيقُ الْأُخْرَى أَوْضَعُفًا، أَمَا اتِّبَاعُ حَضْرَةِ الْحَقِّ فَهُوَ
اتِّبَاعٌ لَوْجُودِ خَيْرٍ بِجَمِيعِ الْحَقَائِقِ وَاتِّبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأئِمَّةِ عليهم السلام اتِّبَاعٌ لِلْعَقْلِ الْمَتَّصِلِ
بِالْعَقْلِ الْكَلْبِيِّ، وَاتِّبَاعُ الْقُرْآنِ هُوَ أَخْذُ النُّورِ مِنَ الْمَصْدَرِ الثَّابِتِ الْأَزْلِيِّ، وَاتِّبَاعُ
الْعُلَمَاءِ الرَّبَانِيِّينَ هُوَ اتِّبَاعٌ لِلْهُدَاةِ وَالْمُرْشِدِينَ نَحْوَ التَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْإِمَامَةِ.

يقول الله العزيز في القرآن المجيد:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾!

حيث تلاحظون أن هذه الآية الشريفة تبين طريق الاقتداء الصحيح، فأنبأ الله حسب ما جاء في نهج البلاغة هم أطباء والخلق مرضى في العقل والروح والنفس، ولا يملك أحد سوى هؤلاء الأطباء الدواء المناسب لعلاج هؤلاء المرضى.

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾. فَلَوْ كَانَ
لِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى مَسْلَكَ أَقْوَمَ مِنَ الْأَقْتِدَاءِ لَنَدَبَ أَوْلِيَاءَهُ وَأَنْبِيَاءَهُ إِلَيْهِ قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: فِي الْقَلْبِ نَوْرٌ لَا يُضِيءُ إِلَّا فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَقَصْدِ السَّبِيلِ وَهُوَ
مِنْ نُورِ الْأَنْبِيَاءِ مُودَعٌ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ.

الاقْتِدَاءُ بِالدِّينِ الْحَنِيفِ:

يقول الله عز وجل في كتابه الكريم:

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾.

وبعد ذكر هذه الآية الشريفة، يقول الامام الصادق عليه السلام:

لو كان لدين الله تعالى مسلك وطريق أقوم وأفضل من الاقتداء بالحق والاتباع
الصحيح لندب أوليائه وأنبياءه ودعاهم اليه.

فقال النبي ﷺ:

«فِي الْقَلْبِ نَوْرٌ لَا يُضِيءُ إِلَّا فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَقَصْدِ السَّبِيلِ
وَهُوَ مِنْ نُورِ الْأَنْبِيَاءِ مُودَعٌ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ».

فعلى المؤمن الاقتداء بالحق واجتناب الباطل واختيار الطريق الوسط والابتعاد عن الافراط والتفريط لأنه نور الأنبياء الذي أودعه الله في قلوب المؤمنين.

وفي ختام هذه الرواية ينبغي التذكير بهذه النقطة المهمة:

ان الابتعاد عن الاقتداء الصحيح يؤدي الى اطفاء نور الفطرة والسقوط في وادي الضلالة وخسارة سعادة الدنيا والآخرة، وهذا الابتعاد سيجعل الانسان مصداقا للآيات التالية:

﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^١.

﴿مَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾^٢.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^٣.

١- البقرة ٢: ٦.

٢- الأنعام ٦: ١٢٥.

٣- آل عمران ٣: ٢٢.

الباب

(٦٠)

في مدح العفو

قال الصادق عليه السلام :

العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتقين.
وتفسير العفو أن لا تلزم صاحبك فيما أجرم ظاهراً وتنسى من الأصل
ما أصبت منه باطناً وتزید علی الاختيارات إحصاناً.
ولكن يجد إلى ذلك سبيلاً إلا من قد عفى الله تعالى عنه وعفّر له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر وزينه وأكسبه من نور بهائه لأن العفو والغفران
صفتان من صفات الله تعالى أودعهما في أسرار أصفائه ليتخلفوا مع
الخلق بأخلاق خالقهم وجاعلهم كذلك.
قال الله تعالى:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾^١.

ومن لا يعفو عن بشر مثله كيف يرجوا عفو ملك جبار؟ وقال
النبي ﷺ حاكياً عن ربه يأمره بهذه الخصال قال: صل من قطعك،
واعف عن ظلمك وأعط من حرمك وأحسن إلى من أساء إليك.
وقد أمرنا بمتابعتيه بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا
نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^٢.

١- النور ٢٤: ٢٢.

٢- الحشر ٥٩: ٧.

وَالْعَفْوُ سِرُّ اللَّهِ فِي قُلُوبِ خَوَاصِهِ فَمَنْ بَشَّرَ اللَّهَ لَهُ يَسَّرَ لَهُ.
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَيْعِجِزُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمٍ؟
 قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَبُو ضَمْضَمٍ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ
 يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى النَّاسِ عَامَّةً.

«الْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ وَالْمُتَّقِينَ».

العفو:

في هذا الفصل يشير الامام الصادق عليه السلام الى واحدة من أهم الصفات الحميدة والفضائل الأخلاقية الحسنة التي تمثل الصفة البارزة في سلوك الأنبياء والملتقين الا وهي صفة العفو.

انما يحصل العفو في الموارد التي يتعرض فيها الانسان للأذى من قبل الأب والأم أو الزوجة والابن أو الأقرباء والأصدقاء والمعارف والأقوام أو من قبل سائر الناس، بحيث يكون هذا الأذى ناشئا عن غفلة الطرف المقابل أو الجهل والحسد والاشتباه والخطأ، وفي جميع هذه الموارد أمر الله تعالى والأنبياء الالهيين والأئمة الطاهرين عليهم السلام بالعفو والصفح، وأمروا بعد العفو بالاحسان للمسيء.

أما اذا كان هذا الأذى صادرا في ميدان المعركة من الكفار والمشركين الذين يضمرون الشر بالدولة الاسلامية والقرآن الكريم، فلا مجال للعفو والصفح في هذه الموارد؛ بل هو مجال الحرب والجهاد والقضاء على أعداء الدين الا اذا تراجع هذا العدو عن مؤامراته المشؤمة وأذعن لمطالب الناس وتحمل الخسائر

الناتجة عن عدوانه وطلب الصلح من المسلمين وندم حقا عن سلوكه المشين، أو أنه تعرف خلال الحرب على تعاليم الدين الاسلامي وأراد الدخول بنحو ما في الاسلام، فهنا يتحقق مورد العفو والصلح والسلم.

يقول تعالى في القرآن الكريم:

﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَتَحْنُ لَهُ
عَابِدُونَ﴾^١.

والمراد من صبغة الله صفات حضرة الحق والعفو والصفح عن المسيء الجاهل اذا ما أذعن بخطأه واشتباهه وندم عليه.

ان العفو مفتاح الفرج ووسيلة مهمة لحل مشاكل الناس، وعاملا لجذب الأفراد المخطئين والمسئين المقرين بخطأهم واشتباههم، وسببا لايجاد المحبة والوثام بين المسيء ومن تعرض للاساءة.

ان الغضب والانفعال شر والعفو والصفح خير، فالغضب من صفات ابليس والعفو من صفات حضرة الحق تعالى.

فعلیکم أن تمرنوا على العفو والصفح والحلم والصبر عما يلحق بكم من أذى وإساءة من أبناء جنسكم والمؤمنين والمسلمين والأقوام والأقارب حتى تتحلوا تدريجيا بهذه الحسنه الالهية، ويصبح وجودكم مصدرا للخير والرحمة والكرامة.

وقد ذكرت المعارف الالهية العفو كنوع من العبادة وخصصت لصاحبه ثوابا جزيلاً، لأن العفو يجعل المسيء يشعر بالخجل والندم على ما فعله، وقد يتحول

الحلم والصبر والعفو الى نور لهداية البشر والمسيئين.

فاذا ما تعرضتم لأذى الناس وامتلاتم غضبا وانفعالا بما يعيدكم عن مدار الحق والحقيقة، عليكم تذكّر الله تعالى واللجوء اليه والاعتماد على لطفه ورحمته، وعليكم تذكّر مدى عظمة الذنوب التي ارتكبتوها طيلة فترة حياتكم لكن الله عفا وصفح عنكم، لذا ومن باب شكر هذا العفو والصفح ينبغي عليكم العفو عن الآخرين، وغض البصر عما ارتكبه من أخطاء بحقكم، وطلب المغفرة لهم من الله عزّ وجل، والاحسان اليهم ان تطلب الأمر حتى يتحلوا بأخلاق الله وصفاته الحسنة وتتلون قلوبكم وأرواحكم بصيغة الله ومن أحسن من الله صبغة.

العفو في القرآن المجيد:

بين القرآن المجيد مسألة العفو من جهتين، الأولى للاخبار عن عفو الله عن التائبين النادمين على خطأهم واساءتهم، والثانية للطلب من الناس العفو والصفح عن بعضهم البعض حتى يتحلوا بأخلاق الله وصفاته الحسنة.

عفو الله عن عباده:

قال تعالى:

﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ * ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾!

فلاحظوا كيف عفا الله عن بني اسرائيل بعد توبتهم وندمهم رغم عظمة ذنبهم وشدة قبحه، وهذا السلوك الالهي يفرض علينا الاقتداء بحضرة الحق والعفو عن اخواننا المسيئين بحقنا والصفح عنهم التزاماً بأوامر الله تعالى وتعاليمه السمحاء.

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^١.

وقال تعالى:

﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾^٢.

وقال تعالى:

﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخَفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾^٣.

وقال تعالى:

١- آل عمران ٣ : ١٥٢ .

٢- النساء ٤ : ٩٩ .

٣- النساء ٤ : ١٤٩ .

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾^١.

عفو العباد عن المسيئين:

تبين الآيات السابقة عفو الله وصفحه عن العاصين المتجاوزين على حدود الله بعد ان تابوا وندموا عن خطيئهم واساءتهم، أما الآيات التي تطلب من العباد العفو عن المسيئين بحقهم اذا ما كانت اساءتهم ناشئة عن الجهل والغضب، فهي:
قال تعالى:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى
الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا
وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾^٢.

وقال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ
الْقَلْبِ لَآتَفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^٣.

١- الثورى ٤٢ : ٢٥ .

٢- النور ٢٤ : ٢٢ .

٣- آل عمران ٣ : ١٥٩ .

وقال تعالى:

﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^١

وقال تعالى:

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^٢

العفو في الروايات:

قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْعَفْوُ تَاجُ الْمَكَارِمِ»^٣.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «شَيْئَانِ لَا يُوزَنُ ثَوَابُهُمَا: الْعَفْوُ وَالْعَدْلُ»^٤.

وقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قِلَّةُ الْعَفْوِ أَقْبَحُ الْعُيُوبِ، وَالتَّسْرِعُ إِلَى الْإِتِّقَامِ أَعْظَمُ

الذُّنُوبِ»^٥.

وقال: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَعْفُو عَنِ الزَّلَّةِ وَلَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ»^٦.

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

رَأَيْتَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي قَصُورًا مَسْتَوِيَةً مَشْرِفَةً عَلَى الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ يَا جَبْرِيْلُ: لِمَنْ

هَذَا؟ فَقَالَ: لِلْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ^٧.

١- المائدة ٥: ١٣.

٢- الأعراف ٧: ١٩٩.

٣- غرر الحكم: ٢٤٥، الحديث ٥٠٠١.

٤- غرر الحكم: ٤٤٦، الحديث ١٠٢١٤؛ مستدرک الوسائل: ١١/٣٢٠، الباب ٣٧.

٥- غرر الحكم: ٤٦٥، الحديث ١٠٦٩٢.

٦- غرر الحكم: ٢٤٥، الحديث ٥٠١٦.

٧- كنز العمال: ٧٠١٦.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَفَا عِنْدَ قُدْرَةِ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ
الْعَثْرَةِ»^١.

وجاء في الرواية:

وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ خدمه، فقال له: "اعف عنهم تستصلح به
قلوبهم"، فقال: يا رسول الله، إنهم يتفاوتون في سوء الأدب، فقال: "اعف عنهم"
ففاعل.^٢

وَعَنْ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى
اللَّهِ أَجْرٌ فَلْيُقِّمْ. فَلَا يَقُومُ إِلَّا الْعَافُونَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَهُ تَعَالَى:
﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾»^٣.

مالك الأشتر والعفو:

تميز مالك الأشتر بانسانيته وحسن أخلاقه وقوة إيمانه وكثرة عمله الصالح
فكان موجودا هيا ملكوتيا ومثالا للاعتقاد والايمان وحسن الأخلاق والعمل
الصالح، وما قاله أمير المؤمنين عليه السلام بحق هذا الشخصية الالهية بين عظمة منزلته
ومكانته.

وأثناء تصديه لقيادة جيش أهل العراق في زمن خلافة أمير المؤمنين عليه السلام
وفي فترة قدرته وقوته وعظمة منزلته حتى أن العدو كان يرتعش لمجرد السماع

١- كنز العمال: ٧٠٢٣.

٢- مستدرک الوسائل: ٧/٩، الباب ٩٥، الحديث ١٠٠٤١.

٣- الشورى (٤٢): ٤٠.

٤- أعلام الدين: ٣٣٧، الحديث ١٦؛ بحار الأنوار: ١٨٢/٧٤، الباب ٧، الحديث ١٦.

باسمه، يحكى أن مالكا الأشرع رحمته الله كان مجتازا بسوق الكوفة وعليه قميص خام وعمامة منه، فرآه بعض السوقه فازدري بزيه، فرماه ببندقة تهاونا به، فمضى ولم يلتفت. فقيل له: ويلك! أتدري بمن رميت؟ فقال: لا، فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام.

فارتعد الرجل ومضى إليه ليعتذر منه، فرآه وقد دخل مسجدا وهو قائم يصلي، فلما انفتل أكب الرجل على قدميه يقبلهما، فقال: ما هذا الأمر؟ فقال: أعتذر إليك مما صنعت. فقال: لا بأس عليك؛ فوالله ما دخلت المسجد إلا لاستغفرن لك.^١

١- شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ٢٤٠/٢، الباب ٣٥؛ تنبيه الخواطر: ٢/١.

«وَتَفْسِيرُ الْعَفْوِ أَنْ لَا تُلْزِمَ صَاحِبِكَ فِيمَا أَجْرَمَ ظَاهِرًا وَتَنْسَى مِنَ الْأَصْلِ مَا أَصَبْتَ مِنْهُ بَاطِنًا وَتَزِيدَ عَلَى الْأَخْتِيَارَاتِ إِحْسَانًا. وَلَنْ يَجِدَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا إِلَّا مَنْ قَدْ عَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَفَّرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ وَزَيَّنَهُ وَأَلْبَسَهُ مِنْ نُورِ بَهَائِهِ لِإِنَّ الْعَفْوَ وَالْغُفْرَانَ صِفَتَانِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْدَعَهُمَا فِي أَسْرَارِ أَصْفِيَائِهِ لِيَتَخَلَّقُوا مَعَ الْخَلْقِ بِأَخْلَاقِ خَالِقِهِمْ وَجَاعِلِهِمْ كَذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١. وَمَنْ لَا يَعْفُو عَنْ بَشَرٍ مِثْلِهِ كَيْفَ يَرْجُوا عَفْوَ مَلِكٍ جَبَّارٍ؟ وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حَاكِيًا عَنْ رَبِّهِ يَا مُرَّةُ بِهِذِهِ الْخِصَالِ قَالَ: صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَاعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ. وَقَدْ أَمَرْنَا بِمُتَابَعَتِهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^٢. وَالْعَفْوُ سِرُّ اللَّهِ فِي قُلُوبِ خَوَاصِّهِ فَمَنْ بَشَّرَ اللَّهُ لَهُ يَسَّرَ لَهُ».

لذة العفو:

لقد تحدثنا في الحديث السابع والخمسين عن الحلم والأناة والصبر الذي

١- النور ٢٤: ٢٢.

٢- الحشر ٥٩: ٧.

يرتبط كثيرا بمسألة العفو؛ لأن العفو فاكهة الحلم، وقد طرحنا فيه مسائل كثيرة ترتبط بهذا الموضوع؛ لذلك لا نجد في هذا الفصل حاجة للتوضيح والتفسير أكثر، وإنما سنكتفي ببيان معنى الحديث فقط.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

تفسير العفو هو أنك اذا ما تعرضت لاساءة أو جرم من صاحبك فلا تهتم بالانتقام منه، ولا تظهر له ذلك التقصير والاساءة ولا تلزمه به وسامحه على فعله بلسانك وقلبك وظاهره وباطنك، واسعى للاحسان اليه أكثر مما مضى!

ولن يتمكن أحد من هذه الصفة الحسنة إلا من ذاق حلاوة عفو الله عن ذنوبه وغفر له ما تقدم من ذنوبه وما تأخر، وتزين برحمة الله وبصفاته الحسنة وأخلاقه الحميدة وألبسه نور بهائه وغرق بنور رحمته ولطفه، فالعفو صفة الأخيار وأولياء الله.

ان العفو والمغفرة والصفح عن اساءة الناس ومعصيتهم هي من صفات الله أودعها في قلوب الأصفياء من عباده، حتى يتخلقوا بأخلاق ربهم وخالقهم، لأن العبد مهما كان مستغرقا بالعبادة والعبودية للحق تعالى، فانه يبقى عبدا ضعيفا محتاجا للعفو الله ومغفرته وفضله، ولا يمكنه بالعبادة فقط بلوغ مراتب الكمال والقرب الالهي.

فقد أمر الله تعالى بالعفو والصفح عن الآخرين فقال:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

فمن لا يعفو عن بشر مثله كيف يرجوا عفو ملك جبار.

وقال النبي ﷺ أمرني ربي بهذه الخصال:

١- صلُّ مَنْ قَطَعَكَ.

٢- وَأَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ.

٣- وَأَعْظِ مَنْ حَرَمَكَ.

٤- وَأَحْسِنْ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ.

وكثيرا ما أمر النبي الأكرم الناس بالتحلي بهذه الخصال ونهاهم عن اتباع صفات الشيطان، ولهذا نحن ملزمون حسب آيات القرآن المجيد باتباع ما أمرنا به النبي ﷺ والابتعاد عما نهانا عنه.

ان العفو والغفران والصفح عن اساءة الآخرين سر من أسرار الله أودعه في قلوب خاصة أوليائه وبشارة منه تعالى لعباده، أي يقول لهم يا عبادي كلما أمرتكم بالعفو وانتم خلقي وعبادي، فانا خالقكم وربكم أولى منكم بتطبيق هذا العفو والصفح والمغفرة. وكل من اتصف بهذه الصفة الحميدة سيحضى بمساعدة الله وعونه في حل مشاكله في الدنيا والآخرة.

«وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَيَعِجْزُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمُضَمٍ؟
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَبُو ضَمُضَمٍ؟ قَالَ: رَجُلٌ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ
يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى النَّاسِ عَامَّةً.»

أبو ضمضم والعفو:

كان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه:

أَيَعِجْزُ أَحَدَكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمُضَمٍ؟
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَبُو ضَمُضَمٍ؟
قَالَ: رَجُلٌ مِمَّنْ قَبْلَكُمْ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ
تَصَدَّقْتُ بِعَرَضِي عَلَى النَّاسِ عَامَّةً.

فكان هذا الرجل يعفو ويصفح عن كل من أساء إليه ويتصدق بهذا العفو على

الناس عامة.

اللهم! نسألك التوفيق في التحلي بمكارم الأخلاق وفضائلها والطهارة من
رذائل النفس وأهوائها، فكل ما نحضى به من نعم انما بلطفك وفضلك ومن
خزائن رحمتك، فأنت القادر المنان على العباد وأنت الناصر والمعين ولا أحد
سواك قادر على مساعدة الانسان وهدايته.

الباب

(٦١)

في حسن الخلق

قال الصادق عليه السلام:

الْخُلُقُ الْحَسَنُ جَمَالٌ فِي الدُّنْيَا وَتُزْهَةٌ فِي الْآخِرَةِ وَبِهِ كَمَالُ الدِّينِ
وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَا يَكُونُ حُسْنُ الْخُلُقِ إِلَّا فِي كُلِّ وَلِيٍّ وَصَفِيٍّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبِي أَنْ
يَتْرَكَ الْطَافَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ إِلَّا فِي مَطَايَا نُورِهِ الْأَعْلَى وَجَمَالِهِ الْأَزْكَى،
لِأَنَّهَا خَصْلَةٌ يَخْتَصُّ بِهَا الْأَعْرَفُ بِرَبِّهِ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي حَقِيقَةِ حُسْنِ الْخُلُقِ
إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خَاتَمُ زَمَانِنَا حُسْنُ الْخُلُقِ وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ الْطَافُ
شَيْءٌ فِي الدِّينِ وَأَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ، وَسَوْءُ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا
يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ، وَإِنْ ارْتَقَى فِي الدَّرَجَاتِ فَمَصِيرُهُ إِلَى الْهَوَانِ.

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُسْنُ الْخُلُقِ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَصَاحِبُهُ مُتَمَلِّقٌ
بِغُصْنِهَا يَجْذِبُهُ إِلَيْهَا، وَسَوْءُ الْخُلُقِ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ فَصَاحِبُهَا مُتَمَلِّقٌ بِغُصْنِهَا
يَجْذِبُهُ إِلَيْهَا.

«الْخُلُقُ الْحَسَنُ جَمَالٌ فِي الدُّنْيَا وَنَزْهَةٌ فِي الْآخِرَةِ وَبِهِ كَمَالُ الدِّينِ وَقُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى».

حقيقة الخلق الحسن:

يقول الامام الصادق عليه السلام:

الخلق الحسن جمال في الدنيا ونزهة في الآخرة، وبه كمال الدين وقربة الى الله تعالى.

ان الخلق الحسن من أعظم النعم الالهية الموجبة لبط الرزق، وزيادة المحبة عند الخالق والمخلوق، وشعور الانسان بالسكينة والراحة في عيشه وحياته، وتدفع الانسان نحو ترقى مراتب الكمال ودرجاته الرفيعة.

والخلق الحسن مجموعة من الصفات الحميدة وفضائل الأخلاق من قبيل البشاشة والرحمة والمودة والمحبة والتواضع والخضوع والخشوع والعفو والاحسان بالوالدين والجود والسخاء والكرم والمروءة.

وقد تحدثنا بالتفصيل عن قسم من هذه الصفات في الروايات السابقة من «مصباح الشريعة»، مثل السخاء في الباب ٥٣، والمؤاخاة في الباب ٥٥، والحلم في الباب ٥٧، والتواضع في الباب ٥٨، والعفو في الباب ٦٠، وسيأتي انشاء الله

شرح وتوضيح الصفات الأخرى كالأحسان بالوالدين في الباب ٧١، والصبر في الباب ٩١ والحياء في الباب ٩٣، لهذا تحمل رواية هذا الباب عنوان الصفات الحميدة وسنكتفي بتوضيح معناها فقط، سائلين المولى عز وجل أن يوفقنا للتخلق بالأخلاق الحسنة.

«وَلَا يَكُونُ حُسْنُ الْخُلُقِ إِلَّا فِي كُلِّ وَلِيٍّ وَصَفِيٍّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَبِي أَنْ
يَتْرَكَ الْطَافَةَ وَحُسْنَ الْخُلُقِ إِلَّا فِي مَطَايَا نُورِهِ الْأَعْلَى وَجَمَالِهِ الْأَزْكَى،
لِأَنَّهَا خَصْلَةٌ يَخْتَصُّ بِهَا الْأَعْرَفُ بِرَبِّهِ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي حَقِيقَةِ حُسْنِ
الْخُلُقِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.»

فالخلق الحسن حقيقة لا نجدها إلا في نفوس وقلوب خاصة أولياء الله
وأصفيائه لأنهم يمثلون خزائن رحمة الله ولطفه وأوعية علمه وصفاته، فهذا الكنز
الالهي لا يمكن أن يودع في أي وعاء وصدف.
وقد أبى الله تعالى أن يترك أطفاه وعناياته وحسن الخلق إلا في من يتحمل
نوره الأعلى وجماله الأزكى، لأن حسن الخلق خصلة يختص بها العارف بربه
ولا يعرف قدرها إلا الله تعالى.

«قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: خاتَمَ زَمَانِنَا حُسْنَ الْخُلُقِ وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ الْطَفُّ
شَيْءٌ فِي الدِّينِ وَأَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ، وَسَوْءُ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا
يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ، وَإِنْ ارْتَقَى فِي الدَّرَجَاتِ فَمَصِيرُهُ إِلَى الْهَوَانِ».

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وخاتم الأنبياء ﷺ:

ان حسن الخلق والخلق الحسن أطف الأشياء في الدين وأثقلها في ميزان
العمل الصالح وهو زينة الانسان وكماله.
وسوء الخلق يفسد عمل الانسان كما يفسد الخل العسل.
واذا ما تلوث الانسان بسوء الخلق فمصيره الهوان والخلود في النار حتى لو
ارتقى في درجات الكمال الأخرى.

«قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: حُسْنُ الْخُلُقِ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَصَاحِبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِغُصْنِهَا يَجْذِبُهُ إِلَيْهَا، وَسُوءُ الْخُلُقِ شَجَرَةٌ فِي النَّارِ فَصَاحِبُهَا مُتَعَلِّقٌ بِغُصْنِهَا يَجْذِبُهُ إِلَيْهَا».

قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

ان الخلق الحسن شجرة في الجنة يتعلق بغصنها صاحب الاخلاق الحميدة فيجذبه اليها، كما ان سوء الخلق شجرة في النار يتعلق بغصنها صاحب الأخلاق السيئة فيجذبه اليها.

قال تعالى:

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾!

فاسعوا أولا الى معرفة مراحل حسن الخلق وسوء الخلق، واذا ما تعرفتم على موارد هما عن طريق القرآن وكتب الحديث وكتب الأخلاق خاصة «جامع السعادات» و«المحجة البيضاء» عليكم بالتحلي بالصفات الحميدة والخلق الحسن وتجنب الصفات الشيطانية وسوء الخلق لأن التزين بالحسنات وتجنب السيئات هو السبيل الوحيد لتحصيل السعادة في الدارين.

الباب

(٦٢)

في العلم

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

الْعِلْمُ أَصْلُ كُلِّ حَالٍ سَنِيٍّ وَمُنْتَهَى كُلِّ مَنَزَلَةٍ رَفِيعَةٍ، لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَيْ عِلْمُ التَّقْوَى وَالْيَقِينِ .
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُطْلَبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصِّينِ وَهُوَ عِلْمُ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَفِيهِ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ .

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ .

ثُمَّ عَلَيْكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا لَا يَصِحُّ الْعَمَلُ إِلَّا بِهِ وَهُوَ الْأَخْلَاصُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُضَادُّ الْعَمَلَ بِالْأَخْلَاصِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَ الْعِلْمِ يَخْتَاجُ إِلَى كَثِيرِ الْعَمَلِ، لِأَنَّ عِلْمَ سَاعَةٍ يُلْزِمُ صَاحِبَهُ اسْتِعْمَالَ طَوْلِ الْعُمُرِ .

قَالَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : رَأَيْتُ حَجْرًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ: اِقْلِبْنِي فَقَلْبْتُهُ فَاذَا عَلَيْهِ مِنْ بَاطِنِهِ مَكْتُوبٌ : مَنْ لَا يَعْمَلُ بِمَا يَعْلَمُ مَشُومٌ عَلَيْهِ طَلَبُ مَا لَا يَعْلَمُ وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ مَا عَمِلَ .

أَوْحَى اللَّهُ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ أَهْوَنَ مَا أَنَا صَانِعٌ بِعَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ بِعِلْمِهِ أَشَدُّ مِنْ سَبْعِينَ عَشْرَةَ بَاطِنِيَّةً أَنْ أُخْرِجَ مِنْ قَلْبِهِ حَلَاوَةٌ ذِكْرِي .

وَأَيْسَرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى طَرِيقٌ يُسَلِّكُ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ زِينَةُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا وَسِيَّاقُهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَبِهِ يَصِلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَالْعَالِمُ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَنْطِقُ عَنْهُ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ وَأَوْرَادُهُ الزَّكَايَةُ وَصَدَقَهُ تَقْوَاهُ، لَا لِسَانَهُ وَمُنَاطَرَتَهُ وَمُعَادَلَتَهُ وَتَصَاوُلَهُ وَدَعْوَاهُ .

وَلَقَدْ كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ فِي غَيْرِ هَذَا الزَّمَانِ مَنْ كَانَ فِيهِ عَقْلٌ وَنُسْكٌ
 وَحَيَاءٌ وَخَشْيَةٌ وَأَنَا أَرَى طَالِبَهُ الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ.
 وَالْمُعَلِّمُ يَحْتَاجُ إِلَى عَقْلِ وَرَفْقٍ وَشَفَقَةٍ وَنُصْحٍ وَحِلْمٍ وَصَبْرٍ وَبَذَلٍ.
 وَالْمُتَعَلِّمُ يَحْتَاجُ إِلَى رَغْبَةٍ وَإِرَادَةٍ وَفَرَاغٍ وَنُسْكٍ وَخَشْيَةٍ وَحِفْظٍ وَحَزْمٍ.

«الْعِلْمُ أَصْلُ كُلِّ حَالٍ سَنِيٍّ وَمُنْتَهَى كُلِّ مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ، لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «
طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَيْ عِلْمُ التَّقْوَى وَالْبَقِيَّةِ».

علم الدين:

يتضمن هذا المقطع من الدعاء توصيات وارشادات نافعة جداً، حيث نستفيد من نص هذه الرواية وجميع جملها أن المقصود بالعلم فيها هو علم خاص، وهو علم الدين وعلم التقوى واليقين الذي يعد تعلمه واجب عيني على جميع العباد. ورغم أن الاسلام قد اهتم بكل عمل يخدم الانسان والبشرية، لكن اهتمامه بعلم الدين أو علم التربية قد فاق كل اهتمام.

في الجزء الأول من هذا الكتاب أشرنا الى بعض الآيات والروايات الخاصة بباب العلم والتي بينت القيمة العليا لهذه الحقيقة التي تمثل نور الله في قلوب عباده، واذا ما أردتم الاطلاع على تفصيل آيات باب العلم والروايات الخاصة به يمكنكم مراجعة العديد من الكتب القيمة في هذا المجال منها، كتاب «بحار الأنوار» الجزء الأول و «الكافي» الجزء الأول و «المحجة البيضاء» الجزء الأول و «دانش مسلمين» تأليف محمد رضا حكيمي، أما اذا أردتم التعرف على تراجم الشخصيات العلمية التي بذلت جهودا جليلة في خدمة نشر العلوم

الاسلامية فيمكنكم مراجعة كتب «أعيان الشيعة» و «الذريعة» للشيخ آقا بزرك و «شيعه و فنون اسلام» للعلامة الصدر.

وإذا ما أردت التطرق الى جميع الحقائق والوقائع التي تضمنتها هذه الرواية، فاني اسحتاج الى تأليف الكثير من الكتب والمجلدات، لذا سأكتفي بتوضيح مختصر لمعنى عبارات هذه الرواية.

ولما كان المقصود من العلم في هذه الرواية هو علم الدين، أود أن أبين للقراء الأعزاء أن جميع أجزاء كتاب العرفان الاسلامي قد اختصت بتوضيح هذه الرواية؛ لأن الامام الصادق عليه السلام قد أشار في جميع أبواب كتاب «مصباح الشريعة» المئة الى الكثير من الفضائل الأخلاقية والعرفانية والعملية والواجبات الالهية، بحيث اذا ما وفق الانسان في قراءة هذه الأبواب المئة وشرح هذا العبد الفقير الى الله، فانه سيصبح في الحقيقة في درجة العالم بالدين مما يفرض عليه واجب العمل باخلاص بهذا العلم.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

العلم أصل جميع الصفات الحسنة ومبدأ ومنشأ كل عمل خير ومنتهى كل منزلة رفيعة. وكل من افتقد نعمة العلم افتقد النور والهداية، وحرّم من علم الله وهدايته، فالجاهل انسان عديم النفع والقيمة والاعتبار وهو بلا شك مغبون في عمره وعمله ومحروم من عظمة في الدارين.

العلم بالتقوى واليقين:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَيْ

عِلْمُ التَّقْوَى وَالْيَقِينِ.

وفي توضيحه لهذه العبارة يقول العلامة المجلسي:

علم التقوى هو العلم بالأوامر والنواهي والتكاليف التي يتقى بها من عذاب الله، وعلْم اليقين علم ما يتعلق من المعارف بأصول الدين.^١

«وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ وَهُوَ عِلْمٌ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَفِيهِ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ».

طلب العلم:

وفيما يتعلق بأهمية طلب العلم، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«اطلبوا العلم ولو بالصين».

وهو كناية عن عدم قبول الله تعالى لعذر أي احد في تحصيل علم الدين حتى لو كان هذا العذر بعد طريق المعلم أو المتعلم، ثم يبين الرسول الأكرم: «وَهُوَ عِلْمٌ مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَفِيهِ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ».

قال تعالى:

﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾!

جميع العلوم في كلام الامام الصادق عَلَيْهِ السَّلَام:

سَمِعْتُ ابا عبد الله يقول: «وَجَدْتُ عِلْمَ النَّاسِ كُلَّهُ فِي أَرْبَعٍ: أَوْلَاهَا: أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ، وَالثَّانِي أَنْ تَعْرِفَ مَا صَنَعَ بِكَ، وَالثَّالِثُ

أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ، وَالرَّابِعُ أَنْ تَعْرِفَ مَا يُخْرِجُكَ مِنْ دِينِكَ»^١.

نعم، اذا ما تمكن الانسان من معرفة ربه من خلال تهيئة نفسه من الناحية الجسدية والروحية والعقلية والقلبية والظاهرية والباطنية بمساعدة القرآن والروايات الخاصة بباب معرفة الخلق، حيث ستجد أن معرفة الرب مرتبطة بمعرفة النفس، فاذا ما عرف الانسان نفسه عرف ربه عندها سيكون عبدا خاضعاً خاشعاً ذليلاً أمام ربه.

١- الكافي: ٥٠/١، باب النوادر؛ الحصال: ٢٣٩/١.

«قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»^١.

معرفة النفس:

ينقل الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ قوله:

«مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ».

بعد أن يدرك الانسان ضعف بدنه وحقارته وانه محتاج دائما للمدبر والمتصرف في أموره، وبدون هذا المدبر لا يمكن القيام بهذه الأمور والأفعال، سيقرّ بهذه الحقيقة ان هذا العالم العظيم بما يشتمله من مجردات وماديات ومركبات وبسائط وعلويات وسفليات وكل واحد منها يشتمل على أجناس متعددة وأنواع مشتتة وأفراد مختلفة وكل شخص منها يشتمل على لطائف صنع الخالق وعجائب الفطرة، كيف يمكن أن يقوم بدون مدبر ومتصرف في أموره، وهذا المدبر والمتصرف لا يكون سوى الذات القدسية لحضرة الباري تعالى المحيط بكثرة الموجودات وظاهر عالم الوجود وباطنه.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ

تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا^١.

وكما أن الشخص الواحد والجسد الواحد لا يمكن أن يحمل أكثر من نفس واحدة، وتعدد الأنفس في الجسد الواحد يوجب اختلال عمل الجسد، كذلك الحال بالنسبة لعالم الوجود لا يمكن أن يكون له أكثر من مدبر واحد والآن سيحصل الفساد في النظام العلوي والسفلي بحكم الآية:

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا^٢﴾.

وسيختل النظام فيهما مما يؤدي الى هدم أركان وأسس الحياة في عالم الوجود.

١- الكهف ١٨ : ١٠٩ .

٢- الأنبياء ٢١ : ٢٢ .

«ثُمَّ عَلَيْكَ مِنَ الْعِلْمِ بِمَا لَا يَصِحُّ الْعَمَلُ إِلَّا بِهِ وَهُوَ الْأَخْلَاصُ، قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُضَادُّ الْعَمَلَ
بِالْأَخْلَاصِ. وَأَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَ الْعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى كَثِيرِ الْعَمَلِ، لِأَنَّ عِلْمَ
سَاعَةٍ يُلْزِمُ صَاحِبَهُ اسْتِعْمَالَ طَوِيلِ الْعُمُرِ».

العلم غير النافع:

يقول الامام الصادق عليه السلام في هذا المقطع من الرواية:

بعدما تزينت بالعلم بأحكام الشرع ومعرفة النفس ومعرفة الحق، ينبغي عليك
ان تعلم أن كل عمل سواء كان واجبا أو مستحبا لا يصح ولا يقبل بدون
الاخلاص، فقد قال رسول الله ﷺ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ؛ أي العلم بدون
العمل، أو مع العمل لكن بدون اخلاص.

واعلم أن العلم القليل يحتاج الى عمل كثير؛ لأن تحصيل مسألة أو أكثر في
العلم قد تستغرق ساعة أو نصف ساعة، لكن عملها قد يلزم صاحبها استعمال
طول العمر؛ لأن العلم موجب للتكليف والمكلف يكون مسؤولا على عمله
طيلة عمره.

«قال عيسى بن مريم عليه السلام: رأيتُ حجراً مكتوباً عليه: اقلبني فقلبتُهُ فإذا عليه
من باطنه مكتوبٌ: مَنْ لا يَعْمَلُ بِمَا يَعْلَمُ مَشُومٌ عَلَيْهِ طَلَبُ ما لا يَعْلَمُ
وَمَرْدُودٌ عَلَيْهِ ما عَمِلَ.

أَوْحَى اللَّهُ إِلَى داوُدَ عليه السلام: إِنَّ أَهْوَنَ ما أَنَا صَانِعٌ بِعَالَمٍ غَيْرِ عَامِلٍ بِعِلْمِهِ أَشَدُّ
مِنْ سَبْعِينَ عَشْرَةَ بَاطِنِيَّةً أَنْ أُخْرِجَ مِنْ قَلْبِهِ حَلَاوَةٌ ذِكْرِي.»

«وَلَيْسَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى طَرِيقٌ يُسَلَّكَ إِلَّا بِالْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ زَيْنُ الْمَرْءِ فِي الدُّنْيَا
وَسِيَّاقُهُ إِلَى الْجَنَّةِ وَبِهِ يَصِلُ إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى».

لا يوجد طريق يوصل الى الله تعالى الا بالعلم والمعرفة، فعندما يتعرف
الانسان على الأنبياء والأئمة والقرآن والمعارف الالهية، فان هذه المعرفة
ستورث المعرفة بالله وتملأ قلب الانسان بعشق الحق تعالى نحو الكمال المطلق.
والعلم زينة المرء في الدنيا ويوصل العالم الى الجنة وكسب رضا الله تعالى،
وبالطبع جميع هذه الأمور تحصل نتيجة العمل بالعلم.

«وَالْعَالِمُ حَقًّا هُوَ الَّذِي يَنْطِقُ عَنْهُ أَعْمَالُهُ الصَّالِحَةُ وَأَوْرَادُهُ الزَّائِكِيَّةُ وَصَدَقَهُ تَقْوَاهُ، لَا لِسَانَهُ وَمُنَاطِرَتَهُ وَمُعَادَلَتَهُ وَتَصَاوُلَهُ وَدَعْوَاهُ. وَلَقَدْ كَانَ يَطْلُبُ هَذَا الْعِلْمَ فِي غَيْرِ هَذَا الزَّمَانِ مَنْ كَانَ فِيهِ عَقْلٌ وَتُسْكٌ وَحَيَاءٌ وَخَشْيَةٌ وَأَنَا أَرَى طَالِبَهُ الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ».

العلم والعمل:

العالم الحقيقي هو الشخص الذي ينطق عنه أعماله الصالحة وأوراده الزاكية، وتصدقه تقواه وتجنبه عن فعل الحرام والذنوب الباطنة والظاهرة، لا لسانه ومناظرته ومعادلته وتصاوله وجداله العلمي ودعواه، وجميع هذه الأمور دليل على الظلمة والجهل وليست شاهدا على النور والمعرفة!
ويقول الامام الصادق عليه السلام:

في السابق كان الأفراد المتسمون بالعقل والعبادة والحياء والخشية يسعون في طلب علم الدين، ولكن في هذا الزمان نجد من يطلب هذا العلم هم من لا يتصفون بهذه الصفات الحميدة والفضائل الحسنة.

«وَالْمُعَلِّمُ يَخْتِاجُ إِلَى عَقْلِ وَرَفَقٍ وَشَفَقَةٍ وَنُصْحٍ وَحِلْمٍ وَصَبْرٍ وَبَدَلٍ.
وَالْمُتَعَلِّمُ يَخْتِاجُ إِلَى رَغْبَةٍ وَإِرَادَةٍ وَفَرَاحٍ وَنُسُكٍ وَخَشْيَةٍ وَحِفْظٍ وَحَزْمٍ».

صفات المعلم والمتعلم:

وفي هذا المقطع من الرواية يشير الامام الصادق عليه السلام الى صفات المعلم والمتعلم، فيقول:

صفات المعلم:

يجب على المعلم أن يتصف ببعض الصفات والامتيازات التي تسهل عملية الاستفادة من علمه على أكمل وجه منها:

أن يتحلى برجاحة العقل وسلامة الفكر واليقين العقلي ليضفي صبغة مناسبة على علمه حتى يخرج منه عن الشك والوهم والظن عندما ينقله الى تلميذه والمتعلم على يديه.

أن يتحلى باللطف والرفق والشفقة والنصح والحلم والصبر والبذل، حتى يكون في أمان من الغيظ والغضب عندما يصبر المتعلم على رأيه أثناء تحقيقه حول مسألة معينة.

وأن يُبعد تعليمه عن الأغراض الفاسدة والرياء والعجب، ويراعي الاخلاص في العمل.

وان يتحلى بالحلم والصبر أثناء تدريسه وفي تعامله وسلوكه مع التلميذ والمتعلم.
وان لا يتوانى عن البذل والعطاء في علمه على المستعدين لتعلم الحقائق والوقائع العلمية، ويجنب نفسه البخل في العلم بالشكل الذي يؤثر على سلامة دينه.

صفات المتعلم:

المتعلم أيضا يجب ان يتحلى ببعض الصفات المهمة حتى يتمكن من نيل الدرجات العالية وكسب الفيوضات الربانية، منها:

أن يتحلى بقوة الارادة بحيث لا ينصرف عن الدرس والمطالعة والمباحثة حتى في أصعب الظروف وأشدّها، ولا يمنعه عن الدرس والتحصيل أي عمل.
وان يفرغ نفسه تماما للاهتمام بالتحصيل والعلم.

وان يتحلى بالعبادة والتقوى لأن العلم صفة شريفة وكمال ممدوح لا يظهر في محل حقير وقبيح.

وأن يمتلأ قلبه دائما بالخشية والخوف من الله تعالى لأنه يمنع الانسان من الوقوع في ورطة الهلاك والضلالة.

وأن يتجنب كل ما ينافي قدرة الحفظ حتى لا تضعف ذاكرته وقوة حفظه.
وأن يستفيد من مقويات التعقل والفكر ويتجنب ما ينافيهما، ويستمر على اليقظة في السحر لأنها تجلب للانسان الفيوضات والبركات والتوفيقات الالهية.

وحاصل ما تقدم:

ان تحصيل علم الدين ومعرفة الله ومعرفة النفس ومعرفة الواجبات والتكاليف ومعرفة ما يخرجك عن دينك، يستحق كل زحمة ومشقة وألم، وينبغي التضحية بكل شيء في سبيل تحصيل علم الدين لأنه لا يوجد كنز أثن منه في خزائن الخلق.

العلم عند الأنبياء:

جاء في الحديث:

«أَوَّلُ مَا يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ الْعِلْمُ وَالْخُلُقُ الْحَسَنُ»^١.

قال تعالى:

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^٢.

وبعد آدم أصبح ميراث جميع الأنبياء وأساس مقامات وأحوال جميع الأولياء، وهو العلم الذي قال عنه الخليل الجليل:

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ

صِرَاطًا سَوِيًّا﴾^٣.

وقال يعقوب عليه السلام:

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٤.

وأخبروا عن حال الخضر:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾^٥.

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ طَآءَنَّا عَنْ حُكْمٍ وَعِلْمٍ﴾^٦.

١- شرح نهج البلاغة : ٣٣٩/٦ .

٢- البقرة ٢ : ٣١ .

٣- مريم ١٩ : ٤٣ .

٤- يوسف ١٢ : ٨٦ .

٥- الكهف ١٨ : ٦٥ .

٦- الأنبياء ٢١ : ٧٤ .

وقال:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾^١.

وقال تعالى بحق أفضل الخلق:

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾^٢.

وهذا العلم لا يعد سوى قطرة من بحر العلم القديم الذي يبين أن هذه الصفة هي صفة الهية كباقي الصفات الأخرى مثل الحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام وأمثالها.

العلم كسبي وقدرتي:

أن روح وجسم نبي الله آدم عليه السلام قد شملت على القدرة والحكمة، فكان هذا العلم مصدر اخلاقه وصفاته الحسنة، حيث نزل هذا العلم في قسمين:

١- كسبي

٢- قدرتي

فما كان مرتبطا بالقدرة يتعلق بالعتاء المحض من غير علة، وما كان مرتبطا بالحكمة يتعلق بجهد الناس وكسبهم.

وقسم منها كان من عطاء الأنبياء وهو العلم الكسبي الذي توزع على ذرية بني آدم كل حسب مرتبته التي ترافقه في أصل الخلقة، أما الأولياء فرغم ما يكتسبونه من قسم عطاء الأنبياء حسب درجة اتباعهم للأنبياء واقتدائهم بهم، لكن قاعدة السلوك تكون أقوى بالنسبة لهم:

١- النمل: ٢٧: ١٥.

٢- النساء: ٤: ١١٣.

«مَا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِيًّا جَاهِلًا قَطُّ».

وانما حصل هذا لكون السلوك يمثل منهج النفس الذي يتعلق به العلم الكسبي، في حين يتعلق العلم العطائي بالروح. ولما كانت النفس تنشأ من عالم الحكمة بواسطة الاحتياج، فلا شك أن تحصيلها العلم الكسبي لا يمكن ان يتم بدون سبب، أما الروح فلما كانت قد نشأت من عالم القدرة فانها تستغني عن السبب في تحصيل العلم حيث تكون دائما مستعدة لقبول الفيض من علم الازل بلا واسطة:

وقوله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^١.

يشير الى هذا المعنى.

ان علم الدين أشرف العلوم وأفضلها وما فوقها جميعا، فهو علة خير الدنيا والآخرة لمتعلمه لأنه يحضى بقيمة معنوية ومرتبة عند الله تعالى تفوق جميع المراتب، الى درجة أن كتاب الكافي تضمن في كتاب العلم هذا الحديث: وإنه يستغفر لطالب العلم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحوت في البحر.^٢ وفي حديث آخر عن رسول الله ﷺ: إذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً.^٣

اللهم! طهر قلوبنا من جميع الذنوب والآثام، واهدي نفوسنا نحو طريق التزكية

١- النمل ٢٧: ٦.

٢- الكافي: ٣٤١/١، باب ثواب العالم والمتعلم، الحديث ١؛ ثواب الأعمال: ١٣١.

٣- منية المرید: ١٢١، فصل في العلم؛ بحار الأنوار: ١٨٦/١، الباب ١، الحديث ١١١.

والطهارة والنقاء، وانقذ أرواحنا من حجب الظلمات، ثم تطف علينا بالتوفيق الى فهم علم الدين والعمل به، لأنه لا يوجد سواه سبيل لادراك الفيض وتحصيل سعادة الدارين وكسب رضاك.

الباب

(٦٣)

في آداب الافتاء

قال الصادق عليه السلام:

لا تَحِلُّ الْفُتْيَا لِمَنْ لَا يَسْتَفْتِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِصَفَاءِ سِرِّهِ وَإِخْلَاصِ عِلْمِهِ
وَعَلَانِيَتِهِ وَبُرْهَانِ مِنْ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ لِإِنَّ مَنْ أَفْتَى فَقَدْ حَكَمَ. وَالْحُكْمُ لَا
يَصِحُّ إِلَّا بِإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَبُرْهَانِهِ وَمَنْ حَكَمَ بِخَبْرٍ بِلَا مُعَايَنَةٍ فَهُوَ جَاهِلٌ
مَأْخُودٌ بِجَهْلِهِ وَمَأْتُومٌ بِحُكْمِهِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَجْرَاكُمْ بِالْفُتْيَا أَجْرَاكُمْ عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى أَوْ لَا يَعْلَمُ الْمُفْتِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ وَهُوَ
الْحَائِلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ؟ قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كَيْفَ يَنْتَفِعُ بِعِلْمِي غَيْرِي
وَأَنَا حَرَمْتُ نَفْسِي نَفْعَهَا.

وَلَا تَحِلُّ الْفُتْيَا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ بَيْنَ الْخَلْقِ إِلَّا لِمَنْ كَانَ أَتْبَعَ الْخَلْقِ
مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ وَنَاحِيَتِهِ وَبَلَدِهِ بِالْحَقِّ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَذَلِكَ لِرَبِّمَا وَلَعَلَّ وَلَعَسَى، لِإِنَّ الْفُتْيَا عَظِيمَةٌ. وَقَالَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِقَاضٍ: هَلْ تَعْرِفُ النَّاسِيخَ وَالْمَنْسُوخَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: إِذَا
هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ.

وَالْمُفْتِي يَحْتَاجُ إِلَى مَعْرِفَةِ مَعَانِي الْقُرْآنِ وَحَقَائِقِ السُّنَنِ وَبُؤَاطِنِ
الْإِشَارَاتِ وَالْآدَابِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْأَخْتِلَافِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى أَصُولِ مَا أَجْمَعُوا
عَلَيْهِ وَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ثُمَّ إِلَى حُسْنِ الْاِخْتِيَارِ ثُمَّ الْعَمَلِ الصَّالِحِ ثُمَّ الْحِكْمَةِ
ثُمَّ التَّقْوَى ثُمَّ حِينَئِذٍ إِنْ قَدَرَ.

لَا تَحِلُّ الْفُتْيَا لِمَنْ لَا يَسْتَفْتِي مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِصَفَاءِ سِرِّهِ وَإِخْلَاصِ عِلْمِهِ
وَعَلَانِيَتِهِ وَبُرْهَانِ مِنْ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ لَا تَحِلُّ الْفُتْيَا لِمَنْ لَا يَسْتَفْتِي مِنَ
اللَّهِ تَعَالَى بِصَفَاءِ سِرِّهِ وَإِخْلَاصِ عِلْمِهِ وَعَلَانِيَتِهِ وَبُرْهَانِ مِنْ رَبِّهِ فِي كُلِّ
حَالٍ لِأَنَّ مَنْ أَفْتَى فَقَدْ حَكَمَ. وَالْحُكْمُ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِإِذْنِ مِنَ اللَّهِ وَبُرْهَانِهِ
وَمَنْ حَكَمَ بِخَبَرِ بِلَا مُعَايِنَةٍ فَهُوَ جَاهِلٌ مَأْخُودٌ بِجَهْلِهِ وَمَأْثُومٌ بِحُكْمِهِ. قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: أَجْرُكُمْ بِالْفُتْيَا أَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

حقيقة الفتوى:

في هذا الفصل يتحدث الامام الصادق عليه السلام عن مسألة الفتوى، فيبين أنها اذا كانت تحمل جوانب الهية وصفات ايجابية ستؤدي الى نجاة الناس وانقاذ الشعوب واصلاحهم، أما اذا كانت تحمل صفات سلبية فستؤدي الى ضلال الناس وانحلال الشعوب وفسادهم.

لقد التزم المتدينون منذ القدم باتباع الأنبياء والأئمة والعلماء الربانيين والتمسك بتعاليمهم وارشاداتهم واطاعة أوامرهم ما أمكنهم.

وفي زمن حضور الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام لم تكن عند الناس مشكلة في الرجوع اليهم والأخذ باوامرهم وأحكامهم الحقيقية والواقعية وتطبيقها

والعمل بها، لكن بعد غياب الأنبياء والأئمة عليهم السلام شعر الناس بحاجتهم الماسة للفتوى، فتصدى العلماء العظام والفقهاء الواجدون للشرائط التي عينها الاسلام الى مقام الافتاء بدلا عن الأنبياء والأئمة عليهم السلام ليقودوا سفينة حياة المجتمع نحو بر الأمان.

وفي جميع المراحل التاريخية بعد غيبة الحجة الثاني عشر التزم فقهاء الشيعة العظام بالجوانب الالهية للفتوى، فدافعوا عن الاسلام والمسلمين الحقيقيين في جميع الحوادث والوقائع التاريخية حتى أنهم بذلوا أنفسهم رخيصة في سبيل الله في هذا الطريق.

أما فقهاء وقضاة المذاهب الدينية الأخرى المتظاهرة بالاسلام، فلم يتصدوا لهذه المسؤولية المهمة كما فعل فقهاء الشيعة العظام؛ بل عمد بعضهم الى الاستعانة بالفتوى لتقوية دعائم الحكومات الظالمة، فحولوا عامة الناس بفتاواهم الى دمي يتلاعب بهم رجال الحكم الأموي والعباسي والحكومات الظالمة على شاكلتهم، فقد باع هؤلاء الفقهاء دينهم بدنياهم فأصلوا ملايين الأفراد عن طريق الحق!

أما المتدينون من فقهاء المذاهب الاسلامية من الشيعة والزيدية والحنفية والمالكية والحنبلية والشافعية، فقد كانوا يلتزمون دائما بفتاوى فقهاءهم ومراجعهم في مذهبهم. وفي هذا المجال تولى فقهاء الشيعة العظام مهمة هداية الشيعة نحو تعاليم الله واحكامه خاصة ما يتعلق منها بالمحافظة على أصول المذهب ومقارعة حكام الجور والظلمة حتى القضاء عليهم، فقدموا خدمات جليلة للاسلام والمسلمين في هذا الطريق.

لكن للأسف عمد بعض الفقهاء من بعض المذاهب الاسلامية الى اصدار فتاوى عجيبة أدت الى تحويل الناس من هذه المذاهب الى عبيد ودمى بأيدي الظلمة وحكام الجور، والوقوع أسرى بقيود الاستعمار والاستكبار، أو تحشيد كافة طاقاتهم للقضاء على محبي أهل بيت النبي ﷺ وأتباع الأئمة المعصومين الأثنى عشر ﷺ، فكانوا وسيلة لهلاك آلاف المؤمنين والقائهم في السجون الموحشة لبني امية وبني العباس والحكومات التي تلتهم، أو كانوا سببا لنفي الأحرار والمؤمنين، وتحشيد أتباعهم لمحاربة الشيعة والقضاء عليهم، فوجهوا بذلك ضربات موجعة للانسانية لا يمكن تلافياها.

فتوى العلامة شلتوت:

رغم الفتاوى والمواقف الفاسدة التي أصدرها بعض فقهاء المذاهب الأخرى، لكن هذا لا يعنى خلوها من الفقهاء المتدينين المنصفين الذين اتخذوا مواقف مشرفة تركت لهم اسما لامعا في تاريخ الاسلام، كما فعل العلامة محمود شلتوت الذي تحمل الكثير من المصاعب في سبيل رفع أسباب الغل والحقد بين أبناء المذاهب الاسلامية وانهاء حالة العداة والعصبية والحقد والخلافات الشيطانية التي اتخذها بعض فقهاء المذاهب الاخرى ضد الشيعة وأتباع اهل البيت عليهم السلام دون أن يتحققوا من صحة مواقفهم ولو بالاطلاع على كتب الشيعة الفقهية والأصولية والعقائدية. وبعد عشرة قرون من العداة والعصبية اتخذ هذا العالم والفقيه الفاضل طريق الانصاف والأمانة الدينية والعلمية وتحمل في سبيلها أشد المصاعب والمشاكل، ليصدر فتواه التاريخية في جامعة الأزهر بجواز تقليد مذهب الامامية في جميع المجالات وعمم هذه الفتوى على كافة البلاد

الاسلامية، وبهذا الموقف الشجاع كسب رضا الحق تعالى، وكتب اسمه بأحرف من نور في صفحات كتاب التاريخ الاسلامي.

نعم، سلك العلامة محمود شلتوت رحمته الله طريق الانصاف وتوصل الى أفضلية علوم الشيعة في كافة المجالات من خلال مطالعة كتبهم المختلفة، ليتخذ هذا الموقف التاريخي الشجاع ويصدر تلك الفتوى التاريخية ليضع نفسه أسوة ومثالا يحتذى به من قبل الفقهاء والعلماء في المذاهب الأخرى الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي.

فهنيئا لكل فقيه وقاض وعالم يتجنب استغلال ثقة الناس واعتمادهم، ولا يبتغي من فتواه سوى كسب رضا حضرة الحق تعالى والعمل بما فيه صلاح الاسلام والمسلمين، وأن لا يبيع دينه من خلال اصدار الفتاوى الفاسدة بجميع مال الدنيا وملذاتها، لأن الضرر والخسران في ذلك سيعود بالدرجة الأولى على المفتي والقاضي نفسه.

أما فقهاؤنا العظام الذين كانوا مثالا للزهد والعبادة والحرص على الاسلام والمسلمين، فقد تمكنوا بفتاواهم التاريخية من انقاذ الاسلام والمسلمين في أحلك الظروف وأشدّها.

فتوى الميرزا حسن الشيرازي:

تعد فتوى الميرزا حسن الشيرازي في تحريم (التبأكو) أو التبغ في ايران من الفتاوى التاريخية التي انقذت ايران وشعبها من برائن الاستعمار الذي كاد أن يجثم على صدرها في زمن ناصر القاجار. وبلاشك لولا هذا الفتوى لقضي على الاسلام في ايران ولفقدت استقلالها وعزتها ولتحول شعبها اليوم الى المسيحية

أو الى شعب علماني بعيد عن الدين.

فتاوى العلماء الآخرين:

ان فتوى الشهيد الشيخ فضل الله النوري ضد الحركة الدستورية (حركة المشروطة) في ايران التي أوجدها الانجليز، قد ساعدت في يقضة الشيعة وتصحيح مسارهم نحو الالتزام بخط الامامة والمرجعية الدينية.

كما ان الاعتراضات والمواقف الشديدة التي أبدتها العالم والفقيه الكبير الشهيد السيد حسن المدرس ضد حكومة رضا خان غير القانونية وغير الشرعية والاستعمارية، وكذلك فتوى الحاج الميرزا صادق التبريزي والعلامة الشاه آبادي والحاج جمال الاصفهاني والمرحوم الباقي اليزدي ضد هذه الحكومة الجائرة، قد وقفت بوجه الكثير من مخططاتها المشؤمة وحالت دون تطبيقها!!

كما تمكنت فتاوى الامام الخميني من انهاء حكومة المستشارين الامريكان والروس والفرنسيين في ايران.

وبفضل فتواه تم تأسيس حزب الله في لبنان الذي دخل المعركة والصراع ضد أمريكا واسرائيل والانجليز والروس بما زعزع قوى الاستعمار وأعداء الاسلام.

كما حفظت فتوى شيخ الشريعة وآية الله السيد مصطفى الكاشاني وآية الله السيد محمد تقي الخوانساري الاسلام في العراق من شر الأجانب والمستعمرين. ويمتلك الفقهاء النيابة العامة من قبل الأئمة المعصومين عليهم السلام، لذا عدم الالتزام بأوامرهم يكون في مرتبة الشرك كما قال الامام الباقر عليه السلام!

رأي الشهيد الثاني في المفتي والفتوى:

تعرضت كتب الحديث والمصادر الفقهية وتفسير القرآن كثيرا الى مطالب

مهمة فيما يخص موضوع المفتي والفتوى، بحيث يحتاج توضيحها ومناقشتها وتفسير نقاطها المهمة الى تأليف كتب مستقلة حولها، لكن وبمقدار شرح هذه الرواية ننقل هنا بعض المطالب المهمة من «آداب تعليم وتعلم در اسلام» الذي يمثل شرحا على كتاب «مُنيَّةُ المُريد» للشهيد الثاني.

ان مسألة الافتاء بمعنى اصدار الحكم والفتوى تعد أحد المسائل المهمة جدا، كما تحضى بالثواب العظيم والفضيلة الواسعة والمكانة والمنزلة العظيمة؛ لأن المفتي والمجتهد الذي يصدر الحكم والفتوى يكون وارثاً للأنبياء وابتغى أداء واجب كفائي.

«الْمُفْتِي مَوْقِعٌ نَائِبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى»^١.

الفتوى في القرآن:

تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة بحثت موضوع الفتوى، منها:
قوله تعالى:

﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾^٢.

وقوله تعالى:

﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلُوبِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾^٣.

وقوله تعالى:

﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ

١- منية المرید : ٢٧٩ .

٢- النساء : ٤ : ١٧٦ .

٣- يونس : ١٠ : ٥٣ .

سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنْبُلَاتٌ خُضْرٌ وَأُخْرَىٰ يَابِسَاتٌ ﴿١﴾

حيث نستفيد من هذه الآيات أن مقام الفتوى هو في الدرجة الأولى حق الله، ثم حق الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم السلام، ثم حق الأشخاص المعينون من قبل الله والأنبياء والأئمة عليهم السلام لتولي مقام الافتاء.

الفاقدون لشروط الافتاء:

لقد حذر الله تعالى في كتاب الكريم الفاقدين لشروط الافتاء من مغبة الفتوى واصدار الحكم، فقال تعالى:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^٢

وقال تعالى:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَاماً وَحَلَالاً قُلْ اللَّهُ أُذُنٌ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾^٣

ونلاحظ في هذه الآيات أن الله تعالى قد قسم مأخذ الحكم والفتوى الى نوعين:
١- ما كان الانسان فيه مجازا ومأذونا من قبل الله تعالى في اصدار

الفتوى وابداء الرأي.

١- يوسف ١٢: ٤٦.

٢- النحل ١٦: ١١٦.

٣- يونس ١٠: ٥٩.

٢- ما كان الانسان فيه غير مجاز من قبل الله تعالى في ابداء الرأي حوله.
وعلى هذا الأساس، اذا لم يتحقق الأذن الالهي في ابداء الرأي حول موضوع معين، وأقدم الانسان بمفرده على ابداء الرأي فيه أو اصدار الفتوى حوله، يكون قد افترى وكذب على الله تعالى في هذا الموضوع.
ولو دققنا النظر في كلام الله تعالى حكاية عن رسوله الكريم وأفضل خلقه، حيث يقول تعالى:

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ *
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾^١.

لوجدنا شدة الخطاب والتهديد والتحذير الذي وجهه الله تعالى الى أعز خلقه، فكيف سيكون خطابه وانذاره وتحذيره للآخرين الذي يكذبون ويفترون عليه في محضره وبأسمه!؟

الفتوى في الروايات:

قال رسول الله ﷺ:

«أَجْرُكُمْ عَلَى الْفَتْوَى أَجْرُكُمْ عَلَى النَّارِ»^٢.
وقال ﷺ: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ
قَتَلَهُ نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ يَضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مُصَوِّرٌ يَصَوِّرُ التَّمَائِيلَ»^٣.

١- الحاققة ٦٩ : ٤٤ - ٤٦ .

٢- منية المرید: ٢٨١؛ بحار الأنوار: ١٢٣/٢، الباب ١٦، الحديث ٤٨ .

٣- منية المرید: ٢٨١؛ بحار الأنوار: ١٢٣/٢، الباب ١٦، الحديث ٤٩ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«إن من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين»:

رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشعوف بكلام بدعة، قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمال خطايا غيره، رهن بخطيئته.

ورجل قمش رجلا في جهال الناس، عان بأغباش الفتنة، قد سماه أشباه الناس عالما ولم يغن فيه يوما سالما، بكر فاستكثر، ما قل منه خير مما كثر، حتى إذا ارتوى من آجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضيا ضامنا لتخليص ما التبس على غيره، وإن خالف قاضيا سبقه، لم يأمن أن ينقض حكمه من يأتي بعده، كفعله بمن كان قبله، وإن نزلت به إحدى المبهمات المعضلات هيا لها حشوا من رأيه، ثم قطع به، فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت لا يدري أصاب أم أخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما أنكر، ولا يرى أن وراء ما بلغ فيه مذهبا، إن قاس شيئا بشئ لم يكذب نظره وإن أظلم عليه أمر اکتتم به، لما يعلم من جهل نفسه، لكيلا يقال له: لا يعلم، ثم جسر فقضى، فهو مفتاح عشوات، ركاب شبهات، خباط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعرض في العلم بضرر قاطع فيغتم، يذري الروايات ذرو الريح الهشيم تبكي منه الموارد، وتصرخ منه الدماء، يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرم بقضائه الفرج الحلال، لا ملئ بإصدار ما عليه ورد، ولا هو أهل لما منه فرط، من ادعائه علم الحق.^١

١- الكافي: ٥٤/١، باب البدع والرأى... الحديث ٤٦ وسائل الشيعة: ٣٩/٢٧، الباب ٦، الحديث

وعن زرارة بن أعين قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ما حق الله على العباد؟

قال: «أن يقولوا ما يعلمون ويقفوا عندما لا يعلمون»^١.

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن الإمام الباقر عليه السلام، قال:

«مَنْ أَفْتَى بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى لَعَنَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ

الْعَذَابِ وَلَحِقَهُ وَزْرٌ مَنْ عَمِلَ بِقُتْبَاهُ»^٢.

وعن مفضل بن يزيد قال: قال [لي] أبو عبد الله عليه السلام:

«أنهاك عن خصلتين فيهما هلاك الرجال: أنهاك أن تدين الله

بالباطل، وتفتي الناس بما لا تعلم»^٣.

عن ابن شبرمة فقيه أهل السنة، قال:

ما ذكرت حديثا سمعته عن جعفر بن محمد عليه السلام إلا كاد أن يتصدع قلبي،

قال: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال ابن شبرمة: وأقسم بالله ما كذب أبوه على جده ولا جده على رسول

الله صلى الله عليه وآله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

من عمل بالمقائيس فقد هلك وأهلك، ومن أفتى الناس بغير علم وهو لا يعلم

الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك»^٤.

١- الكافي: ٤٣/١، باب النهي عن القول بغير علم، حديث ٧؛ منية المرید: ٢٨٢.

٢- الكافي: ٤٢/١، باب النهي عن القول بغير علم، حديث ٣؛ منية المرید: ٢٨٣.

٣- الكافي: ٤٢/١، باب النهي عن القول بغير علم، الحديث ٩؛ بحار الأنوار: ١١٤/٢، الباب ١٦، الحديث ٥.

٤- الكافي: ٤٣/١، باب النهي عن القول بغير علم، الحديث ٩؛ منية المرید: ٢٨٣.

الفتوى بلسان العلماء:

وعن بعض التابعين قال:

أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأل أحدهم عن مسألة فيردها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول.
وعنه قال:

لقد أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ، ما أحد منهم يحدث حديثاً إلا ود أن أخاه كفاه الحديث، ولا يسأل عن فتياً إلا ود أن أخاه كفاه الفتياً.

وقال البراء:

لقد رأيت ثلاثمائة من أهل بدر ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتياً.^١

وعن ابن عباس رضي الله عنهما:

من أفتى الناس في كل ما يسألونه فهو مجنون.^٢

وعن بعض السلف:

إن العالم بين الله وبين خلقه، فلينظر كيف يدخل بينهم.

وقال بعض الأكابر لبعض المفتين:

أراك تفتي الناس! فإذا جاءك الرجل يسألك، فلا يكن همك أن تخرجه مما وقع فيه، ولتكن همتك أن تتخلص مما يسألك عنه.

١- منية المرید : ٢٨٣.

٢- منية المرید : ٢٨٤.

وعن عطاء بن السائب التابعي:

أدرکت أقواما يسأل أحدهم عن الشيء وإنه ليرعد.^١

وعن ابن مسعود رضي الله عنه:

عسى رجل أن يقول: إن الله أمر بكذا، فيقول الله له: كذبت.

وعن يحيى بن سعيد قال:

كان ابن المسيب لا يفتي فتيا إلا قال: اللهم سلمني وسلم مني.^٢

وعن مالك بن أنس أنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين

[منها] لا أدري.

وفي رواية أخرى: أنه سئل عن خمسين مسألة، فلم يجب في واحدة منها.

وكان يقول: من أجاب في مسألة، فينبغي قبل الجواب أن يعرض نفسه على

الجنة والنار، وكيف خلاصه ثم يجيب.^٣

وسئل يوما عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل: هي مسألة خفيفة سهلة، فغضب

وقال: ليس من العلم شيء خفيف، أما سمعت قول الله تعالى:

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^٤.

فالعلم كله ثقيل.

وعن القاسم بن محمد بن أبي بكر أحد فقهاء المدينة المتفق على علمه

وفقهه بين المسلمين أنه سئل عن شيء فقال:

١- منية المرید : ٢٨٤.

٢- منية المرید : ٢٨٥.

٣- منية المرید : ٢٨٥.

٤- المزمل ٧٣ : ٥.

لا أحسنه، فقال السائل: إني جئت إليك لا أعرف غيرك.
فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه.
فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي ألزمها فوالله ما رأيتك في
مجلس أنبل منك مثل اليوم.

فقال القاسم: والله لان يقطع لساني أحب إلي أن أتكلم بما لا علم لي به.^١

وعن الحسن بن محمد بن شرفشاه الأسترآبادي:

أنه دخلت عليه يوماً امرأة فسألته عن أشياء مشكلة في الحيض، فعجز عن
الجواب، فقالت له المرأة: أنت عذبتك واصلته إلى وسطك وتعجز عن جواب
امرأة. فقال: يا خالة! لو علمت كل مسألة يسأل عنها لوصلت عذبتني إلى قرن
الثور.^٢

شروط المفتي:

يجب توفر شروط عدة في المفتي، بأن يكون مسلماً مكلفاً فقيهاً عادلاً.
وتتوفر شروط الفقه في المفتي إذا ما تمكن من معرفة الأحكام الشرعية عن
طريق استنباطها من أدلتها التفصيلية أي الكتاب والسنة والاجماع والأدلة العقلية
وأمثالها، وقد تم البحث والتحقيق في هذه الأدلة في محلها.
ان معرفة الأحكام الشرعية ضمن هذه الشروط لا تكتمل إلا بمعرفة بعض
الحقائق والمسائل الأساسية من قبيل: معرفة اثبات الصانع وصفاته، والمعرفة التي
يتوقف إيمان الانسان عليها، وقبل القدرة على استنباط الأحكام الشرعية يجب

١- منية المرید : ٢٨٦.

٢- منية المرید : ٢٨٦.

الوقوف على المسائل الكلامية المرتبطة بمواضيع النبوة والامامة والمعاد، كما يجب التعرف على العلوم الأساسية التي تساهم في معرفة الأدلة من قبيل علوم: الصرف، والنحو، واللغة، وكذلك معرفة شروط حدود البرهان في علم المنطق وأصول الفقه والحقائق المرتبطة بالأحكام الشرعية من الآيات القرآنية والأحاديث المرتبطة بالأحكام الشرعية وعلوم الحديث، سواء من جهة النص أو السند، وينبغي أن تنسجم هذه المعرفة مع الأصل الصحيح الذي يستند عليه حتى يتمكن الفقيه من الرجوع اليه عند الحاجة.

ويجب على المفتي أن يعرف موارد الاختلاف والاتفاق بين العلماء والفقهاء في المسائل الشرعية؛ أي يجب عليه معرفة هل المسألة التي يريد الافتاء فيها تخالف الاجماع أم لا.

بل يجب عليه معرفة مدى تطابق رأيه مع آراء وفتاوى بعض فقهاء السلف، أو أن رأيه يرتبط بمسألة مستحدثة في عصره أو عصر قريب من عصره ولم يتطرق اليها علماء السلف سابقا، أو انه يمتلك ملكة نفسانية وقوة قدسية وملكوتية تمكنه من استنباط فروع وجزئيات الأحكام من الأصول والكليات، ويرجع كل قضية الى أدلتها المناسبة.

ان النقاط المتقدمة تمثل الشروط والأمور التي ينبغي توفرها في المفتي المطلق والمستقل حتى يتمكن من ابداء رأيه والافتاء في جميع الأحكام الفرعية والأبواب الفقهية المختلفة.

فاذا توفرت الشروط والصفات المذكورة في شخص معين يجب عليه حينها بذل ما في وسعه لبحث ومناقشة جميع المسائل الفقهية والأحكام الفرعية التي يحتاجها المسلمون واصدار الفتوى المناسبة لها عن طريق الرجوع الى أدلتها التفصيلية.

وبعد أن اتضحت أهمية وعظمة مسألة الفتوى، نعود الآن الى توضيح رواية الامام الصادق عليه السلام في كتاب «مصباح الشريعة».

ولا تحل الفتيا لمن لا يستفتي من الله تعالى بصفاء سره واخلاص علمه وعلانيته وبرهان من ربه في كل حال، فالفتوى لا تحل الا لذوي النفوس الزكية والبواطن الطاهرة النقية من جميع الذنوب والآثام والعقول السالمة والنيات الخالصة وذوي السرائر الصافية ممن ينطقون بالحكمة الالهية.

لأن الفتوى بمثابة الحكم في المسائل الشرعية، ولا يجوز الحكم القاطع في دين الله الا باذن من الله تعالى ودليل وبرهان قائم من الكتاب والسنة. واذا ما أفتى المفتي استنادا الى خبر أو حديث عن رسول الله والأئمة المعصومين عليهم السلام دون أن يتأكد بنفسه من هذا الحديث، فحكم دون أن يحصل له القطع به، كان هذا المفتي جاهلا مأخوذاً بجهله ومأثوماً بحكمه. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أَجْرُكُمْ بِالْفُتْيَا أَجْرُكُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.»

وقد رأوا أحد الفقهاء العظام في عالم الرؤيا، فسألوه عن حاله: فقال: لقد أهلكتني الفتيا، لولا شيئين: الأول تأليفي كتاب تضمن اثني عشر ألف دليل في اثبات حقانية الولاية وخلافة مولى الموحدين، والثاني زيارة سيد الشهداء عليه السلام.

«أَوَ لَا يَعْلَمُ الْمُفْتِي أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَدْخُلُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَائِلُ
بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ».

ألا يعلم المفتي أنه عند الفتوى يكون بمثابة الواسطة بين الله عز وجل وعباده
حيث يبين لهم حكم الله، فهو في أمر الفتيا يقوم في الواقع بعمل النبي مما يجعله
يقف في مفترق طريقين أما الجنة أو النار، فإن كان صادقا في قوله وفتياه وكانت
مطابقة للأصول الشرعية كان من أهل النجاة والأمان من أهل الهلاك والعذاب!

«قال سفيان بن عيينة: كَيْفَ يَنْتَفِعُ بِعِلْمِي غَيْرِي وَأَنَا حَرَمْتُ نَفْسِي نَفْعَهَا.^١
وَلَا تَحِلُّ الْفُتْيَا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ بَيْنَ الْخَلْقِ إِلَّا لِمَنْ كَانَ أَتْبَعَ الْخَلْقَ مِنْ
أَهْلِ زَمَانِهِ وَنَاحِيَّتِهِ وَبَلَدِهِ بِالْحَقِّ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَذَلِكَ لَرُبَّمَا وَلَعَلَّ
وَلَعَسَى، لِإِنَّ الْفُتْيَا عَظِيمَةٌ.»^٢

قال سفيان بن عيينة، كيف ينتفع الناس بعلمي وانا حرمت نفسي من الانتفاع
بهذا العلم، فلم أعمل بما علمت؟
فالفتيا في الحلال والحرام بين الناس لا تحل الا لأتقى الناس وأفضلهم
وأعلمهم وأصلحهم في أهل زمانه ومنطقته وبلده.
وقد قال النبي ﷺ:

«وذلك لربّما ولعلّ ولعسى، لأنّ الفتيا عظيمة.»

أي يجب على المفتي الاحتياط الكامل في الفتيا، والقول لعل ما حكمت به
يكون مطابقا لحكم الله أو قريبا منه.

١- بحار الأنوار: ١٢١/٢، الباب ١٦، ضمن حديث ٣٤؛ مستدرك الوسائل: ٣٤٣/١٧، الباب ١٥،
الحديث ٢١٥٣٠.

٢- مستدرك الوسائل: ٣٤٣/١٧، الباب ١٥، الحديث ٢١٥٣٠.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لقاض: هل تعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا.
قال: إذا هلكت وأهلكت^١.

والمفتي يحتاج إلى معرفة معاني القرآن وحقائق السنن وبواطن الإشارات
والاداب والإجماع والاختلاف والإطلاع على أصول ما أجمعوا عليه وما
اختلفوا فيه ثم إلى حسن الاختيار ثم العمل الصالح ثم الحكمة ثم
التقوى ثم حينئذ إن قدر.

معرفة الناسخ والمنسوخ:

سأل أمير المؤمنين أحد القضاة، فقال:

هل تعرف الناسخ والمنسوخ؟ قال: لا، فقال الامام: إذا هلكت وأهلكت.

أي بهذه الفتوى هلكت نفسك، وأهلكت من عمل بها من الناس.

ان المفتي يحتاج الى معرفة وفهم عدد من الحقائق، هي:

١- معرفة معاني القرآن خاصة الآيات التي تدخل في استنباط الأحكام
الشرعية.

١- بحار الأنوار: ١٢١/٢، الباب ١٦، ضمن الحديث ٣٤؛ مستدرک الوسائل: ٣٤٣/١٧، الباب ١٥،

- ٢- معرفة حقائق السنن والأخبار والروايات الصادرة عن المعصومين عليهم السلام، ومعرفة بواطن الاشارات والآداب والاجماع والاختلاف والتأويلات وصحة وفساد أسناد الروايات ورواة الأخبار.
- ٣- التمييز بين مسائل الاجماع والاختلاف، والاطلاع على أصول ما أجمعوا عليه وما اختلفوا فيه.
- ٤- حسن الاختيار بين المرجحات فيما هو قابل للترجيح.
- ٥- ان يحمل ملكة العدالة التي تدفع الانسان لأداء الواجبات وترك المحرمات.
- ٦- ملازمة الحكمة التي تبعده عن الافراط والتفريط في جميع الأمور.
- ٧- التقوى والايمان والصلاح.

الخاتمة

في غروب ١٦ شوال ١٤٠٧ الموافق ليوم ٢٣/٣/١٣٦٦ هـ.ش.

اصفهان

المحتويات

الباب (٤٦) مسألة البيان والكلام والقول

- ٨..... حقيقة الكلام:
- ١٠..... كلام أولياء الله:
- ١١..... الانسان والروح الأعظم في كلام الملا صدرا:
- ١٦..... حقيقتان في الكلام:
- ١٨..... أوصاف القول في القرآن الكريم:
- ١٩..... ١- القول البليغ:
- ٢٠..... الواعظ والقول البليغ:
- ٢٣..... ٢- القول الصدق:
- ٢٤..... ٣- القول العدل:
- ٢٤..... صاحب تفسير الميزان يقول:
- ٢٥..... القضاء والشهادة:
- ٢٦..... القضاء في الاسلام:
- ٢٧..... قضاء الامام علي عليه السلام:
- ٢٨..... قضاء عمر:
- ٢٩..... الرشوة وحرمتها:

- ٢٩..... الهدية وجمع الزكاة:.....
- ٣٠..... العمل الصحيح:.....
- ٣١..... شروط القضاء في كلام الامام علي عليه السلام:.....
- ٣٢..... البهلول، العالم المتظاهر بالجنون:.....
- ٣٣..... المحافظة على الدين من خطر أهواء النفس:.....
- ٣٥..... ٤- القول الحسن:.....
- ٣٦..... القول الحسن في القرآن:.....
- ٣٦..... القول الحسن في الروايات:.....
- ٤٠..... ٥- القول الأحسن:.....
- ٤١..... فضة خادمة السيدة الزهراء عليها السلام:.....
- ٤٥..... ٦- القول الكريم:.....
- ٤٥..... ٧- القول اللين:.....
- ٤٦..... ٨- قول الايمان:.....
- ٤٨..... ٩- القول السديد:.....
- ٤٩..... ١٠- القول المعروف:.....
- ٤٩..... ١١- القول الميسور:.....
- ٥١..... آفات اللسان:.....
- ٥٣..... كلام اللغو:.....

الباب (٤٧) في المدح والذم

- ٥٨..... حقيقة المدح والذم:.....

- ٦٠.....مدح الآخرين وذمهم:
- ٦٢.....استحقاق المدح والذم:
- ٦٣.....المدح والذم اللغو:
- ٦٥.....المدح والذم في الروايات:

الباب (٤٨) في ذم المراء والجدال والنزاع

- ٧٢.....حقيقة المراء والجدال:
- ٧٥.....الجدال الأحسن:
- ٧٧.....الجدال غير المشروع:
- ٧٩.....آفات المراء والجدال:
- ٨٠.....١- الاستكبار عن الحق وكراهته:
- ٨٢.....٢- الرياء:
- ٨٢.....٣- الغضب:
- ٨٣.....٤- الحقد:
- ٨٤.....٥- الحسد:
- ٨٤.....٦- الهجر والقطيعة:
- ٨٥.....٧- الكلام فيه بما لا يحل:
- ٨٦.....٨- الكبر والترفع:
- ٨٨.....٩- التجسس وتتبع العورات:
- ٨٩.....١٠- الفرح بمساءة الناس والغم بسرورهم:
- ٩٠.....١١- تزكية النفس والثناء عليها:

- ١٢- النفاق: ٩٠
- منشأ المراء والجدال: ٩١

الباب (٤٩) في الغيبة

- الغيبة: ٩٧
- مقامات الأولياء: ٩٩
- كرامات الاولياء: ١٠١
- المجلسي في كلام أحد العرفاء العظام: ١٠٢
- علاقة الأولياء بعالم الغيب: ١٠٥
- كرامات الأولياء: ١٠٥
- الغيبة تمنع الوصول الى الحق: ١٠٧
- روايات باب الغيبة: ١٠٨
- صوم أهل الغيبة: ١١٠
- الغيبة والربا: ١١٠
- معنى الغيبة: ١١١
- موارد جواز الغيبة: ١١٣
- أسباب الغيبة: ١١٧
- سلامة الدنيا والآخرة: ١١٨

الباب (٥٠) في الرياء

- ١٢٢ حقيقة الرياء:
- ١٢٣ دواوين حركة الانسان:
- ١٢٦ رسالة مؤلمة:
- ١٢٧ كلام الغزالي عن الرياء:
- ١٢٨ الرياء في الصلاة:
- ١٣٠ العبادة الخالصة:
- ١٣٠ العبادة غير الخالصة:
- ١٣٣ علاج الرياء:
- ١٣٤ ثواب المرائي:
- ١٣٥ موارد الرياء:
- ١٣٥ رياء البصر:
- ١٣٥ الرياء في الأكل:
- ١٣٦ الرياء في الكلام:
- ١٣٦ الرياء في المشي:
- ١٣٦ الرياء في المجالسة:
- ١٣٧ الرياء في اللباس:
- ١٣٧ الرياء في الضحك:
- ١٣٧ الرياء في الصلاة والحج والجهاد:
- ١٣٨ الاخلاص في العمل:
- ١٣٩ روايات باب الرياء:

| | |
|-----|-----------------------------|
| ١٤٠ | علامات المرأئي: |
| ١٤٠ | الرضا القلبي بعد عمل الخير: |

الباب (٥١) في ذم الحسد

| | |
|-----|--------------------|
| ١٤٦ | ضرر الحسد: |
| ١٤٨ | حسد الحاسد: |
| ١٤٩ | توبة الحسود: |
| ١٤٩ | الحسد في القرآن: |
| ١٥١ | الحسد في الروايات: |

الباب (٥٢) في ذم الطمع

| | |
|-----|----------------------------|
| ١٥٨ | صلاح الدين وفساده: |
| ١٥٩ | القرآن والطمع: |
| ١٦٠ | أقسام الطمع في القرآن: |
| ١٦٢ | روايات الطمع: |
| ١٦٥ | خمر الشيطان: |
| ١٦٦ | أسباب الطمع: |
| ١٦٨ | الطمع والقناعة: |
| ١٦٩ | قصة معبرة عن أحد الطماعين: |

الباب (٥٣) في مدح الجود والسخاء

- ١٧٥ حقيقة السخاء:
- ١٧٦ سخاء الأنبياء:
- ١٨٠ علامات السخاء:
- ١٨٣ السخي والبخيل:
- ١٨٤ السخاء بالمال الحلال:
- ١٨٥ المالك الحقيقي:
- ١٨٧ حفظ المال للوارث:
- ١٨٨ السخاء في الروايات:

الباب (٥٤) في الأخذ والعطاء

- ١٩٤ الأخذ والعطاء الخاطئ:
- ١٩٨ أهل النجاة في الأخذ والعطاء:
- ١٩٩ الورع وعفة النفس:
- ٢٠٠ عزة النفس:

الباب (٥٥) في آداب الأخوة

- ٢٠٤ نعمة الأخوة:
- ٢٠٥ الأخوة في بني آدم:

الباب (٥٦) في المشورة

- ٢١٢ المشورة في الاسلام:
- ٢١٥ القرآن والمشورة:
- ٢١٦ الروايات والمشورة:
- ٢١٩ المشورة في أمور الدنيا:
- ٢٢١ نتيجة المشورة:

الباب (٥٧) في مدح الحلم

- ٢٢٦ حقيقة الحلم والأناة:
- ٢٢٨ الحلم في القرآن المجيد:
- ٢٣١ الحلم في الروايات:
- ٢٣٣ القرآن والغضب:
- ٢٣٤ الروايات والغضب:
- ٢٣٨ كلام الخواجة الطوسي في الغضب:
- ٢٤٠ أسباب الغضب:
- ٢٤٠ علاج أسباب الغضب:
- ٢٤٤ حلم الخواجة نصير الدين الطوسي:
- ٢٤٥ حلم آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني:
- ٢٤٧ حلم العلامة كاشف الغطاء:
- ٢٤٧ حلم الملا مهدي النراقي:

- ٢٥٠ أوجه الحلم:
- ٢٥١ تقابل الحلم والغضب:

الباب (٥٨) في التواضع

- ٢٥٨ حقيقة التواضع:
- ٢٦٠ التكبر في قبال هوى النفس:
- ٢٦٣ عبودية النفس:
- ٢٦٦ التواضع أمام الله تعالى:
- ٢٦٩ الربوبية في القرآن:
- ٢٧١ الربوبية في دعاء عرفة:
- ٢٧٢ التفكير في آيات التوحيد يعد الوسيلة المثلى للتواضع:
- ٢٧٣ التفكير في الأذن والعين:
- ٢٧٥ مصدر الحياة:
- ٢٧٦ التواضع أمام خلق الله:
- ٢٧٧ روايات التواضع:
- ٢٨١ رسول الله ﷺ والتواضع:
- ٢٨١ المرأة العجوز وقرية الماء:
- ٢٨٣ توبة الشاب اليهودي:
- ٢٨٤ بكاء الجارية:
- ٢٨٥ تواضع آية الله البروجردي رحمته:
- ٢٨٧ سيماء المؤمنين والمتواضعين:

| | |
|-----|---------------------------------------|
| ٢٩٠ |المؤمنون والمحبون لأمر المؤمنين: |
| ٢٩١ |التواضع لله: |
| ٢٩٣ |التواضع منشأ الخشوع: |

الباب (٥٩) في الاقتداء

| | |
|-----|---|
| ٢٩٩ |حقيقة الاقتداء: |
| ٣٠١ |حقيقة الانسان والانسانية في الروايات: |
| ٣٠٥ |هدف الرسالة وأدواتها في القرآن: |
| ٣٠٦ |القائد الحقيقي للانسان: |
| ٣٠٨ |الاقتداء بنبي الاسلام ﷺ: |
| ٣١٠ |الحقيقة المحمدية: |
| ٣١١ |الاقتداء بالأئمة المعصومين <small>عليهم السلام</small> : |
| ٣١٣ |المقتدى في الدنيا والآخرة: |
| ٣١٥ |الاقتداء بالأولياء: |
| ٣١٦ |الاقتداء الصحيح أفضل طريق للهداية: |
| ٣١٨ |الاقتداء بالدين الحنيف: |

الباب (٦٠) في مدح العفو

| | |
|-----|-------------|
| ٣٢٥ |العفو: |
|-----|-------------|

| | |
|-----|-------------------------|
| ٣٢٧ | العفو في القرآن المجيد: |
| ٣٢٧ | عفو الله عن عباده: |
| ٣٢٩ | عفو العباد عن المسيئين: |
| ٣٣٠ | العفو في الروايات: |
| ٣٣١ | مالك الأشتر والعفو: |
| ٣٣٣ | لذة العفو: |
| ٣٣٦ | أبو ضمضم والعفو: |

الباب (٦١) في حسن الخلق

| | |
|-----|--------------------|
| ٣٤٠ | حقيقة الخلق الحسن: |
|-----|--------------------|

الباب (٦٢) في العلم

| | |
|-----|--|
| ٣٤٩ | علم الدين: |
| ٣٥٠ | العلم بالتقوى واليقين: |
| ٣٥٢ | طلب العلم: |
| ٣٥٢ | جميع العلوم في كلام الامام الصادق <small>عليه السلام</small> : |
| ٣٥٤ | معرفة النفس: |
| ٣٥٦ | العلم غير النافع: |
| ٣٥٩ | العلم والعمل: |

| | |
|-----|-----------------------|
| ٣٦٠ | صفات المعلم والمتعلم: |
| ٣٦٠ | صفات المعلم: |
| ٣٦١ | صفات المتعلم: |
| ٣٦٢ | العلم عند الأنبياء: |
| ٣٦٣ | العلم كسبي وقدرتي: |

الباب (٦٣) في آداب الافتاء

| | |
|-----|--------------------------------------|
| ٣٧٠ | حقيقة الفتوى: |
| ٣٧٢ | فتوى العلامة شلتوت: |
| ٣٧٣ | فتوى الميرزا حسن الشيرازي: |
| ٣٧٤ | فتاوى العلماء الآخرين: |
| ٣٧٤ | رأي الشهيد الثاني في المفتي والفتوى: |
| ٣٧٥ | الفتوى في القرآن: |
| ٣٧٦ | الفاقدون لشروط الافتاء: |
| ٣٧٧ | الفتوى في الروايات: |
| ٣٨٠ | الفتوى بلسان العلماء: |
| ٣٨٢ | شروط المفتي: |
| ٣٨٧ | معرفة الناسخ والمنسوخ: |
| ٣٩٠ | المحتويات: |